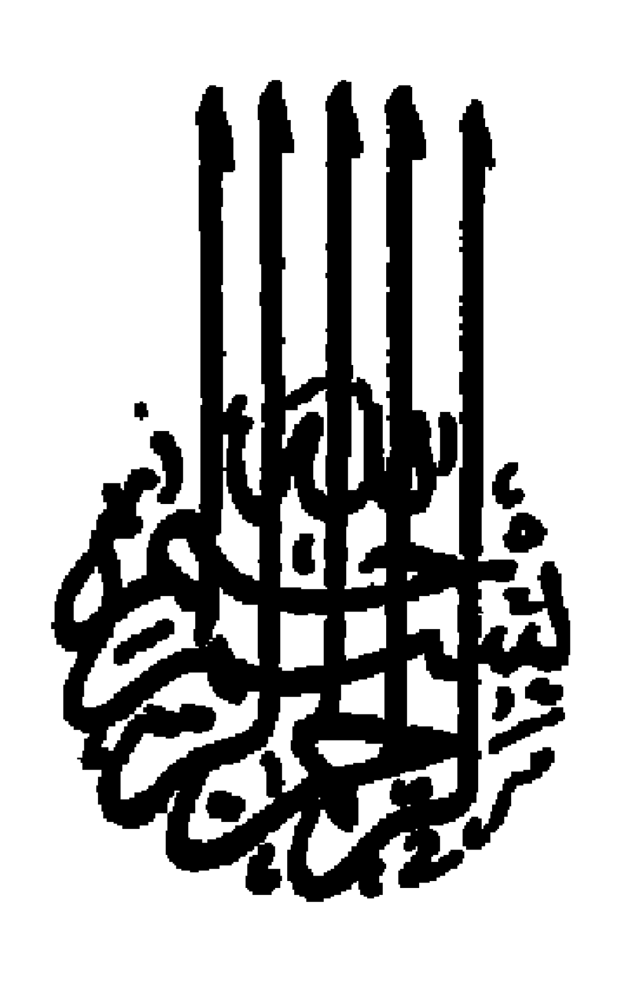
دكتور جابر الحاج

الفراعنة الصغار في هيلتون الناصرية

دار الاعتصام



إهـــــــــداء٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

جمهورية مصر العربية

دكتور جابر الحاج

الفراعنة الصغار

في هيلتون الناصرية

دار الاعتصام

دار الاعتصام

للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨

الإهداء

• إلى الذين فكروا ولم يفقدوا الوعي بعد . .

• وإلى الذين عاد إليهم الوعي ولو بعد عشرين عاماً . .

• وإلى الذين يكتبون التاريخ اليوم . .

• وإلى الذين سوف يعيدون كتابة التاريخ في الغد القريب . .

د . جابر الحاج

الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

• ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه . .

« سورة البقرة »

• ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ، ثم لا تنصرون . .

« سورة هـــود »

• ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » .

« سورة التوبة »

« صدق الله العظيم »

مقدمة الطبعة الثانية

شكراً للإخوة الأحباب الذين قرأوا الطبعة الأولى وجاء تقديرهم مشجعاً لى للقيام بالطبعة الثانية لألبى طلبات الإخوة الذين لم يتيسر لهم قراءة الطبعة الأولى لنفادها فى زمن قياسى . .

إنه جزء من تاريخ مصر فى أحلك عصورها ،

لقد أريد لجيل بأكمله أن يغمض العين فلا يرى إلا ما يعرض عليه ، وأن يصم الأذن فلا يسمع إلا شعارات التهريج ، وأن يغلق منافذ العقل فلا يفكر فيما يجوز فى حق المتألهين وما لا يجوز . .

ليتهم كانوا أبطالا لكنا لهم الجنود . .

وليتهم صدقوا لالتمسنا لهم الأعذار . .

وليتهم وضعوا يدهم فى يد الله لنطمئن على بزوغ النهار بعد طول الليـــل .

ولكنهم لم يفعلوا ، ولن نيأس من بسط أيدينا إليهم ، وسنظل ندعو الله نسأله الهداية لنا ولقومنا حكاماً ومحكومين .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

د . جابر الحاج

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

فى مساء اليوم السادس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وبعد أن أفرغت طاقتى البشرية فى مقاومة التعذيب ، والصبر على المعاملة اللا إنسانية ، وأنا أرى الموت قاب قوسين أو أدنى منى ، تغيرت معاملة فؤاد علام ونديم ، حين وضعا أيديهما على خيط يوصلهم لضحايا آخرين .

ابتسم فؤاد علام وقال :

يا دكتور جابر : لماذا تكره جمال عبد الناصر ؟ إنه رجل رحيم (هكذا) ، ولا يشرب الخمر ، وليس عاشق نساء .. وإنه .. وإنه .. قلت : لقد أبديت الأسباب على الورق ، وأنا لا أكره جمال عبد الناصر لشخصه . . وإنما لأسباب منها : ثلاث حروب كنا فى غنى عنها لو أحسنا التصرف ، وهذا التعذيب للإخوان المسلمين ، وهذه عينته . . .

وصاحا فى نفس واحد : أنت متعذبتش ! وقال أحدهما : دانت جيت فى الميلتون . وأمن الآخر على قوله .

وقال نديم : والإخوان ماذا يعجبك فيهم ؟ إنهم قاموا بتآمرهم بغية الحكم . وليس لهم برنامج ، وليس لهم هدف يخدمون به مصلحة البلد ، أما جمال عبد الناصر فقام بالثورة وهو جاهز .

هل قرأت كتاب فلسفة الثورة ورأيت برنامج جمال عبد الناصر ؟ وقلت : لا ، لم أقرأه وقرأت غيره . . الميثاق . . وبيان ٣٠ مارس وخطب الرئيس . .

وحين انتهيت من كتابة هذا الكتاب لم أكن قرأت كتاب فلسفة الثورة بعد ، وأخذت أسأل الأصدقاء والمعارف عن الكتاب الذى طبع ووزع بالمجان . . ولم أجده عند أحد منهم . .

الكتاب الذى قال نديم عنه : إنه البرنامج الجاهز للناصرية . .

فذهبت إلى دار الكتب وقدم إلى أمين المكتبة مشكوراً ثلاثة كتب : الكتاب الأول : طبعة وزارة التربية والتعليم وبه مقدمة لكمال الدين حسين .

الكتاب الثانى : بقلم جمال عبد الناصر طبعة الدار القومية للطباعة والنشر . .

الكتاب الثالث : للعقاد « فلسفة الثورة فى الميزان » كتيب صغير جداً . .

وحين فرغت من قراءتها جميعاً أدركت تماماً ، أن الناصرية كانت تستعرض عضلاتها فى عشوائية شملت الزعيم فى عليائه (ونديم) بقيده وزبانيته وسوطه وعصاه ، ولو كان نديم يعى ما يقول مادلنى على وثيقة غالية تفسر عشوائية الناصرية وتخبطها ، ولو تنبهوا لها لأعدموها يوم أعدموا كتب سيد قطب رحمه الله ، ويوم أعدموا الصحف والمجلات التى كانت تبصر الثورة فى أيامها الأولى — ولاعتبرت الناصرية كتاب فلسفة الثورة مع الوثائق المحظور نشرها خمسين عاماً . . !

قال كمال الدين حسين فى مقدمة الطبعة التى قدمها للمعلمين والتلاميذ :

« أملاه جمال عبد الناصر على التاريخ ، كما لا يزال يملى على التاريخ ، . . دستور الماضى ينبغى أن تمحى صفحته من تاريخنا لأنه يقوم على مبادىء الخوف ، والضعف ، والأثرة ، والبغى ، وسوء الظن والتربص ، وما يستتبع ذلك من سيئات . . . . . » .

سامحك الله يا كمال ! .

وفى طبعة الدار القومية نجد على الصفحة الأولى « بقلم جمال عبد الناصر » .

وعلى الصفحة الثالثة « صورة جمال عبد الناصر » .

وأكتفى بالإشارة إلى بعض مافى الكتاب .. وإن كنت أدعو الجميع إلى قراءته ليتضح الفرق الشاسع بين أقوال الناصرية الحالمة بالنجوم وواقعها المخيب لكل الظنون . . . وليعلم الجنة التى منتنا بها وماذا حققت الناصرية منها . .

اقرأ لعبد الناصر وهو يتحدث عن « الانتهازيين » :

« وكثيراً ما كنت أقابل كبراء — أو هكذا تسميهم الصحف — من كل الاتجاهات والألوان ، وكنت أسأل الواحد منهم فى مشكلة ألتمس منه حلا لها ، ولم أكن أسمع إلا « أنا » .

ويقول تحت عنوان : « درس فى الجامعة » .

« تكلم أمامى كثير من الأساتذة .. تكلموا طويلا ومن سوء الحظ ، إن أحداً منهم لم يقدم لى أفكاراً . .

ولم أشأ أن أقول لهم : إن معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا أساتذة فى كلية أركان الحرب ، وهذا دليل امتيازهم ، وإن ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة هم : عبد الحكيم عامر ، وكمال الدين حسين ، وصلاح سالم ، رقوا ترقيات استثنائية فى ميدان القتال فى فلسطين(١) .

وما من شك فى أننا نحلم بمصر المتحررة القوية .

وقال جمال عن الاغتيالات السياسية :

« وأعترف — ولعل النائب العام لايؤاخذنى بهذا الاعتراف —

---

(١) الفرسان الثلاثة الذين كافأهم فاروق على بلائهم فى فلسطين ، كافأهم جمال على معاونتهم له بما يعلمه الجميع ..

أن الاغتيالات السياسية توهجت فى خيالى المشتعل فى تلك الفترة على أنها العمل الإيجابى ، الذى لا مفر من الإقدام عليه ، إذ كان يجب أن ننقذ وطننا .

وفكرت فى اغتيال كثيرين وجدت أنهم العقبات التى تقف بين وطننا وبين مستقبله ، ورحت أعد جرائمهم ، وأضع نفسى موضع الحكم على أعمالهم ، ثم أشفع ذلك كله بالحكم الذى يجب أن يصدر عليهم . .

— أكنت على حق ؟

— وأقول لنفسى فى يقين : دوافعى كانت من أجل وطنى ! ! »

ومما كتب تحت عنوان : « مكاننا من العالم » .

« . . لو كان الأمر محصوراً فى حدود عاصمتنا أو فى حدود بلادنا السياسية لهان الأمر . .

— أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها . . ؟

— أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة إفريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها . . ؟

— أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالماً إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لاتقر بها العقيدة الدينية فحسب ، وإنما تشدها حقائق التاريخ . . ؟

إن ظروف التاريخ مليئة بالأبطال الذين صنعوا لأنفسهم أدواراً بطولية مجيدة قاموا بها فى ظروف حاسمة على مسرحه . .

ولست أدرى لماذا يخيل إلى دائماً أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دوراً هائماً على وجهه يبحث عن البطل الذى يقوم به . .

وأحياناً كنت أهبط من ارتفاع النجوم إلى سطح الأرض ، فأحس

أنى أدافع عن بيتى وعن أولادى ، ولا تعنينى أحلامى الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ !

ثم أعود إلى الدور التائه الذى يبحث عن بطل يقوم به . . ذلك هو الدور ، وتلك هى ملامحه ، وهذا هو مسرحه » .

ومن حكم عبد الناصر الغالية فى الكتاب آنف الذكر :

« ما أسهل الحديث إلى غرائز الناس وما أصعب الحديث إلى عقولهم »

• هذا ، وقد حرصت على كتابة فقرات من كتاب فلسفة الثورة بنصها ، ولحسن الحظ لم تصادفنى أخطاء نحوية فقد صححها له أساتذة الجامعة الذين سخر جمال من فكرهم .

وقد حرك هذا الطموح عواطف العقاد وغرائزه ، ولكنه لم يسلبه كل عقله ، فقال فى آخر سطور كتبها فى كتيبه « فلسفة الثورة فى الميزان » :

« ليس علينا بالبداهة أن نعمل كل شىء لنعفى من يأتى بعدنا من العمل . . ولكننا نترك له واجبه وننهض بواجبنا ، وواجب كل جيل من أجيال الأمم أن يبقى لمن بعده أمانة ، ولا يبقى له قيوداً من عمله ، وأثقالا من جرائر إهماله وتفريطه . . »

رحم الله العقاد فقد عاش حتى رأى بعينه القيود والأثقال ، ليس بالإهمال أو التفريط فحسب ، بل أيضاً بالعشوائية والتشنجات ؛ وشطحات الزعيم الذى حلق بخياله فى النجوم وأعماله لاصقة بتراب القرون الوسطى . . ! !

وأخيراً عاد لتوفيق الحكيم وعيه الذى سلبه الحديث الناصرى إلى الغرائز عشرين عاماً ، وكتب الحكيم مع عودة وعيه أحسن ما كتب :

« وأين كنا نحن ؟ أين كان المفكرون فى هذا البلد ؟ وأين كنت أنا المحب لحرية الرأى ؟

كنا نحبه ولا نعرف دوافع فكره ولا الدوافع الحقيقية لتصرفاته ، كان القلب منا يخترق الستار إليه ، ولكن العقل ظل بمعزل عنه .. كانت الثقة فيه شلت التفكير . .

وجاءنى صاحبى الصحفى اللامع صديق عبد الناصر بنسخة من كتاب « فلسفة الثورة » مهدى إلى من مؤلفه الزعيم ، وفكرت بعد قراءته : كيف يصح لسياسى أن يكشف ورقه للعالم هكذا ؟ .

وأدهشنى بعد ذلك ما جاء فى الصحف العالمية :

« إن كتاب فلسفة الثورة هذا يتولى توزيعه فى الخارج جهتان فى نفس الوقت : السفارة المصرية ، والسفارة الإسرائيلية » .

ويبدو أن الذى أحزن توفيق الحكيم ليس تخدير جمال لعقله فحسب ، ولكنه تذكر قول جمال عن أساتذة الجامعة : « من سوء الحظ أن أحداً منهم لم يقدم لى أفكاراً . . ورمقنى كل واحد منهم بنظرة الذى يؤثرنى على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود . . » .

وهل كان موقف الكتاب المؤيدين له إلا كذلك ؟

وتذكر أيضاً قول الضباط وهم يشيرون إلى رجال السياسة فى محكمة الثورة ويقولون للناس : « هؤلاء هم الذين كانوا يحكمونكم وكنتم تحترمونهم . . » وعلم الحقيقة التى لم يستيقظ لمعرفتها من قبل ، وهى أن جمال تركهم يشيدون ببطولته ويغمضون أعينهم عما يجوز فى حقه وما لا يجوز . .

وجمال يضحك فى نفسه ويقول : هؤلاء هم المفكرون . .

والذين لم يفقدوا الوعى يتحسرون ويقولون : هؤلاء هم المفكرون..

والتاريخ يسجل فى عجب — : هؤلاء هم المفكرون الذين احترمهم جيلهم ! ولا تحزن يا دكتور توفيق فقد عبرت النكسة بعبور كعبور رمضان ، وحذار أن تغلق الملف فإننا ننتظر منك الكثير فى ظل حكم السادات ، وما أثقل ما ترك له صاحبه من أعباء . !

• • •

وهذه مذكراتى أهديها :

- إلى الذين فكروا . . ولم يفقدوا الوعى . .
- وإلى الذين عاد إليهم الوعى . . ولو بعد عشرين عاماً . .
- وإلى الذين يكتبون التاريخ اليوم . .
- وإلى الذين سوف يعيدون كتابة التاريخ . . فى الغد القريب . . إن شاء الله . .

د . جابر الحاج

تمهيد

بعد انتهاء فترة التعذيب اللا إنسانى فى معتقل القلعة ، أخذت زنزانتى حقها فى فتح بابها كباقى الزنازين ، وانتقل إلى جوارى عبد الله حسين الطالب بنهائى طب طنطا ، وكان من البارزين فى المجموعة الكبرى من الشيوعيين الذين اعتقلوا ووجه إليهم تهمة التآمر ضد النظام الناصرى ، وسألت الأخ عبد الله :

يا دكتور عبد الله : لماذا تجند نفسك للشيوعية وقد أكرمنا الله بالإسلام . وهو أصدق قولا ، وأدق منهجاً وأشرف غاية ، وآمن عاقبة . . ؟

قال : أنا أحب حكم عمر بن الخطاب ، ولو كان النظام الإسلامى كالنظام الذى حكم به عمر لآثرته على الشيوعية . .

قلت له : أتعلم أن عمر الذى أعجبك كحاكم إسلامى قتل ابنته فى الجاهلية ؟ إن الذى حول عمر قاتل ابنته فى الجاهلية إلى أعدل حاكم هو الإسلام .

فمن يطبق مبادىء الإسلام كما أمر الله ورسوله سيكون مثل عمر . . ولهذا كان لابد من هذا التمهيد كى ألقى ضوءاً مختصراً عن الإسلام ومبادئه ونظامه ، للذين لم يقرأوا عن الإسلام إلا ماكتبه خصومه وشانئوه والمتربصون به ، وهؤلاء ليسوا بأخطر ممن كتب عن الإسلام وهو يجهل الفرق بين الإسلام كنظام كامل وبين ما ادعاه حكام القهر والجبروت ، وأرادوا صبغ ادعائهم بالصبغة الإسلامية فوجدوا من

الكتاب من يلوون ألسنتهم بالكتاب ، وما هو من الكتاب فى شيء ، ويتصيدون خبراً من هنا وقصة من هناك ، وصوت الحق قائم فيهم : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب » ٨٦ — البقرة .

* * *

• العدل فى الإسلام :

وأبدأ بالعدل فهو أساس الملك . ولايعرف قيمة العدل إلا من اكتوى بالظلم ، كان السكارى والمأجورون ، يتغنون فيما مضى :

— احنا اخترناه وحنمشى وراه . .

— ولا يهمك يا ريس من الأمريكان يا ريس . .

وكذبوا فقد كانوا فى سكرتهم يعمهون . .

وفى الوقت نفسه كان معسكر الإيمان يقع خلف قضبان المعتقلات والسجون ، تلهب السياط أجسادهم ، يراد لهم هضم الشعارات الزائفة وترقب المجد الكاذب ، وانتظار النصر القريب . . ولكن نفوسهم المؤمنة بوعد الله ووعيده تردد فى ثقة ويقين . .

« إنه لا يفلح الظالمون »

العدل فى الإسلام ينبع من عقيدة المؤمن ، فالله تعالى يقول فى الحديث القدسى : « يا عبادى : إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا . . » .

ويفرض الله تعالى العدل على المؤمنين وينهاهم عن الظلم أو التعدى ، ولو كان الخصم هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ، وأسوق آيتين من سورة المائدة :

(ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب) الآية ٣ .

والآية الأخرى :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) الآية ٨ .

ويقول فى سورة الرحمن :

(والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .

والعدل الذى أراده الله وفرضه هو العدل الذى لا يميل مع الهوى، ولا يغير منه قرابة رحم أو جيرة أو عقيدة ، فهو ميزان العدل الذى يقف الخصمان أمامه فينسى الحاكم نسبهما وملتهما ، ويقضى فى قضيتهما بما أنزل الله ، وحسبنا أن نتدبر قول الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء — ٥٨ .

وليس بمستغرب هذه الدقة المتناهية فى إقامة العدل بين الناس ، كل الناس ، حين يأتى فى سورة ، أول آية فيها :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا) — النساء .

ولا تخضع العدالة فى الإسلام لهوى الحاكم ولا لهوى المحكوم ، لأن الحاكمية لله ، ويتجه الخطاب فى آيتين كريمتين للرسول الخاتم صلوات الله وسلامه عليه :

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ..) ٤٨-٤٩ المائدة

وحكم الرسول بالعدالة التى أرسلت أشعتها على التاريخ كله فأنارت جانب الخير فيه ، فلا يشبع الرسول حين يجوع المسلمون ، ويعلن على صحابته . (نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة) .

وقطع بذلك خط الرجعة على أقاربه والمتزلفين للحكام ، فأيأسهم من دنيا هو زاهد فيها ، ولم يكن هذا فحسب ، بل امتدت العدالة إلى بساط الدين ، فليس لقرشى فضل على أعجمى إلا بالتقوى ، وينادى أقرب الناس إليه : (يا فاطمة بنت محمد اعملى ، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا . . .)

(يا بنى هاشم . . لا يأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتوا له بالأنساب فترفعهم أعمالهم وتخفضكم أنسابكم) . .

وبلغت العدالة قمتها السامقة فى خطبة الوداع حيث قدم - صلوات الله وسلامه عليه - ما لم يسجل مثله التاريخ عبر قرونه كلها ، فقال صلوات الله عليه وسلامه :

(من كنت قد آذيت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتص منى) . .

ولم تتوقف العدالة عند رسول الله . . وإنما جاء الخلفاء الراشدون الذين تربوا على مأدبة الإسلام فيقف أبو بكر يخطب الناس : (وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن وجدتم فى خيراً فأعينونى ، وإن وجدتم فى اعوجاجاً فقومونى) . .

ويأتى من بعده عمر ليقول : (يا عمرو : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ نحن أولى بالعدل من كسرى) .

ويقول رضى الله عنه : (لو عثرت بغلة فى العراق لوجدتنى مسئولا عنها أمام الله ، لم لم أسو لها الطريق . . ؟)

قرأوا القرآن وتدبروه ، واتبعوه ، وسمعوا الرسول يعظهم ويربيهم ويؤهلهم لحمل الأمانة ويزكيهم ، ويقول لأقربهم إليه : (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) .

ومن رسالة لعمر يوصى فيها أبا موسى الأشعرى :

(لا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك ، أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم ، لايبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . . وإياك والغضب والقلق ، والتأذى بالناس ، والنكر عند الخصومة) .

• **العدالة الاجتماعية فى الإسلام :**

قامت الثورات فى العصور الحديثة وتزعم لنفسها الانتصاف للفقراء من الأغنياء ، ووضعت لذلك عنواناً ضخماً أسمته الاشتراكية ، ويعلم الله مدى السرقات التى ارتكبت باسم الاشتراكية ، وكم من المآسى والأحقاد صبت على رؤوس رجال هم نماذج لما يمكن أن يقوم به الرخاء فى البلاد الراقية .

عدالة الإسلام الاجتماعية تنبع من العقيدة ويفرضها النظام الإسلامى ولا يضع الإسلام ذلك فى صورة أحقاد أو تعد ، أو ما يسمونه إذابة الفوارق . وإنما تسير العدالة الاجتماعية وفق نظام دقيق يراقب قول الله تعالى : (لا تَظلمون ولا تُظلمون) .

الزكاة فريضة وهى حق معلوم للسائل والمحروم .

(ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) .

وينادى الله عباده فيرغبهم فى الإنفاق ليرفعهم به إلى درجة الإحسان . وليفتح لهم به جنـــات عرضها السموات والأرض فيقول

ربنا : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ١٣٣ و ١٣٤ آل عمران .

ولا يجعل الزكاة اختياراً يخرجها من يشاء ويمسكها من يشاء ، وإنما هى ضريبة الإيمان ودليله :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ٣ — البقرة .

وحسب امرىء أن يقرأ سورة البقرة بتدبر ليستدل على فرض الزكاة والإنفاق لبناء المجتمع المتحاب والمتعاون :

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) — ٤٣ .

(وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) — ٨٣ .

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) — ١١٠ .

(. . . وأقام الصلاة وآتى الزكاة . . .) — ١٧٧ .

(وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين . .) — ١٩٥ .

(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ١٤٥ .

(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون) — ٢٥٣ .

(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون . .) — ٢٦٧ .

(الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) —٢٧٤

هذا ، وغير هذه آيات كثيرة فى سورة واحدة ، ويأتى فى نفس السورة أربع آيات يحرم الله بها الربا تحريماً قاطعاً ، ويكون التعقيب عليها :

(وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون . واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون) — ٢٨٠ و ٢٨١ .

ولما كان الإسلام لا يريد للمجتمع أن يتواكل أفراده ، بل أن يكون مجتمعاً عاملا بناء فيوضح كتاب الله ما للمنفقين من درجة ومن فضل فيقول تعالى : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين ، بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما) — ٩٥ و ٩٦ النساء .

ولا يعالج الإسلام المشكلة بالأحقاد ولا بالشعارات وإنما يرسم الطريق بالحكمة والأخوة والرحمة .

ويكفينا أن نتأمل حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه إلى اليمن فقال :

(إنك تأتى قوماً أهل كتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله — عز وجل — افترض عليهم صدقة فى أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) .

نحصل المال بهذه الصورة الكريمة فنذهب غيظ الفقير ونبقى على مودة الغنى ، ونحطم أحقاد المجتمع . .

ولا يصبح المال بهذه الصورة ملكاً للحاكم يبعثره كما يشاء أو يدخره لذريته ، أو يحوله إلى بنوك فى الداخل أو الخارج ، إنه حارس عليه ، فإن كان غنياً فليستعفف ، وإن كان فقيراً فليأخذ منه بالمعروف ما يسد حاجته . واضعاً فى صميم تفكيره أن الله لابد سائله عن المال كيف جمعه ، وفيم أنفقه . وسائله عن رعيته والرسول صلى الله عليه وسلم قال فى وضوح : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) والحاكم راع وسوف يسأل عن رعيته فكيف يكون حاله حين يسأل بين يدى الله عن الفقراء كيف ضاعت حقوقهم؟ وعن المساكين لم سلبت أرزاقهم ؟ بل وعن الدواب لم لم يمهد لها الطريق . ؟

ولن ينفعه ما أنفقه على وسائل الإعلام . والله سبحانه حذر وأنذر : (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) ١٨٨ ــ آل عمران .

ولا ينفعهم ما كنزوه لأنفسهم : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) ــ ٣٤ التوبة .

ولا ينفعهم ما أنفقوه على شهواتهم ونزواتهم :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) ١٤ ــ ١٧ آل عمران .

ولو ركزنا الانتباه على الآية الأخيرة : (الصابرين والصادقين) كان لنا أن نسأل : إذا وجد الراعي المتصف بها فأين منه لينين وستالين وأدعياء اشتراكية هذا العصر ؟

وإذا وجدت الرعية المتصفة بها فأين منها الشيوعيون أو الرأسماليون على السواء ؟ .

(وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات) .

صدق الله العظيم

* * *

• الجهاد فى الإسلام :

حين حلت بمصر هزيمة يونيو ١٩٦٧ انتهز الشيوعيون الفرصة السانحة لهم ، وأشاعوا وكتبوا وأذاعوا بأن سبب الهزيمة المنكرة هو ما يعتنقه المصريون من مبادىء دينية . .

وكانت الفرصة مواتية لهم . .

فجند الإسلام منهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر فى غيابات السجون ، وخلف أسوار المعتقلات ، أو خارج السجن الكبير مشردين فى الأقطار فى مشارق الأرض ومغاربها . . وصحافة مصر وكل وسائل إعلامها يومئذ مشغولة بالبطل الذى لم تنجب مصر مثله . بل ومجلس الشعب يرقص طرباً للبطل الذى تسبب فى هزيمته فى الخامس من يونيو حسب اعترافه هو ، حين أعلن تحمله المسئولية ثم تنازل عن الحكم فلم يجد من يسائله ، وهتف المرتزقة : العودة لقيادة المسيرة !

ووسائل الإعلام ظلت تنفخ فى البالون ولم تكن هناك فرصة لكلمة حق تقال ، ولا فرصة لسماع ما تنشره إذاعات العـــالم ، فأموال قوى الشعب العامل تنفق على أجهزة التشويش وعلى وسائل

إعلام الناصرية ، التى فاقت إعلام جوبلز وأمريكا ، وإن كانت فى الداخل ، فلم يكن هناك مجال لترويج زيف الشعارات فى خارج البلاد ، انتهز الشيوعيون الفرصة ومنوا البطل ووعدوه وصدق البطل ما منوه به ، لأن أحلام اليقظة كانت لاتزال تعمل ، تتحطم كل جوارح الإنسان وتبقى أحلام يقظته تبنى القصور وتصنع الانتصارات ، وارتاح باله حين روجت وسائل إعلامه أن سبب النكسة يمكن أن يرجع إلى أى شىء إلا إلى البطل الأسطورى ، ولم يكن فى مقدور أحد أن يسأل البطل الخرافى :

أين تصريحاتك قبل المعركة ، التى أعلنت فيها تحديك لإسرائيل ومن وراء إسرائيل ؟ ويعلم الله أن الهزيمة القاتلة لم تكن نكسة ، وإنما كانت نتيجة طبيعية لحرب أعلنها الطغاة على الإسلام يرضون بها روسيا من بعد أمريكا . وسبحان الله منزل المعجزة الخالدة ، منزل الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يحذرنا الله أهل الكتاب فيقول :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . .)

ثم يقول فى آية أخرى يحذرنا الكافرين :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) ١٠٠ — ١٤٩ آل عمران . .

ونصغى لآيات القرآن الكريم :

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ١٥ — ١٦ الأنفال .

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) ٤٥ ـ الأنفال .

وبعد هذا نسائل الشيوعيين : من الذى أصدر الأمر بالانسحاب هل هو كتاب الإسلام أم الشيوعيون والعملاء . . ؟

ويأتى بعد الآية الأخيرة آيات ثلاث ، تدعونا لطاعة الله ورسوله وتحذرنا تحذيراً قاطعاً مما حدث فى يونيو وما قبله وما بعده :

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم . فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم) .

بعد هذا الوضوح ماذا بقى لأقوله ؟

لقد سمعنا من أبطـــال الهزيمة تعللات تقىء الأحرار . . . كنت أجلس مع أستاذ جامعى كبير وسمعته يقول : أليس لديكم ما تقولونه إلا ما فعله أبو بكر وعمر ؟ وقلت : له وماذا نصنع ؟ إذا قلنا لكم قال رسول الله كذا أو فعل رسول الله كذا قلتم : إننا لسنا كرسول الله ، وعلى كل فتحضرنى فى هذا المقام مقالة ليست لعمر ولا لأبى بكر ، وإنما هى لقائد كان يعمل ولا يتجر فى الشعارات ، إنه صلاح الدين ، جلس بين أصحابه وهم يتفكهون ويضحكون ، وصلاح الدين مقطب الجبين ، فسأله أحدهم : لماذا لا تبتسم مثلنا ؟

فقال رحمه الله : (أستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسجد الأقصى يحتله الصليبيون) .

وجاء يوم أغر فى التاريخ انتفض فيه صلاح الدين ومعه جنده

كالبنيان المرصوص يصيحون فى صوت واحد « الله أكبر ولله الحمد ».
واستمرت مسيرتهم واستمر نداؤهم واستمرت سيوفهم تعمل ابتغاء مرضاة الله ، وحداء السماء يملأ مسمعهم : (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ــ آل عمران .

وقبل حرب رمضان ظل بوق الناصرية (هيكل) يخرج علينا فى كل يوم جمعة بمقال فيه اليأس وفيه القنوط ، ويعلن فى يأس وفى غير حياء : أنه لا قبل لنا بحرب إسرائيل ، ويسوق الأدلة والبراهين وعلى قمتها أنه لا يمكن لقائد أن ينتصر فى حرب فشل عبد الناصر فيها من قبل ، وكان يبدو واضحاً من كلامه أنه يعز عليه أن ينتصر السادات أو غيره فيما انهزم فيه عبد الناصر .

وجاء العاشر من رمضان وانطلقت حناجر الجند (الله أكبر) فعبروا ودمروا حصون اليهود وصدقهم الله وكذب بوق الناصرية الكذوب . . وأذكر خطبة الجمعة التالية لآية الله فى نصره لنا قلت فيها : قلنا الله أكبر فعبرنا وحدثت الثغرة ، ولو قلنا الله أكبر ولله الحمد لانتصرنا وما حدثت الثغرة لقول الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ذلك النداء الذى هتف به اثنا عشر فدائياً من جند الإخوان المسلمين فى دير البلح فحطموا القرية . .

ورأى النتيجة قائد إنجليزى فقال : اعطونى ثلاثة آلاف جندى من هؤلاء أفتح بهم فلسطين . .

الله أكبر ولله الحمد . ما خاب من حمل لواءها وباع نفسه لله !

إلى المجهول

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

من الزقازيق إلى القاهرة

كان يوماً من أيام الصيف القائظة حين عدت من مستشفى منيا القمح إلى عيادتى بالزقازيق ، فوجدت صديقى النقيب الطاهر ضابط المباحث ومعه رفيق له ينتظرانى فى العيادة . .

سلمت عليهما وأمرت بإحضار الكوكاكولا . وبدلا من أن تمتد يداهما إلى الكوكاكولا لاحظت تغيراً فى وجهيهما ، فى أول الأمر ظننت أن لهما حاجة عندى ، ثم ظننت أن أحدهما مريض لا يحب الشراب البارد ، وتصفحت وجهيهما فاعترتنى ريبة ، ولم يتركنى النقيب الطاهر كثيراً بل سألنى :

هل عملت شيئاً ضد الدولة منذ مدة قريبة . ؟

قلت له : لم أعمل شيئاً ضد الدولة لا منذ مدة قريبة ولا منذ مدة بعيدة . .

فقال : لدينا أمر بتسليمك لمباحث أمن الدولة بالقاهرة لمواجهتك بمعلومات . .

لم يتغير أى شىء فى نفسى داخلياً ، ولا فى مظهرى خارجياً . وقلت لهما : هذا لا يمنع من شرب الكوكاكولا . وشربا . .

وصعدنا السلم حيث يوجد مسكنى بالدور الثالث فوق العيادة . .

سألنى : هل قلت كلاماً فى حق الرئيس ؟

وسألته : هل فى الزقازيق مباحث أمن دولة غيركم ؟

فقال : لا . من جانبنا اطمئن ، فنحن تسعدنا سمعتك الطيبة فى البلدة كلها ، ولن نقول عنك إلا ما نعلمه .

كانت الساعة الثانية من مساء اليوم الرابع عشر من سبتمبر ١٩٧٠ وتذكرت آخر كلمة قلتها ، وكانت تعقيباً على نقاش بيني وبين زملاء كانوا يتكلمون عن حرب الاستنزاف كما سماها جمال ، وقبول مبادرة روجرز ، وعن الاحتمالات التي يمكن تحقيقها بعد ذلك ، وماذا يستطيع جمال عمله بعد ذلك ؟

والذى أذكره مما قلته : « لا يمكن لصانع الهزائم أن يحقق نصراً » .

سألني النقيب الطاهر عن حجرة المكتب ودللته عليها ، وأخذا يبحثان عما يمكن أخذه ، فقلبا الكتب وما أكثرها ، معظمها كتب إسلامية فأخذا عينات غير قليلة منها ، ووجدا كتباً عن الشيوعية ، كنت اشتريتها من مكتبة الأهرام بثمن بخس لايساوى ثمن الورق الذى تحتوى عليه .

فى الوقت الذى أعدم فيه جمال الشهيد سيد قطب ، وأصدر أمره بإعدام كتبه الإسلامية ولا أعلم أن شهيد الإسلام سيد قطب قد كتب فى غير الإسلام ، فى نفس الوقت صدر أمره بإطلاق كتب الشيوعية ، وإنه لتوافق يوحى بما دبره أعداء الإسلام للنيل منه . .

والحقيقة أن وقتى ضيق ولم أكن أطمع فى قراءة زيف الشيوعيين ، فأنا بخيل بوقتى فلا أنفقه إلا فيما ينفع ، وكم يحزننى أن يضيع فى لغو ، أو فيما لا يعود على بفائدة . .

ولكن راعنى ورقها المصقول وطباعتها الأنيقة ، وثمنها الزهيد ، ووجدت البلاد تكاد تتردى فى الشيوعية وبخاصة بعد الهزيمة المدمرة ، وإصرار جمال عبد الناصر على طريق الخسارة الملعون ، وربما داعب فكرى أن يكون وجود هذه الكتب تمويهاً فيما لو حدث تفتيش بيتى ، وأمسك النقيب الطاهر بها جميعاً وقال : سآخذها كلها ، وأبديت ارتياحى بعد أن أصبح معروفاً للجميع بأن الشيوعية لم تعد

اتهاماً بعد أن سار جمال فى فلكها ، ولكن الاتهام الخطير هو ما أرق مضاجع جمال من أن ثمانية عشر عاماً لم تكف لغسل مخ الإخوان من الإسلام ليستبدلوا به الناصرية ، وإن فشلت ، ويصفقوا لشعاراتها وإن انهزمت وتهاوى كورق الخريف . .

وذهبت إلى الثلاجة فشربت ماء وحين عدت وجدت النقيب الطاهر يمسك بكراسة ساءنى رؤياها فى يده . . هذه الكراسة تربطنى بالإخوان المسلمين ربطاً لا فكاك منه . .

ما قرأت للشهيد حسن البنا مقالة ولا كلمة إلا كتبتها فى هذه الكراسة حتى امتلأت . .

نظر إلى ونظر إلى رفيقه وقال باستخفاف : تواريخها قديمة من سنة ١٩٤٧ . .

وانتقل من حجرة إلى حجرة ، وقال : احمد الله ، لو اختلفت الظروف لكان للتفتيش طريقة أخرى ، فحمدت الله . .

أطفالى الثلاثة ينظرون فى استغراب إلى ما جرى أمام أعينهم . .

ودخل حجرة جلس بها والدى « رحمه الله » وكان قد كف بصره من شهور قلائل ، فنظر لوالدى وقال فى أدب : يكفى هذا . .

لم أجد الجرأة على إخبار والدى بشيء فما كنت أدرى شيئاً . . وكانت أعصابه قد زاد توترها بعد فقدان بصره . .

أمسكت سماعة التليفون لأخبر زوجتى وما كدت أسمع الجرس يدق حتى وضعت السماعة فما وجدت الألفاظ التى يخف بها وقع الخبر عليها . فأعلمت الممرض برحيلى وأخبرته بتوقعات ضباط المباحث من أن الأمر لن يعدو مواجهتى بمعلومات ثم أعود . .

تعلقت أعين أطفالى بى ولم أجد ما أقوله لهم وأنا أفارقهم مع ضباط المباحث . .

العيون تتناجى بالألم ، والنفوس تفيض بالحــزن ، ولم يبق إلا الدموع أذرفها ليس على شخصى وإنما على مصر . . . على جهاد الذين جاهدوا ليزيحوا كابوس الاستعمار ، لتتنسم الحرية ولكيلا تتكرر دنشواى .

لقد قتل أهل دنشواى اثنين من الإنجليز . . وأعدم الإنجليز ثلاثة من أهل دنشواى . .

فثارت مصر وظهر من أبطالها الأفذاذ أمثال : محمد فريد ، ومصطفى كامل ، ثم جاء الشهيد حسن البنا ، طاف مصر من أقصاها إلى أقصاها يكشف عبث الاستعمار وأعوانه ، ويشحذ الهمم ويعد الكتائب لإقلاق راحة الإنجليز ، وليضع نظريته الصائبة : لن يخرج الإنجليز إلا إذا أقلقنا راحتهم ، ومازلت أذكر صوته الحلو . وهو يردد قول جمال الدين الأفغانى لأهل الهند : « يا أهل الهند ، لو انقلبتم إلى ذباب لأقلقتم راحة الإنجليز بطنينكم ، ولو انقلبتم إلى سلاحف لاقتلعتم الجزر البريطانية من جذورها » . .

وحكم جمال عبد الناصر ، وإن فى النفس لحسرة ولوعة وأسى ، فغرت المعتقلات أفواهها . واستورد لها ضروب الكيد وفنون الاذلال وألوان التعذيب . . لفق القضايا وعشتها بأعصابى الحزينة ، وكنت أعلم مدى خستها وحقارة ملفقيها . .

وحول السجون إلى جحيم . . لا يطاق . .

واستباح دماء الأبرياء . .

وفوق المعتقل والسجن والقتــل ؛ ذلك الاذلال الناصرى اللا إنسانى . .

ركبت مع الضابطين إلى مبنى المدرية وجلست فى حجرة بجوار حجرتهما ، وجاءت كوكاكولا وكانت باردة فشجعتنى على شربها

وأقبل النقيب الطاهر يعتذر لأنه يكتب إحصاء بالكتب والأوراق ويكتب تقريره ، وطال الانتظار . . . لا أدرى لماذا استطلت الوقت الذى مر على فى مبنى المديرية ؟ كان النقيب الطاهر يمنينى بأنى سأواجه بمعلومات وأعود بنفس العربة إلى الزقازيق ، والحقيقة أننى فى أشد الظروف أتفاءل وأتعلل بالأمل ، ويحضرنى بيت شعر أردده لأنه يصادف راحة لنفسى :

أعلل النفس بالآمال أرقبها   ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

الوقت يمر والضابط يكتب ، وأسلمت أمرى لله ، وليس أحب إلى من التسليم ، مهما اشتد الخطب وادلهم الأمر ، ففى التسليم راحة للنفس ، وتحقير للمصائب ، وتثبيت للفؤاد .

أذن للعصر فصليته وظل النقيب الطاهر يقبل ليعتذر ثم يدبر ، وأخبرنى بأنه لن يكتب إلا ما يعلمه عنى ، إخـــلاص فى العمل ، وتقدير من الناس ، وسمعة طيبة ، وقال فى مرة إنه اتصل بالرئاسة فى مصر وكل شىء معد للرحيل ، وسمعته يصدر أمره لإعداد القوة التى ستصاحبنى إلى القاهرة ، واستبشرت بدنو ساعة الصفر . على أمل أن يكون الأمر حقاً هو مواجهتى بمعلومات وأقول الحق وليس فى الحق مايدين ، أو ربما كان هناك خطأ فى طلب القبض على ، وعند المواجهة يتضح الخطأ وأعود فى نفس اليوم . .

وكانت الأحداث فى آخر أيام عبد الناصر كفيلة بكبته ، وجديرة بأن تدعوه إلى التفكير فلا يصر على طريق البطش والعنف والتنكيل . .

وأقبلت قوة من رجال الشرطة وعلى رأسهم رائد ، نظر إلى ثم تعلقت عينه بقيد حديدى مع جندى فتدخل النقيب الطاهر وأشار إلى وقال : الدكتور جابر الحاج أخصائى الأذن والأنف والحنجرة .

تعلقت عينا الرائد على فهمى بى ومد يده يصافحنى وقال : سمعت عنك كثيراً ولم يسبق لى شرف رؤيتك ، وأومأ لحامل القيد أن يبتعد ، نزلنا إلى فناء المديرية ، وركبت مع الرائد على بجوار السائق وركب الجنود فى الخلف .

سألنى عن سبب اعتقالى ، وقلت له : علمى علمك ، ورغم زحمة الأفكار كنت دائم التطلع إلى الساعة مؤملا ومسرفاً فى الأمل . . لأواجه بالمعلومات وأعود فى نفس اليوم مع الصديق الجديد الرائد على فهمى . . .

وهكذا أكسب الأصدقاء فى لمح البرق ، ألتى الرجل فأجد فيه صفات الرجولة والمروءة فيصبح عندى الأخ والصديق . . كان فى استطاعة الرائد على أن يضع القيد فى يدى ويجلسنى مع الجنود . . . ولكنه لم يفعل برغم ما لديهم من معلومات مؤكدة بأن إذلالهم للمعتقلين يدنيهم من قلب الحاكم ويذهب عنهم حرج المسئولية ويرفعهم درجات . .

وكانت صداقتى للنقيب الطاهر ليست أكثر من اتصال خاص بعمله وجاء يسألنى عما نما إلى علمه من سرقات وتسيب فى المنطقة الطبية ومدى علم مدير عام الشئون الصحية السابق بها ، وتستره عليها ، وأخبرته ووجدت فيه الوطنية والإخلاص لعمله وقدمت له الوثائق والحقائق والأرقام ، وغاب عدة أسابيع ثم جاء فقلت له : لم أر نتيجة لاهتمامك . فأسر إلى بأن المدير من أهل الثقة ، وحذرنى من التمادى ضده . . . ولم أهتم بتحذيره ولكنه كان صادقاً وظللت أدير المعركة ضد المدير العام فى القضية ٢٤٧ ـ ٦٩ نيابة إدارية الزقازيق — حتى فوجئنا بنقله إلى القاهرة ثم جاء اعتقالى بعد نقله بعدة أسابيع . . .

لم يحدثنى الرائد على كثيراً وترك لأفكارى حرية إقبالها وإدبارها . .

ماذا يمكن أن تكون المعلومات التى سأواجه بها ؟ لقد خبرت أسلوب الناصرية والناصريين . أكاذيب . نسجوا منها قضايا وأدخلوا بها الأبرياء فى السجون والمعتقلات وقتلوا أنبل وأشرف الرجال . . . وسرح الفكر هنا وهناك ، فتارة يغوص فى أغوار التاريخ ، وتارة يطفو على سطح الحاضر المر .

دخلت السيارة بلدة بلبيس ، وبعد أن قطعت من الشارع الرئيسى شوطاً بعيداً اضطرت إلى التوقف فقد كانت الشوارع بها حفر عميقة لإصلاح المجارى ، وكان على السيارة أن تسلك طرقاً جانبية ، وأبدى السائق قلقه على السيارة أن تتوقف ، وقد كان على حق إذ كان يبدو عليها أنها من بقايا عهد فاروق . . وكان هذا داعياً لتحويل سلسلة أفكارى . .

هذه هى بلبيس لم تبد عليها ما زعم الزاعمون من إصلاح ، فقد كانت هى وغيرها من بلاد مصر فى المرتبة الثانية بعد الكونغو واليمن وليس كما يزعم تجار الحروب الفاشلة . ومروجو شعارات المعلم والزعيم والقائد . .

وتركنا بلدنا بحالتها التى كانت عليها ليأتى الزمن على البقية الباقية منها . .

كانت الشمس تدنو من الغروب وتعطلت السيارة فى حوارى بلبيس وقتاً غير يسير ، ويئست من العودة فى نفس اليوم . وتعلقت أفكارى بزوجتى وأولادى كيف يواجهون عدم عودتى . .

ويستمر الفكر الشارد بين يأسه وأمله . . هل يعقل أن أكون مطلوباً لمواجهتى بمعلومات وأجد المسئول الذى ينتظرنى لأوضح له الأمر ثم أعود . . . ؟

خرجنا من بلبيس إلى الطريق المرصوف وبجوارى الرائد على فهمى ، الذى ترك لأفكارى انطلاقها فلم يقاطعها إلا بأقل القليل من

كلمات المجاملة والتشجيع . . . بعد بلبيس تقع قرية غيته وكان مروري بها داعياً لتحويل أفكاري . يقال : إن نبي الله يوسف عليه السلام كان يقيم بالشرقية وفى هذا المكان بالذات ، ويقال : إن مخازن القمح كانت تقع فى هذا المكان . .

يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . . ولم يمنعه طهره وطهر شجرته الطاهرة من أن يدخل السجن ويلبث فيه بضع سنين . . كان الظلمة يعلمون طهره ونقاءه ولكنهم حبسوه لينقذوا سمعة امرأة العزيز . وما أشبه الليلة بالبارحة ، ففرعون مصر الحديث كان يعلم طهر الإخوان ونقاءهم ، ولكنه يصر على تحطيمهم ليستر فشله فى الكونغو وفى سوريا واليمن وسيناء ، لكن فرعون مصر وملكها القديم كان أحرص على مصلحة بلده ، فلما بدا له طهر يوسف قال له : «إنك اليوم لدينا مكين أمين» وقال يوسف : «اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم» . .

كان فرعون الماضى يرفع أهل الكفاءة ليحفظ للبلاد رخاءها ؛ أما فرعون مصر الحديث فيحطم الأكفاء ويرفع أهل الثقة فحطم اقتصاد البلاد ، ومكن فيها شر أعدائها ، طلب إلى مخابراته أن يكتبوا له أكفأ الموظفين وأخلصهم وأشدهم أمانة ، وأن يذكروا ميولهم وجاءته التقريرات ، وراعه أن وجد معظمهم ذوى ميول إخوانية فزق التقريرات وألقى بها فى وجه كاتبيها وقال «ألم تستدلوا إلا على الإخوان ؟ ؟»

لقد ذكر الله تعالى اسم فرعون فى القرآن الكريم ٧٦ مرة . ولم يذكر حقيقة اسمه مرة واحدة ، وترك للمؤرخين ليختلفوا فيه ، حتى قيل : إن فرعون الذى ربى موسى ليس فرعون الذى خرج فى

حكمه موسى وبنو إسرائيل ، ولا يعنينا هذا فالعبرة بهذا التنكير لأنه أوقع ، ليعلم كل الفراعين وكل الطغاة أن الله لهم بالمرصاد : « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ٤٠ سورة العنكبوت .

وكانت وجهة رسالة موسى إلى الحاكم ، وهذا يرينا أهمية الحاكم حين يصلح فتصلح رعيته ، وحين يفسد فالويل لرعيته منه ، والويل له ولتابعيه من الله ، وقديماً قال الشاعر :

إذا كان الغراب دليل قوم ... يمر بهم على جيف الكلاب

حين يكون الحاكم تقياً يقول للناس : « إذا وجدتم فى اعوجاجا فقومونى » فيجد من يقول له : (لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فلا تنشق الأرض ولا تخر الجبال هدا ، وإنما يقول فى إيمان وتقى : (الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم اعوجاج عمر) ومن أقواله رحمه الله (رحم الله امرءا أهدى إلى عيوبى) .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للحاكم يصلح بصلاحه خلق كثير » .

وإنها أخلاق الإسلام السمحة التى ترفع صاحبها فوق حب الانتقام ، دعوة ابن تيمية المستجابة يتمناها للحاكم الذى وضعه فى السجن ليقضى بين جدرانه معظم أيامه .

وهى أخلاق الإسلام التى جعلتنى أجلس أمام التليفزيون لأستمع لجمال يوم ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ ولم يكن منظره منظر بطل المنشية سنة ١٩٥٤ ، بل كان منظراً يذكر بالحكمة القائلة : (اللهم لا شماتة بالأعداء) وفعلا تأثرت أشد التأثر وبخاصة حين قال : (ربما كان فى ذلك خير ، لنرجع إلى الله) .

بطنته تاب وأناب ، وبرغم فداحة المصائب التي جرها على البلد بإصراره على الخطأ وعناده . وإذلاله للمواطنين الشرفاء . برغم العار الذي جلبه ، برغم الدماء الزكية التي سفكها ، والحرية التي كبلها ، والأبرياء الذين أذلهم ، برغم كل هذا تمنيت أن يصدق ولو مرة ، وأن يتفتح قلبه للتوبة الصادقة ، وأن يكون يوم العار في تاريخ مصر كما وصفه محمد هيكل ربيب جمال ، تمنيت أن يكون هذا اليوم فرصة جمال إلى التوبة والتعقل وسألت الله تعالى : أن يتوب على جمال أويتوب على الشعب منه .

وهيهات هيهات ، فقد أخذته العزة بالإثم ، وجلست في الخطبة التالية وكنت حريصاً على سماعها ، لأرى ولأسمع علامات التوبة والرجوع والإنابة . . فوجدتني أمام جمال بطل المنشية وبطل باندونج وبطل النكسة .

جمال الذي لم يعجبه من الأفكار إلا فكره ، ولا من الأنظمة إلا نظامه ولا من الناس إلا نفسه ومن تملقوه ، وأطروه ، شق عليه أن يعلن ندمه على ما فات وعز عليه أن يطلب من الله إصلاح ما بقي . . .

أيها الرفاق . . هكذا بدأ خطابه في أعضاء مجلس الشعب والوزراء والقادة وأهل الثقة . وللشعب الجالس حول أجهزة التليفزيون :

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

أيها الرفاق .. إذن هو الخط الشيوعي الفاشل .. خط الهزائم والفقر .. وردد ما لفقه له هيكل . إننا انهزمنا في ٥ يونيو ولكننا انتصرنا في ٩ و ١٠ يونيو . .

ولا تستطيع أمريكا أن تدفعنا إلى الاستسلام . لقد سخرت أمريكا العملاء وسخرت الإخوان المسلمين لضرب الثورة ولكنها باءت بالفشل فقد قضينا على الإخوان .

إنها عينة من البطولة ونموذج من نماذج الزعامة الناصرية تغنى بها المغنون ، وعزف على عودها المداحون ، وأبرزتها وسائل إعلامه .. البطل والزعيم والقائد والمعلم ، بطل اليمن وبطل سوريا من قبل وبطل الانسحاب المستمر من كل حرب قبل أن يخوضها مع إسرائيل : « لا يضير أن نخسر معركة ، فأمريكا انهزمت من اليابان ، وإنجلترا انهزمت من ألمانيا ، وهزيمتنا فى ٥ يونيو ليست هزيمة بالمعنى المعروف إنما هى نكسة » ولعلها تعبير عن المثل العربى « لكل جواد كبوة » وكأن الحصان الناصرى انتصر على إسرائيل واعترته كبـــوة عند تل أبيب . . .

ولكن برغم الزيف والادعاء فقد عبر الشعب الواعى بنكته على كل ما يرى ، وكان أبرزها بعد المعركة الخاسرة « جمال يخطب وهيكل يكتب وموشى ديان يدخل » .

وتصل إليه نكت الشعب يعبر بها عن واقع إحساسه فيخطب جمال ليقول : إن النكت يطلقها جهاز مخابرات إسرائيل .

غربت الشمس قبل دخول العربة إنشاص ، وعند أبى زعبل عم الظلام . ودخلنا الإدارة العامة للمباحث مع أذان العشاء . .

فوجدت المبنى ضخماً لا يتحرك المرء فيه إلا بإذن ، فإن دخل فبإذن . وإن صعد فبإذن ، وإن تحرك من حجرة إلى حجرة فأعين الرقباء مسلطة عليه .

وسأل الرائد على عن المسئول وأوصله واحد إلى الآخر ، واستقر المقام أمام واحد أخرج من مكتبه ورقاً ، رنا إليه الرائد على . ولمحت وجهه قد تغير . ثم أصدر المسئول أمره بتسليمى لآخر ، وسار معى الرائد على إلى آخر مكتب يجلس عليه عقيد يلبس الملابس المدنية ،

وقال للرائد على : اتركه . وفى ركن من الحجرة قال الرائد على هامساً : هل تريد شيئاً ؟ وتذكرت أننى أخذت مفتاح دولاب ملابسى معى ، وحاولت وضع يدى فى جيبى فقال بسرعة : لاتضع يدك فى جيبك ولا تعطنى شيئاً ، وقلت له : معذرة . .

نسيت أن الطغيان أخاف كل الناس وبخاصة رجال الحكومة الناصرية ، الذين يفترض فيهم تحجر العاطفة ، وانتفاء الرحمة وتبلد الإحساس . .

وشكرت الرائد على قبل مبارحتى : وصافحنى فى رجولة وهمس : تجلد والله معك . .

* * *

إلى الباستيل الصغير

مضى الرائد على ومعه جنده ، وبقيت فى حراسة اثنين سألتهما عن دورة المياه حيث توضأت وسألتهما عن القبلة وصليت المغرب والعشاء جمع تأخير وانتظرت ما يأتى به الغيب . .

لمحت على منضدة كبيرة فى إحدى الحجرات رسائل كثيرة تفض وتقرأ . يقرؤها المتلصصون على أسرار الشعب ، وتذكرت الرسائل التى كانت ترد إلى أثناء أداء فريضة الحج ، وكانت مفتوحة وعليها من الخارج ختم الرقيب . .

أحالت الناصرية البلدة كلها إلى سجن . .

الرسائل تفض وتقرأ . .

التليفونات تراقب . .

المخابرات فى كل مكان تتصيد ما تهمس به الشفاه . .

ثم صدر الأمر بتدبير عربة ، وركبت فى الكرسى الخلفى بين حارسين وجلس بجوار السائق ضابط بملابسه المدنية .

سارت العربة فى شارع الشيخ ريحان . وكنت أعرف المكان جيداً ، فقد اشتغلت إخصائياً للأذن والأنف والحنجرة بمستشفى أحمد ماهر ستة أشهر ، وسرعان ما مررت بالمستشفى ودخلت العربة بالشارع المجاور لها ، وبعد وقت يسير كانت العربة مارة بقسم الدرب الأحمر ثم دخلت فى حوارى لا علم لى بها . . .

مبنيان مررت بهما فأضاءا صفحة من حياتى . .

مستشفى أحمد ماهر قضيت به ستة أشهر بعد حصولى على دبلوم الأذن والأنف والحنجرة من طب الإسكندرية فى أكتوبر سنة ١٩٦٢

حقائق كان الأجدر بها أن تظل أحلاماً ، لم يكن خيالى من الجرأة فيتخيلنى طبيباً أيام كنت فى الحقل أفلح الأرض وأمارس كل أعمال الزراعة . . .

إنها يد الله . امتدت إلى فرعتنى وتولت أمرى وليس غير يد الله ...

لم تهتم الأسرة بأكثر من الحرص على تحفيظى القرآن الكريم فى كتاب قرية طوخ طنبشا بالمنوفية ، فكيف ذهبت إلى المدرسة الإلزامية؟ مصادفة . . .

مر المرحوم محمد الفراش خادم المدرسة يبحث عن تلاميذ ليملأ بهم مقاعد المدرسة ، فقد نما إلى علم الناظر بأن المفتش سوف يحضر ، وقالت له والدتى رحمها الله : اذهب إلى كتاب الشيخ سليم وخذ جارى من هناك ، وأقبل مسرعاً . . . وبعد دقائق كنت جالساً فى السنة الأولى بالمدرسة الإلزامية ، وكانت سنى عشر سنين ، وظللت بالمدرسة والكتاب والحقل معاً . . .

وبعد السنة الخامسة أعلنت مدرسة المعلمين عن مسابقة بين خريجى المدارس الإلزامية والأولية وتقدمت إلى مدرسة المعلمين . . .

ونجحت فى كفاءة التعليم الأولى بعد انتهاء سنوات المعلمين وأصبحت مدرساً ، يالها من منزلة . . .

وانتقلت إلى الإسكندرية فى عام ١٩٤٨ وبدأت أستذكر الإنجليزى يعاوننى فيه تلاميذ المدارس الابتدائية ، وكانوا يدرسون مقرراً فى الإنجليزية ضعف ما يدرسه طلبة المدارس الإعدادية اليوم ، كنت أعطى الراسبين فى اللغة العربية دروساً وأستعين بهم فى نطق الكلمات الإنجليزية وهذا يكفى .

كيف واصلت الطريق لأحصل على الثقافة نظام السنوات الأربع إنها يد الله وتوفيقه .

ظللت أحفظ كلمات كتب القراءة الإنجليزية حتى انتهيت من الكتاب الخامس المقرر على السنة الثانية ثانوى . .

وذهبت إلى شعبة الإخوان المسلمين بقسم اللبان بالإسكندرية ووجدت أخاً كريماً أعجبنى حديثه ، وعلمت أنه موظف بالتليفونات وطالب بكلية الهندسة(١) ، وسألته عن الطريقة التى أدرس بها الإنجليزية فدلنى على مدرس خصوصى هو طالب بكلية الآداب ، ويعطى دروساً ليساعد نفسه هو الأخ مصطفى علوى . .

وجلست إلى المدرس لأسأله كيف أواصل المسيرة فقفز بى قفزة قربتنى من الأمل . . .

(يكفى ما قرأته وأمسك بكتب الثقافة مباشرة) .

نطق بها بكل هدوء وثقة . . . ودهشت . . .

لقد سمعت أنه من لم يدرس الكتاب السادس لا يمكنه تعلم الإنجليزية ولكنه أصر على موقفه . .

والفرنساوى ؟ فقال يكفى دراسة عشرة دروس من كتاب السنة الأولى الثانوية لتتعلم النطق الفرنسى . . . ثم اهجم على كتب الثقافة .

وقد كان . .

ونجحت فى الثقافة نظام السنوات الأربع . .

كل أمنيتى أن أدخل كلية الآداب ، فكيف دخلت كلية الطب . .
إنها يد الله . .

---

(١) هو المهندس محمد شرف الدين .

قابلنى صديق عزيز(١) وهنأنى بما علمه من حصولى على الثقافة ، وسألنى ماذا تريد بعد ذلك ؟ قلت : أريد كلية الآداب ، وزم شفتيه وقال عليك بكلية الطب . . وأبديت له المصاعب والظروف . والوضع الذى تعيش الأسرة فيه ، وأذكر من كلامه (أين الإيمان والثقة فى الله ؟) .

إلى هذه اللحظة لم أكن أعلم أن للتوجيهى ثلاث شعب : أدبى ، وعلمى ، ورياضة . . وقال الصديق : ادخل علمى وإذا لم يتيسر لك دخول الطب فكلية الآداب تقبل العلمى والأدبى على السواء . . وحصلت على التوجيهى ، ولم أحصل على المجموع فذهبت إلى كلية الآداب ، وقمت بكل الإجراءات ، وإذا بالمسجل يمسك الاستمارة البيضاء ويقول : أنت حاصل على شهادتك من المنزل فأحضر شهادة بأنك لست موظفاً . .

كنت مدرساً والوظيفة عندى أهم من كلية الآداب ، وتعذر الحصول على الشهادة المزورة ، وهدانى فكرى إلى أن أعيد التوجيهى . .

ودخلت الامتحان إلى أن كان يوم امتحان الكيمياء ، وكان اليوم الثالث من رمضان ، وجاء نفس الصديق وكان يدخل معى التوجيهى . جاء ليذاكر الكيمياء معى وليشجعنى وكان صائماً مثلى ، وفجأة أغلق الكتاب وقال سأذهب لبيتى لأنى أحس بصداع وحاولت إبقاءه حتى يؤذن المغرب ونفطر معاً ، ولكنه أصر وقبل مبارحته المكان . . قال :

(لاتنس استذكار الرصاص) .

ومضى الصديق العزيز وأنا متضايق لانصرافه المفاجىء ، وبعد

---

(١) الدكتور محمد عبد المجيد عامر أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب .

السحور شربت كوباً كبيراً من الشاى ، وعزمت على مراجعة الكيمياء وألا أنام . .

ظللت أقرأ حتى لم يبق بينى وبين الامتحان إلا ساعتان ، وتذكرت وصية صديقى . . وكان الرصاص آخر موضوع فى كتاب الكيمياء . وفتحت ذهنى وركزت فكرى لأقرأ موضوع الرصاص لأول ولآخر مرة حتى انتهيت منه ، فأغلقت الكتاب وذهبت إلى الامتحان ورأيت موضوع الرصاص سؤالا كاملا فكتبته كما قرأته منذ قليل . . ثم أجبت باقى الأسئلة . .

وخرجت فوجدت صديقى « الدكتور محمد عامر » متهلل الوجه فقلت شكراً يا محمد ، لعلك أبدعت ، فقال : الحمد لله . . وضحك ضحكته المعهودة . .

فقلت : طبعاً كتبت موضوع الرصاص ؟

قال : لا . . . وكان من الأسئلة الاختيارية .

قلت له : إنه أفضل الأسئلة ، ولم أجب عن السؤال الرابع لأنى نسيت الإجابة عن كلوريد الأمونيوم . ووجدت الدهشة على وجه صديقى . . . وقال ليس فى السؤال كلوريد الأمونيوم فتضايقت ، ولم يمض وقت طويل حتى فتح الورقة وقرأ كلوريد الأمونيوم جزء من السؤال الرابع ، أجاب عن ثلاث نقاط ولم يلاحظ النقطة الرابعة .. والحقيقة أنه كان حجة فى الكيمياء . . .

وأخذت الأوراق لأقدمها لكلية الطب وكلى خوف من رفض الأوراق . . وأمسكت نفسى والأستاذ عبد الوهاب مسجل كلية الطب يقول : (توجيهى منازل احضر شهادة بحسن السير والسلوك . !)

ألم أقل لك : إنها يد الله . ! !

ولم تتخل يد الله عنى فى سنوات الدراسة ، ولا فى التخصص .

لأدخله بعد أن حذرنى أستاذ القسم من دخول الامتحان . . ثم أكون الناجح الوحيد فى الدبلوم من بين ثلاثة عشر طبيباً تقدموا للدبلوم فى الجامعات الثلاث . .

يا من كفرتم بالله وآمنتم بأمريكا وروسيا . . يا من ضربتم الإسلام وما زلتم تضربونه لتكسبوا بضربه مودة أمريكا وروسيا ، هلم إلينا ، هلم إلى معسكر الإيمان ، يؤتكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ..

ولا يبرح خيالى مبنى مستشفى أحمد ماهر حتى أخر لله ساجداً شاكراً له توفيقه لى بالتعرف على زوجتى بالمستشفى ، وتمت الخطبة والقران فى أقل من شهر . . . إنها الآن فى البيت من يدرى ستظل فى البيت تنتظرنى . . أم ستجرى خلفى . . ولكن إلى أين . . . ؟ أين أنا الآن ..؟ وإلى أين ؟

وسألت الضابط أن يسمح بشراء عشاء فقد آلمنى الجوع وقال فى صوت خفيض : أمعك نقود ؟ وأحسست من سؤاله أنه على استعداد ليدفع من جيبه إن لم يكن معى . . .

قبل مغادرة البيت دسست فى جيبى رزمة من النقود لا أدرى عددها . . .

وتواضعت فطلبت إحضار باكو من البسكوت . .

• أما المبنى الثانى مبنى قسم الدرب الأحمر . فقد دخلته أربع مرات . . .

وإن له لذكرى . .

كنت مدرساً بمدرسة طوخ طنبشا الأولية حين جاء الأستاذ « محمد شديد » أحد أعضاء شعبة الإخوان بقويسنا ، يجمع تبرعات لشراء دار للمركز العام للإخوان المسلمين ، وكان مرتبى ستة جنيهات ، وتبرعت بنصف جنيه كل شهر إلى أن يتم شراء الدار ، ومن عرق

الإخوان وكدهم اشترى الإخوان دار المركز العام وراع حزب الوفد النجاح الذى أحرزه الإخوان فسلط جرائده تسب وتلعن وتكيل التهم وتصف الإمام الشهيد حسن البنا بما يصدق فيهم ولا يمكن أن يصدق فيه ، ونجح الإخوان فى حرب فلسطين وفشل النقراشى وفشلت سياسته وأدرك الإنجليز والأمريكان الخطر الذى يهددهم لو نجح الإخوان فى إيقاظ الهمم ، وإحياء تعاليم الإسلام ونفض غبار الذلة والمسكنة ، فصدر أمرهم للنقراشى بحل جماعة الإخوان المسلمين ، وقال نجيب بعض الصحفيين لقد كان الإخوان المسلمون مرضاً استثنائياً ويحتاج لعلاج استثنائى . . . . ! ! والواقع أن المرض الذى أصاب مصر هو سرطان الحكام يجبنون أمام أعداء مصر ويستأسدون على أبنائها . . .

استولى النقراشى على المركز العام وحوله إلى قسم الدرب الأحمر . .

ورده فاروق للجماعة حين عادت بقيادة المستشار حسن الهضيبى « رحمه الله » . .

وجاء جمال ليصب على الإخوان وعلى دارهم حقد أمريكا وإنجلترا وروسيا وإسرائيل . . .

ودخلت المركز العام بعد شرائه لأرى الإمام الشهيد ، ولأسمع القرآن منه يتلوه فيحرك فؤادى كما لم أسمعه من غيره قط ، ولأسمع حديثه يستشهد بآيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرعة بديهة وقوة حجة . . .

ودخلته بعد مجيء الأستاذ الهضيبى مرشداً ، ووجدت كوكبة من الإخوان تجلس إلى أستاذ مهيب يجلونه ويوقرونه ويكتبون ما ينطق به ، وسألت عنه فقيل : إنه الأستاذ سيد قطب .

ودخلته مرتين بعد أن حوله جمال إلى قسم للدرب الأحمر لأستخرج بطاقة عائلية مازالت معى . . ذلك المبنى العظيم كيف تحول من النقيض

إلى النقيض ؟ كان منار الإسلام ، وشعلة الإيمان ، وباعث الفكر الإسلامى الرشيد ، ومجدد العزم وشاحذ الهمم ، كان يربى الرجال ، ويعد الدعاة ويزكى النفوس . . صفات ما أحوجنا إليها . . .

واستبدل جمال بكل ذلك الاتحاد الاشتراكى ليأخذ ولا يعطى فإن أعطى فليس لديه إلا الشعارات ، شعارات الترويج والتهريج وقلب الحقائق والكذب على الشعب . .

وقفت السيارة عند بوابة يقف عليها حرس وسمح لها بالمرور ، وسألت الحارس الجالس عن يمينى : أين نحن الآن فقال هامساً : القلعة . .

وتوقفت السيارة عند بوابة ثانية ثم استأنفت السير إلى باب كبير مغلق على مبنى متآكل تنقبض النفس له ، وفتح باب صغير فى الباب الكبير ونزلنا ودخلنا إلى ضابط الاستقبال وأمضى أوراقاً وذهبوا وبقيت مع ضابط الاستقبال . .

طلب إخراج كل ما معى .

وتأكد من خروج كل ما معى وأشار إلى الساعة فلا يسمح للمعتقلين حتى ولا بالساعات . . .

وعد النقود بأمانة طمأنتنى على أن الدنيا بخير .

وقال : أربعة وثمانون جنيهاً و . . . . مليم .

وكتب اسمى وعملى وعنوانى . . .

ونادى حارساً وقال : ٢٥ .

وسرت مع الحارس وأصوات الحرس تنادى : أغلق الباب ! ! فدخلت الوجوه البارزة من الزنازين وغلقت الأبواب . .

ونزلت سلماً حجرياً متآكلا إلى زنازين أخرى ، وسار بى الحارس والأصوات المنكرة تصيح : أغلق الباب ، والأبواب تغلق : فى

البدروم « ويسمونه الدور السفلى » كانت أمنيتى أن أرى وجهاً واحداً أعرفه لأستدل به على سبب اعتقالى ، هل هو قرار فردى أم أن « جمالا » عاودته النوبة أو هبط عليه الأمر فأصدر أمره باعتقال كل من بقى لديه إسلام ، أو ظهرت عليه علامة من علامات الإيمان ؟

فتح الحارس باب الزنزانة رقم ٢٥ لأدخل ثم أغلقه ، وأمسيت وليس معى إلا الله وكفانى الله مؤنساً لوحشتى ومذهباً لهمومى ، ومثبتاً لإيمانى ، وباعثاً فى نفسى الأمل ، ومقرباً إلى الرجاء . . .

* **وأغلق الحارس الباب :**

أغلق الحارس باب الزنزانة ومضى ، وجدتنى بين أربعة جدران طول الزنزانة أقل من ثلاثة أمتار وعرضها أقل من مترين . .

فوق الباب نافذة عليها أسياخ حديدية ، وعلى الجدار المواجه للباب تبرز قضبان حديدية كثيبة المنظر توحى بأن لها عملا تؤديه فى التعليق والتعذيب . .

وعلى يسار الداخل رف لم أفكر إلا فيما يمكن تصوره لاستغلاله فى تكنولوجيا التعذيب الناصرى . .

وعلى الأرض طرحة قذرة مقيتة ولكنى حمدت الله أننى لن أقضى الليل على الأسفلت . .

طرقت الباب أسأل الحارس الذهاب لدورة المياه فقال : فى الصباح تأخذ دورك ، وسألته بعض الماء لأشرب فقال : هل معك زجاجة لأملأها لك ؟ وكدت أصيح وأنا أقول له : لم يتركوا معى شيئاً حتى النظارة استولوا عليها ، وقبل أن يغلق الزنزانة سألته عن القبلة ودلنى عليها وعرفت فيما بعد أن اسم هذا الحارس « أبو الفتوح » أغلق — أبو الفتوح الباب فأنآنى عن العالم . . وأدنانى من نفسى . . كنت بالأمس الدكتور جابر الحاج أعمل بعيادتى طول اليوم وجزءاً غير

يسير من الليل لأنى يحب الناس وتقديرهم لى . . واليوم يتحكم فى أبو الفتوح . . حتى جرعة الماء يضن بها على . . ما قيمة نهر النيل إذا حرم منه أبناؤه . . النهر الذى أبطر فرعون فقال : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى » . .

هل كان فرعون يعنى بهذا أن نهر النيل ملكه ، ورثه عن أبيه يتفضل به على من يشاء ويمنعه عمن يشاء ؟ وهل هذا هو نفس شعور جمال ، كرسى الحكم له من دون كل الناس ، ونهر النيل ملكه يحرمه على من لم يصفق للبوار وخراب الديار . . .

تيممت ووقفت بين يدى ربى أناجيه . ولأول مرة فى حياتى أحس بالصلاة صلة تربطنى بمن هو أقرب إلى من حبل الوريد . . .

قرأت الفاتحة آية آية لأحس من أعماق الحديث القدسى عن الله عز وجل :

« قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل » .

إذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » .

قال الله : « حمدنى عبدى » .

وإذا قال العبد : « الرحمن الرحيم » .

قال الله عز وجل : « أثنى على عبدى » .

وإذا قال العبد : « مالك يوم الدين » .

قال الله عز وجل : « مجدنى عبدى » .

فإذا قال العبد : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قال الله عز وجل : « هذه بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل » .

فإذا قال العبد : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

قال الله عز وجل : « وهذه لعبدى ولعبدى ما سأل » .

القرآن لم يتغير . وإنما أنا الذى تغيرت . . .

كنت أقرأ القرآن خارج الزنزانة تبركاً . .

أما فى الزنزانة فأقرؤه أناجى به ربى وأحيي به نفسى وأثبت به فؤادى . . .

ونطق لسانى بأول سورة العنكبوت . .

« الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

لماذا سميت سورة العنكبوت ؟ لأن فيها آية جاء فيها ذكر العنكبوت فلأتأملها : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »...

يا من ركنتم إلى أمريكا فخذلتكم أمريكا . .

يا من ركنتم إلى روسيا فأوكستكم روسيا . .

يا من ركبكم الغرور ، ونفختكم الكبرياء ، وزين لكم الشيطان سوء أعمالكم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس . . وكانت النتيجة التى أعرفها وتعرفونها أكثر منى ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . . لا تيأسوا من روح الله . .

وهلم إلى الركن الركين ، هلم إلى الله نعتصم به ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . .

الدعاء داخل الزنزانة ليس كالدعاء خارجها ، هل لك فى الزنزانة من تعتصم به ، أو تعول عليه ، أو تؤمل فيه غير الله ؟ لست وحدك ، إن الله معك . .

وأنت تسأله ، وهو على كل شىء قدير . .

عماذا أجاب سبحانه موسى حين قال : « إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى » طمأنه ربه بأن فرعون مهما علا فى الأرض واستبد بالناس ، فلن يضر موسى لسبب واحد « لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى » ماذا فقد من وجدك يارب ، وماذا وجد من فقدك . الملك ملكك والمشيئة مشيئتك والأرض والسموات مطويات بيمينك . .

يا من لا تختلط عليه الأصوات ، ولا تضيع عنده الدعوات ، ولا يغرب عن علمه شىء فى الأرض ولا فى السموات ، فوضت إليك أمرى وألجأت إليك ظهرى ووجهت إليك وجهى حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ، أسألك من خير ما سألك به عبدك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم . .

اللهم قونى فلا أجزع . .

وثبتنى فلا أضل . .

وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون . .

انتهيت من الصلاة وكأنى أصليها فى المسجد الحرام أو عند المشعر الحرام . أو فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى أماكن عطرتها خطوات رسول الله وحركاته وسكناته وسجداته . .

قمت أطوف بالحجرة فلم تعد زنزانة ، لقد اتسعت حتى صارت الكرة الأرضية كلها ، أرى فيها العالم كله ليس فى حاضره فحسب . بل وفى ماضيه . . أما المستقبل فهو لعالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، جدر الزنزانة الأربعة امتلأت بالكتابة منها الشعر ومنها النثر وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . .

كانت كتابة الشيوعيين تافهة وليس الغريب أن تكون تافهة فقد عاشوا عملاء فى خارج الزنزانة ، قرناء للشيطان داخلها .

واستلفت نظرى تعليق آثار شماتتى ، كتب على الحائط المقابل لباب الزنزانة : « كان آخر شيء نتوقعه أن يعتقلنا عبد الناصر » والإمضاء « ناصريون » .

ذوقوا الكأس التى جرعتموها للأبرياء ، وما ظلمكم الله ولكنكم كنتم الظالمين . . .

نسيتم الله فأنساكم أنفسكم .

سلطكم جمال على عباد الله فما رعيتم حرمة دين ، ولا صلة رحم ، ولا جوار وطن ، ولا عاطفة إنسانية . . ثم سلط الله عليكم « جمال » فلا تبكوا بكاء النساء واصمدوا صمود الرجال ولن تستطيعوا ، فإن الرجولة تأبى على أصحابها مسلك الوحوش وقطاع الطرق ومصاصى الدماء . . .

وذل من خضع للمدين واجترأ على الديان ، وهان من ركن إلى المخلوق ونسى الخالق . . . « لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » وتعليقات الإخوان كثيرة على الجدر الأربعة ، وعلى باب الزنزانة ، آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، خشيت أن يفرج عنى مع الصباح قبل أن أستوعبها ، وكنت من الإجهاد والإعياء فى درجة لا تجعل ذاكرتى يقظة لتلقفها وتثبيتها .

وجدت على أحد الجدر : « إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً » ، وبالقرب منها : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

وفى ركن آخر : « اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب لحبك . إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى » .

وبالقرب من الباب : « فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

وفكرت مليا ، فلم يكتب شيء هنا إلا ليعبر عن نفس مسها الضر واعتصرها الألم . . « الذى أطعمهم من جوع . . وآمنهم من خوف » .

نعمة الإطعام كنعمة الأمن « نعمتان لاغنى عنهما لمجتمع أو لفرد . جاء عبد الناصر ورغيف الخبز متوافر لكل فم . والأمن مستتب لكل فرد ، والشعب غاضب على الحكومات التى انصاعت لفاروق ، فاعتقلت وأفرجت ، واستبدت فحوسبت ونحيت ، وكنا نطمع أن يزداد للفرد أمنه ورخاؤه . .

وما دار بخلد أشد الناس تشاؤماً أن « دنشواى » ستنسى لأن الناصرية تدبر للأبرياء « كرداسة » « وكمشيش » والتطهير والحراسة ومحاكم الشعب ، والغدر ، والدجوى ، والنكسة والديون والدمار وحمزة البسيونى وصلاح نصر وشمس بدران .

وأتعبنى الوقوف فأويت إلى الطريحة القذرة ، لو رأيتها فى عيادتى بالأمس لصحت بالممرض أن ألق بها فى الشارع ، ولكنها الآن الصديق الوحيد لى فى الزنزانة . ألقيت بنفسى عليها وما فكرت فى قذارتها ، أنا الغريق فما خوفى من البلل ، إنها ليست أقذر شيء صادفنى ، إنها أنقى وأطهر من قلوب الطغاة الذين تحكموا فى البلاد كلها ، رجالها ومالها وماضيها وحاضرها ، وظنوا أنهم قادرون على التحكم فى مستقبلها .

أويت إلى الطريحة شاكراً الله تفضله على بوجود هذه الطريحة وألقيت عليها جسدى المكدود ، وظننت أن النوم منى قاب قوسين أو أدنى .. ! ولكن النوم أدبر وولى . .

ألقيت نظرة على الحائط فوق الطريحة بأقل من متر فوجدت عبارة مكتوبة بقطعة من الطباشير . . . ؟ دهشت ، كيف حصل كاتب هذه العبارة على الطباشير وكل ما قرأته من قبل كان إما منحوتاً بعود ثقاب وإما بظفر كاتبها . أو بشيء حاد ، رجحت أن يكون بيد ملعقة ،

أما الطباشير فلم ألاحظه إلا فى هذه العبارة ، جلست لأقرأها ، والقراءة تشق على بدون النظارة وبخاصة فى الضوء الخافت . .

« كنت إذا اشتد الخطب أفكر فى الجوء إلى مصر ، والآن إلى من ألجأ ؟ ؟ »

« فلسطينى » .

العبارة مؤثرة ومعبرة فى نفس الوقت عن الآمال العراض التى كنا نضعها فى الناصرية ، واليأس الذى أصابتنا به مسكين أيها الفلسطينى ولست المسكين الوحيد الذى قتل جمال فى نفسه الأمل ، وكان جزاؤه على وطنيته تلك الزنزانة ، لعلك سمعته يملأ الدنيا.دعاية عن فلسطين حامى حماها ، ومنقذ ترابها ورمالها قبل رجالها ونسائها ، لعلك صدقته ولك العذر ، فذلك الحشد الضخم من مرتزقة الصحافة والإذاعة يصفون تحركات الزعيم ووطنية الزعيم وذكاءه وأصالته وعبقريته ، يتفننون فى تغطية الهزائم المتلاحقة بالنصر المرتقب .

قلة مؤمنة ألهمها ربها الثبات فى الأمر ، فلم تنافق ولم تضع نفسها فى زمرة المصفقين والهتافين ، وظلت الوقود الدائم لمعتقلات الناصرية .!

نأى النوم عنى ، وكأن النوم هجر الطريحة حين آويت إليها ، فقمت أتجول فى دنيا الواقع لا دنيا الشعارات ، تاريخ الثورة تبدأ كتابته من هنا .. لماذا لم يترك الضابط قلمى لأكتب كل ما أراه هنا ؟

لن تتسع ذاكرتى لكل ما كتب ، ولماذا لم يترك لى نظارتى لأقرأ الكتابة الصغيرة المعبرة عن رأى الذين رأوا واقع الناصرية ونضعه أمام الشعب جنباً إلى جنب مع أطنان كتب المديح والإطراء ؟ لن نقول لهم : كفوا عن المديح الكاذب والإطراء الملفق ، ولكنا نكشف الواقع ليرى الناس الفرق الشاسع بين واقع الناصرية

المكبوت وشعاراتها المعلنة . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

أرادت الناصرية دفن الخصوم ، ودفن المبادئ ودفن الحقائق ، كالطفل يخفى لعبته بعد تحطيمها ظناً منه أنه بإخفائها قد أنهى مشاغله .

واستلفت نظرى أربعة أسماء اذكر الاسم الأخير فقط « الدكتور أحمد الملط » وكتب تحتها « إخوان مسلمون » ووجدت فى الأسماء الأربعة مؤنساً فى الزنزانة ، وبشارة طيبة ، فالدكتور أحمد الملط تلقفته الناصرية بظلمها وأذاها منذ أول بلاء للإخوان ، وقد خرج بعد الهزيمة العاتية ، خرج ليمارس خدماته للمرضى وليزداد بالله إيماناً ، ولاشك أن الله أراه فى هذه الزنزانة من آياته ما يقوى يقينه ، ويثبت فؤاده .. لقد تتبعت اسمه فى المحاكمات أو المسرحيات ، فقد كان لكل واحد دوره . وكان أتعس الممثلين هم المتهمون . كل منهم له دور يحفظه ويقسم بالله أمام القاضى أن يقول الحق .. ثم يقول ما درب عليه فإن نسى — فطاقة البشر لا تستوعب الكذب — فليعد إلى وحوش الناصرية العتاة .. وأخيراً مرت المحنة وخرج الدكتور أحمد والعاقبة عندنا .. آمين ..

أرقنى الفكر ، وأضنانى السهر ، وألم بى الألم ، واستبدت بى الخواطر ، وأظلم كل ما يحيط بى بالزنزانة .

إذا جاء الصباح فلست أدرى أيقتلنى الطغاة بغير ذنب ؟
وأدفن فى الصحارى بعد قتلى وليس يضيرنى إن رضى ربى
وأولادى لهم رب كريم فليس يضيرهم بعدى وقربى

لماذا لم أتم ملكة الشعر عندى ، فى وحيها تعبير ، إن عجز النثر عن نقل ما أراه ، فلن يعجز الشعر عن تقريب ما ألقاه ، أيتها القرون الخالية ، وأيها الطغاة عبر القرون الخاوية ، أيها الجبارون فى أيامنا

الحالكة المظلمة ، أحسبتم أنما خلقكم الله عبثاً ، وأنكم إليه لا ترجعون؟ ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين . . ! !

يامن أغلقتم على هذه الزنزانة ماذا صنعت ؟ هل أنا خائن لوطنى .. كذبتم بل أنتم الخونة .. !

هل أنا ظالم لأحد ؟ كذبتم بل أنتم الظالمون .. !

هل أنا سبب التهام إسرائيل لوطننا .. ؟ كذبتم بل أنتم الذين فرشتم طريق إسرائيل بالورود والرياحين .. !

هل نهبت مال غيرى ، وحقدت على ذوى النعم واليسار ، فصببت عليهم جام حقدى .. ؟ كذبتم إننى أعمل بشرف وأكسب بشرف ويحبنى الناس بصدق ، وليس لى قلب حاقد مثل قلوبكم ، ولم أنزل بأحد ظلماً لأنى أحب ربى ، والله تعالى لا يحب الظالمين .. !

ذبح العدل فى دار القضاء — وغدر بمصر سفاكو الدماء
ومنونا بآمال عراض — وصاغوها شعارات الرخاء

* * *

باعوا الشعب فى سوق الرقيق — دفنوا العدل فى الوادى السحيق
وقالوا سبحوا صبحاً وليلا — بعهد الثائرين الأقوياء

* * *

ملأوا سمعنا بالمنجزات — ووصفوا خلطهم بالمعجزات
وقالوا قد رفعنا قدر شعب — ومكناه من عصر الفضاء

* * *

مكاسب شعبنا صارت كلاماً — وخيرات البلاد غدت حطاماً
وتاريخ البطولة قد طواه — هزائم جرها بطل الهواء

* * *

مصير المخلصين إلى السجون ومعتقلاتهم عين الجسرن
وبات الشعب يرقب فى انزعاج ويدعو ربه كشف البلاء

• • •

فيا مصر اشهدى ماذا نقاسي تجرعنا المصائب والمآسى
وقال البغى هيا صدقونى بنيت لكم قصوراً فى الهواء

• • •

أصدق ما يقول وهل صدق وأسمع إفك شيطان نطق
ويقنعنى بأن الخير شر وأن الصبح جاء مع المساء

• • •

فما هزته أنات اليتامى ولا حزن الثكالى والأيامى
وقال لجنده زيدوا لظاهم فليس لهم لدى سوى الشقاء

• • •

وسمى النكسة الكبرى انتصاراً ونكس رأسنا ومضى افتخاراً
وقال لنا عليكم أن تطيعوا ونسلم أمرنا للادعياء

• • •

فيازنزانتى لا تحسدينى ويا قيثارتى زيدى أنينى
فأصحاب الحياء مضوا وولوا وليس لنا سوى رب السماء

• • •

تمددت على الطرحة بملابسى التى ليس لى غيرها ... القميص والبنطلون وقد صدقت صديقى الطاهر بأن المواجهة ستتم على الفور وأعود ، ولم ينبهنى لآخذ ملابس احتياطية معى . هل كان فى استطاعته أن يفعل غير ذلك ، أم أنه غرق فى التفاؤل لأن مباحث الشرقية ليس لديها معلومات عنى إلا ما يشرفنى ؟ وهل فات النقيب الطاهر أن

الناصرية لا يشتد ساعدها إلا على الشرفاء ؟ وقديماً قال الشاعر :
« أسد على وفى الحروب نعامة » كنت متضايقاً ولكنى لم أفقد التفاؤل ،
فلا يضير أن أنام هذه الليلة فى هذه الملابس على هذه الطرحة القذرة ،
ولم أكن أدرى ماتخبئه لى الساعات القادمة ، لم أكن أعلم أن هذه الملابس
هى نصيبي ، هى غطاء جسدى . ومجففة عرقى ، ولاعقة دمى ، وهى
لباس نومى :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وحين جد الجد ، واشتد الكرب ، وتدفق البلاء ، تمنيت أن
يتركونى بملابسى والطرحة القذرة والزنزانة المغلقة : لا ماء ولا طعام
فبعض البلاء أهون من بعض . .

إن تعريت فستكفيني وعودهم ..

وإن جعت فستشبعني خطبهم ..

ولن أضيق بالطرحة القذرة فليبقوها أو ليأخذوها .. ويكفوا
عنى أذاهم ..

وإن قلقبت على أهلى .. فحسبي الله وهو حسبهم .. عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم .. ! !

• • •

• أنا والناصرية :

هل كان جمال عبد الناصر الثائر الوحيد ؟ جاء فوجد الشعب يغط
فى نوم فأيقظه ؟ وهل كان الشعب مستسلماً لطغيان فاروق ، ومنصاعاً
لادعاءات الأحزاب وجاء جمال ليقدم الثورة هدية للشعب الخانع ؟
هذا ادعاء لا أصل له . . !

حين انتهت الحرب العالمية الثانية كان الشعب قد شحن بالوطنية
المتدفقة وكان لذلك مقدمات ، فقد ألهب النضال حماس المواطنين ،

وكانت نشأة فاروق بما أظهر من صلاح وبما أطلق من لحية حببته إلى قلوب الشباب ، وكنت فى أوائل الأربعينات طالباً بمدرسة المعلمين، ولا يمر أسبوع إلا وأجدنى سائراً فى مظاهرة تجوب شوارع شبين الكوم . نصيح « حذاء الملك فوق عرش إنجلترا » وحفظنا طلبة المدارس الثانوية كلمات بالإنجليزية . Up Egypt Down England

وأسأل عن أسباب المظاهرة ، ويأتى الرد : لقد اعتدت إنجلترا على قصر الملك : « ٤ فبراير » ١٩٤٢ .

وحلق فاروق ذقنه ، وهوت مهابته ونزل حبه إلى الحضيض ، وظهر أبطال يشحذون الهمم ويشحنون الصدور . .

وظهر دور الإخوان المسلمين أكبر جماعة وطنية شاء قدرها أن تقرن الحماس بالعنف ، وبالعمل الدائب وبالجهاد الفعال فى مواجهة الاحتلال ، وخضعت إنجلترا وأعلنت إنسحابها من الإسكندرية والقاهرة وتقوقعت فى القنال ولكن المجاهدين الأبطال بقيادة الشهيدين: يوسف طلعت والشيخ محمد فرغلي وغيرهما ، قد لاحقوهم فى القنال ، وكان منهم شهداء . .

وجاءت أحداث فلسطين تباعاً وأظهر الإخوان فيها بطولة رفعت سمعتهم ، وأعلمت إنجلترا وأمريكا مدى خطورتهم لو كتب لهم التوفيق . .

وأذكر أخاً جاء بدفتر للتبرعات لفلسطين ، يظن أن الدفتر سيوزع على المدرسة كلها ، وكنت مدرساً بمدرسة الميناء الشرقية ، فأخذت عدة دفاتر منه لنفسى ؟ وذهبت إلى كل ترام يصادفنى ، وكل سيارة وكل جمع . . لم أتكلم كثيراً ، كنت أقول عند صعودى : « إن اليهود فى أمريكا جمعوا فى ليلة واحدة أربعة عشر مليوناً من الجنيهات وربنا

ينادينا : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » ومعى طوابع من فئة خمسة قروش إلى خمسين قرشاً . .

والمواطنون يستجيبون ، وعندهم الحماس والإيمان والثقة ، وأكثرهم يدفع وهو يدعو لى . .

ثم كانت الهزيمة وكانت الخيانة بحل الإخوان المسلمين ، واغتيال مرشدهم « الشهيد حسن البنا » .

الشعب كله ثائر ، أحمد حسين يكتب فى جرأة :

« رعاياك يامولاى » . . واشتد بطش فاروق ؟ وبلغ من تملق زعماء الأحزاب له أن تواضع زعيم الأغلبية ليختم كلمته فى حفل لإحياء ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فاروق ساعتها فى « كابرى » حيث السمعة السيئة والإشاعات تحدق به ، ولا يمنع ذلك « الزعيم المفدى » من أن يختم كلمته « والآن أتوجه فى خشوع وولاء إلى نقطة خلف البحار شرفت بمقام المليك وأنست بقربه » . .

ولم يخدع ذلك الكلام « فاروق » فأقال وزارة الزعيم ، فهل تركه الشعب يفعل ما يشاء ؟ المدارس ثائرة ، المصانع ثائرة ، الصحافة غاضبة ، النفوس معبأة بالحقد على الملك وعلى السائرين فى ركابه من وزراء ومرتزقة . .

وجاءت الثورة لتجد الشعب كله معها ولها ، إنها ثورة وكفى ، ثورة على عهد الطغيان ، أبغضه الشعب وتمنى الخلاص منه . .

جاءت الأوامر إلى الإخوان . . وكنت بشعبة اللبان . أن خذوا حذركم واستمعوا إلى الأوامر من القيادات العسكرية وتعاونوا معها ، وانتشر الإخوان وكنت أحدهم فما وجدت عملا أعمله ، الناس جميعاً

يعلو وجوههم البشر ، ولا تكاد نشرة الأخبار تبدأ حتى تجد الجموع قد التفوا حول أى مذياع يصادفهم يستمعون ويصفقون ويهتفون . .

ولا أنسى منظر الرئيس محمد نجيب أول رئيس للجمهورية ، وقد اخترق ركبه شارع البحرية ، ما من شرفة منزل ولا سطح ولا رصيف إلا اكتظ بكل الناس ، ما من عامل ولا فلاح ولا فئات . .

الكل يهتفون من الأعماق ، وهو يلوح إليهم بقبعته العسكرية فيشعل القلوب حماساً وصدق تعبير ، والفرحة تأخذ بكل أحاسيسى وأنا أنظر ركبه من شرفة مسكنى بشارع البحرية . .

أخذ محمد نجيب البريق كله ، ووجد الباقون أنفسهم بلا بريق يبقى لهم المجد ، ويحفظ لهم البقاء ، واستغل جمال الفرصة وساعدته الظروف ..

وجاءت مسرحية المنشية بأسرع مما توقعت . . . ! !



الثأر

مسرحية المنشية

كان لى فيها دور هو دور المشاهد الذى اكتشف على الفور هدفها ، وقمت بواجبى الذى هدانى إليه تفكيرى . .

كان لها مقدمات . . .

نجحت الثورة نجاحاً لم يتوقعه جمال عبد الناصر ، لم تصادفها مقاومة كان يتوقعها ، ولم تسفك دماء كأنما كان يتمناها ، وتمخضت الثورة عن حب مكثف لمحمد نجيب ، الأمر الذى دفع جمال إلى تعجل إنهاء دور نجيب وإزاحته قبل أن تفلت الفرصة من يده . .

فصدرت قرارات فبراير ووقف الشعب منها موقفاً زعزع جمال وهزه بعنف . وقاد الإخوان المسلمون المظاهرات وتدخل البوليس تدخلا دل على الأوامر القاسية الصادرة إليه .

طلاب الجامعة سفكت دماؤهم فى قسوة وغلظة ، لم تألفها مظاهرات حكومات الأحزاب . .

لم أشارك فيها ، فقد كنت مدرساً ولا أبرح المدرسة قبل الحادية عشرة ، وحين جئت إلى كلية الطب وجدت ضحايا العصى الغليظة بالعشرات ، وكان من بينهم صديقى محمد عامر ، ولطف الله به فأسفرت المعركة عن شج رأسه ودخوله المستشفى ، وذهبت إليه فى المساء وأخذت معى نوعاً من الحلوى يحبها ، وكان حين يحضر للاستذكار معى أثناء التوجيهى يفتح أدراج المكتب بحثاً عنها لعلمه بحرصى على وجودها لتنفع عند السهر . .

وجدت عند الأخ محمد أكواماً من أكياس التفاح والبرقوق والموز ، حملها إليه الطلاب من كل الكليات ، ووجدت هديتى إليه لاتساوى شيئاً يذكر ، ورآها فأظهر سروره بها . ولكنى غافلته وأخذت فى الأكل منها ولم يتنبه إلا حين أكلت أكثر من نصفها فخطف منى الباقى . .

ظهرت سيطرة الإخوان على مظاهرات ذلك اليوم .. فى الإسكندرية قرر الطلبة بالإجماع عودة محمد نجيب وانسحاب رجال الجيش إلى ثكناتهم . .

وفى القاهرة اكتشف جمال عبد الناصر عجزه عن مواجهة الموج الهادر من المظاهرات ، وزاد حقده حين صعد الشهيد عبد القادر عودة ليقف بجانب محمد نجيب وبدعوة منه للمتظاهرين بالانصراف انصرفوا ..

وخضع جمال إلى حين ، وكان يوم المنشية ، وقفت مع المهندس أنور ندا نستمع للمتكلمين وأصغيت لكلمة الشيخ الباقورى متمنياً أن تكون كلمة الإسلام الذى يمثله ، فجاءت كلمة تافهة ، قصة صياد سمك أقنعتنى بأن هدف الباقورى لن يزيد على اصطياد الوزارة ، أما الإسلام فله رب يحميه . . الأوامر لدينا فى شعب الإخوان ألانشتغل بالسياسة ، ونشرت جريدة المصرى تعليقاً للمرشد الأستاذ الهضيبى يرد على الذين ثاروا على قراره بعدم الاشتغال بالسياسة ، فكان فى رده الوضوح والحكمة وتوقع ما يخبئه جمال للإخوان ، وكان يطمع فى أن يضيع على جمال الفرصة . .

قال الأستاذ الهضيبى : « الإسلام كالساعة والسياسة ترس فى هذه الساعة فهل أعددنا كل شىء وفهم الناس الإسلام ولم يبق إلا هذا الترس » ؟

رحمه الله . فقد كان حكيماً ، ولكن حاله تنطبق عليها قول على رضى الله عنه . « والله ما معاوية بأدهى منى ولكنى أكره الغدر » . .

قلت للمهندس أنور : لقد سررت بما علق به المرشد اليوم ، وبادلنى المهندس أنور الرأى . . وقام جمال ليخطب وانطلق الصوت ولا أقول الرصاص ، ومال جمال عبد الناصر لتنطلق باقى أصوات مسدس الدراما . .

ثم وقف جمال ليكمل خطبة أعدت لهذا الغرض . .

سألت المهندس أنور : ما هذا ؟ وأجاب : لا أدرى . . وحدث هرج وتصايح : إنه رصاص أطلق على جمال ، وإلى هنا لا شأن للإخوان ، إن كان الذى أطلق رصاص أم غيره ، ولكن الذى لاشك فيه أنها حركة من شخص تافه لا يرجى لعمله نجاح ، إن كان حقاً قد أمسك مسدساً ليطلق منه رصاصاً من مسافة ٣٠٠ متر على الأقل ، ومن موقع لايمكنه من سفك قطرة واحدة من دم جمال . . يعلم الله أننى والمهندس أنور ما فكرنا أن الذى حدث من الممكن أن ينسب إلى الإخوان فضلا عن أن يكون من صنعهم . .

الأوامر واضحة . . . لا علاقة لنا بالسياسة . والمرشد واضح . . أسلم أمره لله ونصح الإخوان بأن نفوت على جمال فرصة البطش بالإخوان ، وأن نترك له الحكم الحريص عليه ونشغل أنفسنا بالدين من غير سياسة . . .

وقال المرشد لجمال : يا جمال فى الوقت الذى تشعر فيه بضيق من الإخوان أبلغنى وأنا أسلم لك مفتاح المركز العام ونقفلها حتى لا تقع فتنة ، ومنذ أن جاء الأستاذ الهضيبى ورأيه واضح من أن أى عنف داخلى ينعكس على الإخوان بالضرر . .

ولهذا فصل السندى الذى كان رئيساً للجهاز لتهوره ، وليأمن شره من أى عنف داخلى ، وجاء بيوسف طلعت ليصفى الجهاز . . . هذا وغيره من أسباب المهادنة نعلمه . . .

ولا مجرد قيام الإخوان بتحريك مظاهرات(١) كالتى حدثت فى فبراير والتى أيقظت حاسة جمال إلى خطورة خصمه ممثلا فى الإخوان والتى عرف الإخوان منها أن جمال يستغل كل شىء وهو على استعداد لعمل أى شىء فى سبيل الوصول إلى هدفه . .

مستعد لتحطيم خصمه . فإذا لم ينجح الإغراء فأساليب الإرهاب . .

وجاء الصباح وتوجهت إلى المدرسة القريبة من سكنى بشارع البحرية وسلمت على الناظر فصاح : خذ حذرك ، ربما اعتقلوك . وقلت له : لماذا ؟ فقال ألا تعلم أن الإخوان أطلقوا الرصاص على جمال ، الجرائد كلها نشرت اعترافات الإخوان والإذاعة . . .

صحت كالمذعور : كذب . . تلفيق . . . مسرحية قذرة . . .

وقال الأستاذ رجب غنيم ناظر المدرسة . . لا . . لا . . أنت مالك . . اهتم بمدرستك وكليتك وراع مستقبلك . .

دخلت إلى الفصل لأجلس على المقعد الذى ما تعودت الجلوس عليه .. كنت أحرص على مستوى تلامذتى وكنت أحصل على أحسن التقارير . .

وجلست على المقعد ووضعت رأسى بين يدى أفكر فى الرصاص المزعوم واعتراف محمود عبد اللطيف وهنداوى دوير . .

عمل لا يمكن صدوره من رجل يريد قتل جمال ، فلو أراد قتله حقاً فقد قال الإخوة الذين رأوا جمالا وفرقته يمرون بشارع سعد فى نهار

---

(١) لم أكن أعلم من المظاهرة التى يستعد الإخوان القيام بها .

ذلك اليوم فى عربة مكشوفة : ما كان أيسر اصطياده لو أن النية انعقدت على اغتياله . .

وثانياً ، ذلك الاعتراف السريع الذى أذيع عن اعترافات محمود وهنداوى وفى اعترافهما أن الجماعة « المنحرفة » غررت بهما . .

ما هذا . . ؟ وما وقع هذا فى صفوف الشعب ؟ هل تنطلى على جموع الشعب تلك المسرحية المكشوفة . . ؟

وهل ترك الشعب يفكر ؟ الإذاعة والصحافة معه ، وزبانية السجون والمعتقلات والتنكيل معه . . ومرتزقة كل عهد . والمتسلقون والانتهازيون معه ، وفى نفس اليوم الحزين انطلق صوت أم كلثوم :

« يا جمال يا مثال الوطنية .

أجمل أعيادنا القومية

بنجاتك يوم المنشية » .

وسمعت هتاف قلبى : « لا تحزن إن الله معنا » .

لابد من عمل أعمله ، وصادفنى أخ كريم يفيض فكره بالذكاء ، ويتحرك إيمانه بالعمل . . وقلت له : الصحافة تكتب . . ووسائل الإعلام كلها تغطى على الفصول المكشوفة فى المسرحية . . ولابد من عمل نعمله . . وقال الأخ الكريم : عندى دليل تليفون للقاهرة ونأخذ منه عناوين المدارس والشخصيات المهمة ونكتب لهم خطابات . .

وجلسنا فى ضوء مصباح خافت نكتب خطابات ، كتبنا لمصطفى أمين وعلى أمين وطه حسين . . ولم نجد عنوان الأستاذ العقاد رحمه الله فاكتفينا بالقاهرة عنواناً له ، وكتبنا لنظار المدارس الثانوية . ولتوفيق الحكيم . .

وكان التابعى ينشر حقده وينفث سمه ، ويدعى وصول خطابات

ركيكة ينشر نصها ويتولى الرد عليها . . فكتبت له خطاباً على دار « أخبار اليوم » قلت له فيه : « المسرحية مكشوفة » ولا تبع دينك بدنيا جمال ، فاليوم لكم وغداً لغيركم ، فاتق الله فيما تكتب ، وإن كنت صادقاً فانشر نص هذا الخطاب . . وضعنا الخطابات فى صناديق متفرقة . .

وسارت الأمور بأسرع مما توقعنا ، المسرحية أعطت جمال المكاسب التى قدرها من ورائها ، شعبيته وضحت . . فجمال . . الذى جاء إلى الإسكندرية ولم يقابله إلا المأجورون ممن اشترى ذممهم بمال الشعب . . غادر الإسكندرية والجموع الهادرة تحييه وتهتف له . .

وجمع أعداء الإخوان من فلول الأحزاب ومن الشيوعيين والمنحلين فصفقوا له وهتفوا لبطولته وأغروه بالانقضاض على الإخوان .

وضعنا الخطابات التى كتبناها فى جنح الليل . فى عدة صناديق بريدية إنها شهادتنا ندلى بها لعدد قليل ولم يكن فى استطاعتنا أكثر من ذلك . .

ركزت على رسالة محمد التابعى ليعلق عليها ولكن تعليقه جاء فيما بعد هكذا .

« عقلية الإخوان »

وجاءنى بالبريد خطابان طريفان . . أحدهما يسألنى كيف يمكن لعاقل أن يصدق أن النيابة العمومية تسمح للنوبى الذى عثر على مسدس محمود عبد اللطيف بالحضور من الإسكندرية إلى القاهرة سائراً على قدميه ومعه المسدس ؟ إن هذه الواقعة تكفى وحدها للتدليل على أن الحكاية كلها مسرحية مزيفة . . ومعنى هذا أن صاحب الرسالة لايقرأ الصحف ولا يسمع الإذاعة ولم يسمع بالاعترافات . أو لعله سمعها كلها ولكنه مع ذلك يكذبها ويكذبهم . وهذه عقليته المخدرة والسلام».

والرسالة الثانية من « أخت مسلمة » باللغة العامية وعلق على ما ألفه قلمه بقوله :

« عشمنا فى الله خير أن يرد على هؤلاء الإخوان والأخوات عقلهم المسلوب » .

وليس لى ما أعلق به إلا أن التابعى وهو يمثل قمة التخريف والتحريف وبيع قلمه بأجر زهيد ، وإن كان من دم الشعب الغالى . . ليس لى ما أقوله إلا :

« هذه هى عقلية التابعى وعقلية الصحفيين الذين نهجوا نهجه ، وعقلية الإذاعيين الذين ألغوا عقولهم ولم يفكروا لحظة فى فصـــول المسرحية الرخيصة . .

لم تنحدر الصحافة مثل انحدارها مع مسرحية المنشية ، ولم تسقط كسقطتها يوم رأينا أقلام رجال كنا نظنهم على قمة الفكر فهبطوا إلى السفح الهابط والمستنقع الآسن . . ؟

والحقيقة أن الصحافة بدأ انحدارها مع زيادة أرصدة جمال ، والذين أسلموا كل طاقاتهم له . .

نشرت جريدة صباحية « أرسل صلاح سالم ابنه ليعالج فى سويسرا فى صحبة والدته ، لأنه رفض علاج ابنه بأدوية إنجليزية . . » وبعد بضعة أيام نشرت الصحف كلها نبأ توقيع المعاهدة المصرية الإنجليزية بالأحرف الأولى . . وكان جمال يمثل الجانب المصرى . .

هذه هى الصحافة التى يريد لنا التابعى تصديق أخبارها كأنها التنزيل الحكيم . .

يريد أن نصفق لوطنية صلاح سالم الذى رفض علاج ابنه فى مصر بدواء إنجليزى فأرسله إلى سويسرا ليعالج بأدوية شركات . . . سيد والنيل ومصر للأدوية . !

هذا هو المنطق الذى أريد للشعب أن يتعامل مع الثورة وصحافتها به ..

وتلك هى الصحافة التى أراد التابعى لنا أن نكذب أعيننا ونصدق أكاذيبها ونتغاضى عن تناقضها مع نفسها ومع غيرها ..

تلقف الجهاز الناصرى سقطات الصحفيين والكتاب وجمعه فى كتاب يوزع بالمجان بعنوان :

« هؤلاء هم الإخوان »

فهذا طه حسين يتكلم عن « رخص الحياة » ومما جاء فيها :

« لم تهن حياة الناس كما تهون عليهم هذه الأيام ، كانت الحياة الإنسانية شيئاً له خطره فقدستها الديانات ، وعرفت حرمتها القوانين . ورعتها الأخلاق » . .

فكان القتل خطأ أو عمداً من الشر العظيم الذى يروع الإنسان ويملأ قلبه ذعراً وروعاً وندماً وإنكاراً . . وليس من شك فى أن الناس لم يعرفوا قط عصراً هانت فيه حياة الناس كهذا العصر الذى نعيش فيه . .

ولكننا نصبح ذات يوم فنستكشف أن فريقاً منا كانوا يهيئون الموت والهول والنكر لإخوانهم فى الوطن ، وإخوانهم فى الدين . .

وأنباء هذا الشر المحيط تملأ الجو من طريق الراديو ، وتملأ القلوب والعقول من طريق الصحف . .

ويختم الرجل الفانى حديثه الإنشائى بقوله . . والخير كل الخير هو أن نطب لهذا الوباء كما نطب لغيره من الأوبئة .

وكتب تحت عنوان « فتنة » .

« كانت مصر أكرم على الله من أن يرد ابتهاجها إلى ابتئاس ، وسرورها إلى حزن ، ومن أن يحيل أعيادها البيض إلى أيام حداد سود . . والعالم يرقبها ليرى أقادرة هى حقاً على أن تنفع بما يتاح لها

من الحرية والاستقلال . . والحمد لله على أن هذا الكيد الذى كيد قد رد فى نحور كائديه ، فلم تلق مصر منه شراً وإنما كان امتحاناً مراً ثقيلا خرجت منه ظافرة مطمئنة . .

رائع من رئيس الوزراء أن يظهر ما أظهره من القوة والجلد وحسن الثبات للهول . .

وعاش طه حسين حتى رأى أنه أخطأ العنوان ، وغرر به من هو دون أبنائه ، ورأى أن الذين كانوا يهيئون للموت والهول والنكر لإخوانهم فى الوطن هم الجهاز الناصرى . .

وأن الأنباء ملأت الجو عن طريق الراديو والصحف ليحقق الجهاز كيده فيغرر بأمثال طه حسين ليطلق على أطهر شباب البلد أنهم وباء ينبغى استئصاله . . وعاش حتى رأى أن مصر أكرم على الله من أن يخدعها الطغاة طويلا . . ومن أن الذين كادوا للأبرياء أخذهم الله من حيث لم يحتسبوا . . وسمع بأذنيه بطل المنشية الذى أظهر من الجلد والقوة وحسن الاحتمال ، لم يظهر ذلك كله فى سيناء وإنما أظهره أمام مشاهدى التليفزيون فى صوته المتهدج ونبراته الذليلة « أنا المسئول عن الذى حدث » وليت طه حسين كان يرى ، ليرى وجه البطل الذى استأسد على الأبرياء كيف كان حاله . .

ونشر الكتاب حقده التابعى على الإسلام وأهله ، ألغى عقله فظن أن السموم التى نفثها ستخلع عنه جلد الثعبان وسيبدو لردحه وغثائه واستعدائه الطغاة على الأبرياء . . سيبدو بهذا أنه « فولتير أو روسو » كاتبا الثورة الفرنسية . . والفرق شاسع ، فقد كان روسو وفولتير لهما عقل لم يتخليا عنه ، وكان لهما مبدأ يسير مع الحرية ويزكيها ، أما التابعى فقد نفث سمه وحقده على الإخوان وهو يطالب الطغاة باستئصال كل الإخوان . فليس بينهم خيار وفقوس ، وليس بينهم ظالم

ومظلوم . ومات طه حسين وبقى التابعى ليسمع بأذنه ، وليرى بعينه ، وليزن تفاهة ما كتب ، ومهلنة ما زرع ، وشر ما حصد ، وليرى تفاهة الذين عبدهم من دون الله ، وليسمع عن الديون ، وليرى جنود إسرائيل يدنسون بأقدامهم أرض سيناء . .

ولعل الحقد زاده مرضاً حين انتصر الذين كبروا الله ، والبقية تأتى إن شاء الله . . ولعله تذكر ما ختمت به خطابى له : الحكم اليوم لك وغداً الحكم لله العلى الكبير . . والآن — وهو بين يدى ربه . . ماذا نقول عنه ؟ ؟ حتى الأستاذ على أمين ، ومصطفى أمين . . ويكفينى الدرس الذى لقنه الله لهما ، وقد رأيا من كيد جمال ما أحزنهما على ما كتباه . .

وعاش على أمين ويكفينى أن أنقل شيئاً من آخر فكرة كتبها . .

« إذا كنت وحدك ومعك الحق فلا تحزن ، ولا تكتئب فأنت أغلبية . . الذين ركعوا لغير الله تدوسهم أقدام الزمن » . .

الذين يغيرون أفكارهم كما يغيرون جواربهم يعاملهم التاريخ كالجوارب تماماً . . هل رأيت جورباً يدخل التاريخ . . حتى ولو كان فى حذاء امبراطور ؟

رأيت رجالا كالعمالقة وفى داخلهم أقزام ، كباراً من الخارج وصغاراً من الداخل ، يتشدقون بالكلمات الضخمة ثم يسرعون خلف الستائر يقبلون أيدى أصحاب النفوذ وأقدامهم . . هؤلاء رجال بلاعقيدة وبلا إيمان وبلا عمود فقرى ، قليل من الهواء يهزهم . . والعاصفة تقتلعهم من أماكنهم وتحولهم إلى هباء . .

أسود أمام الفئران ، وفئران فى مواجهة الأسود ، يرتدون ثياب الأبطال فى النهار ، ويرتدون ثياب العبيد فى الليل ، يعلنون الحرب فى أيام السلم ، ويدعون لوقف القتال فى أثناء الحروب ، يبطشون

بالمساكين ويتهادون ذلا ومسكنة أمام الأقوياء . . رحم الله على أمين ، وغفر الله لمصطفى أمين . .

وفى كتاب « هؤلاء هم الإخوان » :

كتب كامل الشناوى « إننى لا أعجب كيف استطاعت السلطات أن تضع يدها على كل هذه الأهوال ، ولكنى أعجب كيف استطاع الإرهابيون أن يصنعوا كل هذا وهم آمنون مطمئنون . . »

تعجب الكاتب المتغزل بالحسان كأنما يتعجب من جمال الفاتنات اللاتى يثرن لوعته وشجونه ، ولم يسأل نفسه هل الطغاة يقولون الصدق بعد أن حطموا كل موازينه . . ؟ علماً بأنه صاحب الأغنية :

« لا تكذبى إنى رأيتكما معاً » ولم يكن من الصعب عليه أن يرى المجرمين الحقيقيين ، ولكن طبيعة الأقلام المأجورة أن تكون فاقدة الحس خاوية الشعور . .

وكتب ناصر النشاشيبى :

« تجارب الأبطال » :

« فى بيت جمال عبد الناصر ، فى ذلك البيت الفقير بكل ما فيه ، الغنى بكل من فيه . . »

ليت ناصر النشاشيبى على قيد الحياة ويزور منشية البكرى ليرى كيف صار البيت الفقير بكل مافيه ويبدى لنا رأيه فى مخصصات الأسرة بعد وفاة جمال . . ويحدثنا عن السبع عشرة عربة والطبيب الخاص . . ومالم يكن يحلم بمثله أعرق الناس فى الرأسمالية والإقطاع . .

ويأتى ختام كلمة النشاشيبى وختام الكتاب أيضاً :

وخفض صوت جمال وهو يقول :

لقد عزت على مصر ، وعز على نفسى ، وعز على مشهد الجماهير

الوفية البريئة تهتف بحياة مصر وحياتي ؛ وتهدج صوتي واستبد بي التأثر المؤلم فسمعت نفسي أقول للناس :

— روحي لكم . . دمي من أجلكم . . أنا فداء لكم .

وسكت جمال . ثم رفع رأسه ليقول لي :

— تلك قصتي . . فهل من سؤال ؟

قلت : لا

قال : فلأسألك بدوري . . ما رأيك أنت ؟

ووجدت نفسي أتمتم أمامه :

— حفظك الله وهداهم . اهـ

يكاد المريب يقول خذوني ... ما رأيك أنت ؟

هل أجيد التمثيل ، هل العملية محبوكة الأطراف . . ؟

أغرب شيء هو تلك الكلمات الواصفة لشجاعة جمال وهدوئه وثباته . .

طه حسين يتكلم عن الشجاعة التي قابل بها جمال الرصاص فيتغنى بما أظهره من حسن الاحتمال والجلد والثبات للهول . . ومحمد التابعي يعقد مقارنة بين بطولة جمال وجبن الإخوان وخوفهم ، ويتمادى في الكذب والنفاق فيزعم أنه رأى المتهمين ولم يلاحظ أي أثر للتعذيب على أجسادهم . .

وبدأ المتسلق الحقود محمد حسنين هيكل ملقه .. « ارتجفت الأعصاب كلها إلا أعصابه . . ثم سجل جمال عبد الناصر بعدها موقفه الذي يستحق أن يصبح ملحمة أسطورية تمضي مع الزمان ولا يحدها أبد . . ! »

ويقول محمد توفيق دياب : « مشهد كتب له الخلود في مسامع البشرية وفي نواظرها وفي ضمائرها »

ويقول كامل الشناوى : « ليست أسطورة تاريخية ، ولكنها حادث وقع مساء أمس فى الإسكندرية . . كان كل شىء يهتز ويضطرب .. كل شىء وكل إنسان . . المقاعد والمشاعر . . الجناة والذين أمسكوا بالجناة . . إنسان واحد لم تهتز منه شعرة . . هذا الإنسان هو جمال . .

ومصطفى أمين قال :

« شكراً للجانى . . إنه صنع مالم يستطع جميع أنصار جمال وجميع أصدقائه وجميع محبيه أن يصنعوه . إنه أزاح الستار عن جمال . . »

ولقد دفع مصطفى أمين الثمن غالياً ، وخرج من السجن ليروى للعالم كله قصته مع بطل المنشية الذى لاتهتز أعصابه أمام من يخالفه الرأى . ولا تنحنى أمام جبروته هامته . .

وتوفيق الحكيم يصيغ من مسرحية المنشية قصة يقبض ثمنها من دار أخبار اليوم وتمنحه فيما بعد جائزة الدولة التقديرية وأكبر وسام فى الدولة . وهكذا بدأ الحكم الذى جر على مصر أشنع ديون عرفتها الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ، وسبب لها هزيمة سماها هيكل « يوم العار فى تاريخ مصر » ورحم الله القائل :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقف جمال يخطب فى السرادق الذى أقيم فى بور سعيد بمناسبة الانسحاب الثلاثى ، وانطفأ النور . . وحين عاد النور تطلعت الأنظار إلى مكان جمال فلم يجدوه ، وسرعان ما ظهر من تحت المنصة . .

أية شجاعة هذه التى لاتهتز أمام الرصاص وتخاف من الظلام ؟ لو أراد الكتاب معرفة الحقيقة ما غابت عنهم ، ولكنهم لم يزحزحوا عقولهم عن مدى سمعهم ، وحسبك برجل عقله فى أذنيه « سماعون للكذب . أكالون للسحت » « صدق الله العظيم » .

ورحم الله شوقى القائل فى مسرحيته :

أسمع الشعب ديون كيف يوحون إليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء عقله فى أذنيه
ملأ الجو هتافاً بحياتى قاتليه

• • •

قبل النكسة بأيام زار عبد الرحمن البزاز ، كمال الدين حسين ليخبره بأن جمال عبد الناصر يشكو من أنه الوحيد من زملائه الذى لم يبعث إليه ليسانده فى موقفه من الحرب . . وأنه يشعر بالمرارة لموقفه منه . . وقال أنه يحبه كل الحب . . إنما الخلاف بينه وبين كمال هو أن كمال يريد أن يحكم المشايخ البلد . .

قال كمال : ده كذاب . . !

عرفها كمال الدين حسين بعد فوات الأوان . . !

والجائزة التقديرية وأكبر وسام فى الدولة لاتمنعان توفيق الحكيم من كلمة حق بعد أن أفاق من سكرته ، واكتشف خداع حفيده له وكذبه عليه ، فيقول :

« وجعلتنا أجهزة الدعاية الواسعة بطبلها وزمرها وأناشيدها وأغانيها وأفلامها ، نرى أنفسنا دولة صناعية كبرى ورائدة العالم الثانى فى الإصلاح الزراعى . وأقوي قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ، وكان وجه الزعيم المعبود وهو يملأ شاشة التليفزيون ، ويطل علينا من فوق منصات السرادقات وقاعات الاجتماعات ، ويحكى لنا الساعات الطوال هذه الحكايات ويشرح لنا كيف كنا وكيف أصبحنا ، فلا أحد ينافش أو يراجع ، أو يصحح أو يعلق ، فما كنا نملك إلا أن نصدق . . »

واكتشف شيخنا الأديب أن الهتاف أو التصفيق لا يأتى عفواً ،

وإنما ينفق عليه المال ويجلب له أشباه الرجال ، وتنظم له البداية والطريقة والنهاية وتعطى فيه الدروس وتوزع الأوراق المطبوعة . :
« ناصر ناصر ناصر » . . فليحيا ناصر العروبة « فليحيا بطل الثورة »
« القائد البطل » زعيم الأمة العربية .

وأنقل ماكتبه شيخنا الأديب الأريب :

« كنت أظن الشعبية تنبع فقط من القلوب . أو حتى من صور الأمانى والوعود والأوهام والأكاذيب . ولكنى ماكنت أظن حتى تلك اللحظة أنها يمكن أن تصنع وتؤلف تأليفاً وتوزع لها أوراق هتاف كأنها نوتة موسيقية للألحان » .

ولا يفوت شيخنا الأديب أن يعلن عن الحسرة والندم :

« ومع ذلك وهنا العجب : كيف استطاع شخص مثلى أن يرى ذلك ويسمعه ، وأن لايتأثر كثيراً بما رأى وسمع ، ويظل على شعوره الطيب نحو عبد الناصر . . أهو فقدان للوعى ؟ أهى حالة غريبة من التخدير ؟

ثم يقول :

« كنت فى ثورة ١٩٥٢ وفى كهولتى أفكر بقلبى »
وكنت فى ثورة ١٩١٩ وفى شبابى أفكر بعقلى . .
ولست أدرى سبباً لذلك . . » اهـ

والسبب يا أستاذ توفيق وضحته وجلته آية فى كتاب الله من سورة الحج : « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

وآية أخرى فى سورة النحل . « إن الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله . . » وقد دعوناكم لكتاب الله ، وهل أصدق من الله قيلا ؟ ،

فأبيتم ، ثم تحمستم لجمال وهو يضرب أبر رجال مصر ، وأصدقهم وأخلصهم .

أنفقت حياتك فى تخيل الدولة العلمانية ، وأوهمك جمال بأن ضربه للدين وأهله شرط لتحقيق دولة الصناعات والزراعة وسعة النفوذ . ؟

وزنت كلام جمال ووعوده بسعة خيالك وتمنياتك ، أما نحن المؤمنين بالقرآن دستوراً فقد وزنا كلام جمال ووعوده بآية واحدة من كتاب الله ، فعرفناه حق المعرفة . ولم ننخدع فيه كثيراً ولا قليلا ، وزناه بقول الله تعالى « لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » — ١٨٨ — آل عمران :

وما زالت أمامك فرصة فالله يقبل توبة العبد مالم يغرغر ، وادع بدعاء على أمين رحمه الله :

« يارب علمتنا كيف نحب . فلا تتركنا نغمض عيوننا ، فلقد تعذبنا واكتوينا من الحب الأعمى » .

ونترك توفيق الحكيم ونقدم رجلا ، لم يتحمس لمسرحية المنشية ولم يتحمس للسياسة ، وكتب عن العالم كله إلا سياسة مصر ، فقد حرم على قلمه مسها ، وحين أتيح له ليظهر رأيه قال :

« جاء على مصر حين من الدهر لايصدق ما يقوله الحاكم لكثرة ما قال وكال ، كذباً وتهويلا وتهويشاً ، وكانت النتيجة هى التى أعرف منها كثيراً ، وتعرف منها أكثر » . أنيس منصور .

ويقول الأستاذ مصطفى أمين :

« تحرير الإنسان المصرى من ضغوط مراكز القوى ومن الإرهاب ومن الخوف ومن عدم تصديق أى شىء ، جعل الإنسان المصرى أقوى ألف مرة مما كان وأكثر صلابة . .

ويعجبنى دعاؤه لأنور السادات »

يارب :

قرب منه الأمناء والمؤمنين والمخلصين ، وأبعد عنه الانتهازيين والمتنفعين والمنافقين .

يارب :

اجعل شعار الحكم فى عهده الشورى لا الكرباج ، والعدل لا الظلم ، والحب لا الجبروت ، والرحمة لا الطغيان . .

يارب :

اعطه القوة ليرفع الظلم عن كل مظلوم ، وليملأ الأمل فى قلوب اليائسين القانطين ، وبجد مسكناً لكل من لايجد مأوى ، ويحمل على كتفيه التركة المثقلة بالديون التى ورثها .

يارب :

وفقه أن يختار فى المناصب الكبرى الكفايات التى تخدم الشعب بعقولها وأفكارها وابتكاراتها ، لا العاجزين الذين لا عمل لهم إلاالدفاع عن تصرفاتهم وتبرير أخطائهم .

يارب :

افتح صدره لنقد الناقدين ، واجعل صدره يضيق بملق المتملقين . .

يارب :

اجعله يصبر على رأى الخصم وينفد صبره أمام استغلال النصير . .

يارب :

اجعله يثبت للدنيا أن بلداً يقوم على الدستور أقوى ألف مرة من بلد يقوم على الكرباج ، وأن حكومة تستند على البرلمان أقوى ألف مرة من حكومة تستند على الشرطة والمعتقلات والسجون . . ! !

تقبل الله منك يا أستاذ مصطفى يا أمين . .

لو أطعتنا وقرأت من القرآن عشر ما قرأته من كتب الغرب لما طبلت لجهال الذى أفقت على حقيقته ، بعد أن شربت من الكأس التى جرعها لكل خصومه . .

ويقول الكاتب الأديب ثروت أباظة :

« عاش القلم الذى أضم عليه أناملى فترة طويلة يرمز لا يبين ، يومىء لا يعلن . حتى إذا جاء هذا العهد الذى نعيش فيه استبان لفظه وأعلن كلمته » .

وحين استبان لفظ قلم الأستاذ ثروت أباظة ، قال فى وضوح ، وأعلن فى صراحة :

« أية غرابة أن يقال ما يقال : وما المال وقد سرق أمننا ، ولص كرامتنا ، وامتص دماء أبنائنا ، وأهدر على رمال سيناء شرف مصر والعرب وتاريخ أمة ومستقبلها . .

وفى أى شىء صدق حتى يصدق فى ذمته ؟ قال : « ارفع رأسك يا أخى » ، وحطم كل رأس فكر فى الارتفاع أو فكر فقط . .

وقال : ثورة بيضاء ، ثم أهدر دماء الشباب . . من أجل مجده الشخصى ومن أجل خراب مصر فى دمائها ومالها وكرامتها . .

واسأل الدماء فى خسة غادرة مجرمة وراء أسوار السجون — والمعتقلات . . فى أى شىء صدق ؟ !

قال : « الرجل المناسب فى المكان المناسب ثم اختار أهون الناس . وجعل منهم رؤساء على العمالقة » .

فى أى شىء صدق ؟ !

دعا إلى الاشتراكية . وعاش هو وعاش خدمه عيشة الفجار من

العاهرين فى الرأسمالية .. إلى غير رجعة يا زمن الهمس والصراخ ، والنوم المفزع ، والقلق الشائع ، والخوف المبيد ، والعرض المباح ، والدم المسفوك ، والشرف الجريح والتاريخ الممزق ، والأمل المظلم ، واليوم الكالح ، والغد العبوس ، والحق الضائع . . »

ويقول أول رئيس للجمهورية محمد نجيب : « زوروا توقيعى ولو لم تكن مدة الجريمة قد سقطت بحكم القانون لكنت الآن رفعت دعوى بالتزوير على مجلس قيادة الثورة الذى كان قائماً » . .

ويقول . . فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٥٤ قرأت الصحف الصادرة فى الصباح فإذا بها تزخر بأخبار مختلقة تماماً عن ثبوت اتصالى بمؤامرة الإخوان المسلمين على حياة عبد الناصر .

هنا أقطع سياق كلامى لأعلن لأول مرة فى التاريخ سراً من أدق مايمكن من أسرار ٢٣ يوليو ، وهو أن مؤامرة إطلاق الرصاص على عبد الناصر فى الإسكندرية كانت مؤامرة وهمية من أولها لآخرها . وكانت مرتبة بواسطة رجل من رجال المباحث فى مصر كوفىء على ذلك فيما بعد بمنصب كبير واستؤجر فى هذه المؤامرة شاب مصاب بجنون العظمة وأغرى بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل عبد الناصر فسينال مكافأة مالية ضخمة ويسمح له بالهجرة إلى البرازيل . وقد كانت المكافأة الوحيدة التى تلقاها هى إعدامه بدلا من تهريبه ، كما وعدوه حتى يموت ويموت سره معه .

أحب أن أقول : إن معظم المؤامرات التى أعلنت ثورة ٢٣ يوليو عن اكتشافها لقلب نظام الحكم فى عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ كانت مؤامرات وهمية وكنت شخصياً أحضر اجتماعات مجلس قيادة الثورة التى كان يتقرر فيها اصطناع هـذه المؤامرات من بعض الضباط ذوى الشعبية فى الجيش . وكان يجند للشهادة ضدهم بصفة « شهود

إثبات » بعض الضباط الذين تحتوى دوسيهاتهم على جزاءات أو تحقيقات معلقة ، وكان الشاهد فى هذه القضية يحكم عليه بالسجن من باب التعمية ثم يفرج عنه بعد عدة شهور مع زرعه فى منصب ضخم ولا يبقى فى السجن إلا الضابط الذى زيفت ضده المؤامرة أصلا .

أقول هذا وأستغفر ربى لأننى برغم عدم موافقتى على ذلك منذ البداية ، لم أستقل من بداية البداية احتجاجاً على ما لفق وزيف من مؤامرات . . » .

ويستطرد محمد نجيب لنرى من استطراده كيف لعب الكذب دوره ، بعد أن قرأ الصحف فى قصر عابدين ووجد اسمه متهماً :

« أدركت على الفور أن دورى قد جاء ، فتناولت سماعة التليفون وخاطبت عبد الناصر مستفسراً عن سبب تعرض الضابط عرفه وجنوده لى عند مدخل القصر ، فحاول أن يطمئننى قائلا أن هناك سوء تفاهم وأنه سيرسل عبد الحكيم عامر ليتفاهم معى ، وجاء عامر ومعه حسن إبراهيم ، وحاولا أن يقنعانى بأن اعتكافى أمر فى مصلحتى ، وأوهمانى أنهما سيصدران بياناً باسمى أعلن فيه أننى أعتكف باختيارى أسبوعاً أو أسبوعين حرصاً على سلامة التحقيق ، وعرضا على أن يقوما بتوصيلى إلى منزلى مبالغة فى إحاطتى بالإجلال والاحترام . .

« وأقسم لى عبد الحكيم عامر بشرفه العسكرى وبابنته نجيبة التى سماها على اسمى أنه صادق » . .

ولاحظت أن السيارة لاتسير فى طريقها الطبيعى إلى بيتى ، وسألت عبد الحكيم فقال : إن الاعتكاف سيكون فى قصر زينب الوكيل بالمرج . .

وعند باب القصر عاد فأفهمنى أنه تحديد إقامة ، وأنه لن يسمح

لى بالزوار ، وطلب منى أن أكون واقعياً وعملياً ، ووعدنى بمعاملتى معاملة كريمة . .

وقد لحظت فور دخولى القصر أنه قد جرد تماماً من الأثاث ومن الستائر . . أين ذهبت هذه الأشياء ؟ !

وفى المساء جاءت زوجتى وأولادى والخادمتان . . ومع الجميع حقيبة واحدة تحوى ملابس قليلة ، ولم يسمح لهم بأن يأخذوا غير هذه الحقيبة . .

ونمنا على الطوى . . وفى ظهر اليوم التالى أرسلوا لنا سريرين فقط مع « عامود » يحتوى على ثلاث أوانى فيها سبانخ مع قطعتى لحم وشىء من الأرز تعافه الكلاب . واختفت إلى الأبد كتبى فى منزلى الأصلى ، وحتى الآن لا أعرف لها مصيراً ، ولا مصير أوسمتى ونياشينى وبراءاتها وخطاباتى الشخصية وأوراقى وصورى وشهاداتى الدراسية وشهادة ميلادى ، فأنا رئيس جمهورية بلا ذكريات ولا أوراق تثبت شخصيتى ، بل إن كتب التاريخ فى المدارس الابتدائية طيلة السبعة عشر عاماً التى سبقت عهد الرئيس السادات تذكر أن أول رئيس للجمهورية بعد الملك فاروق كان جمال عبد الناصر . .

* * *

كذبوا على أنفسهم . .

وكذبوا على الشعب . .

وكذبوا على التاريخ . .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على الله ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » ١٨ — هود

ولم تكتف الناصرية بصب حقدها على الرجال فحسب بل امتدت الأحقاد إلى السيدات الفاضلات والشيوخ والأطفال . .

* تقول السيدة زينب الغزالى للأستاذ جابر رزق :

ـ هل قرأت عن محاكم التفتيش يا ولدى ؟ ! ! إننى قرأت تاريخها وأعمالها غير أنى أتصور أن محاكم تفتيش جمال عبد الناصر ليس لها مثيل . . كل فراش بيتى مزق . وكل أثاث بيتى دمر ، بأيدى الطغاة الفجرة عندما فتشوا بيتى ثلاث مرات خلال ٢٤ ساعة ، مرة فى أول الليلة ، ومرة ثانية عند الفجر . والثالثة بعد الظهر ، ولما لم يجدوا ما يدينوننى به أخذوا مالا يقل عن ألف كتاب من مكتبتى . .

وفتحوا خزانتى وأخذوا كل ما بها من حلى ومصاغ وأموال ، ولن أقص عليك يا ولدى إلا طرفاً من الساعات الأولى التى أعقبت القبض على . .

لقد طلبت من الزبانية إذن النيابة فضحكوا وقالوا :

« الإخوان المسلمون مجانين . . فى عهد عبد الناصر لا إذن للتفتيش ولكن فقط فتش . . أقبض . . اسجن . . اقتل . . ادفن . . . !

هذا ما قالوه لى بألسنتهم ! ! ! فنظرت إليهم فى سخرية وتركتهم يفعلون كل قبيح ينطبق على قبحهم وقبح فعلهم .

طلبت منهم أن يعطونى إيصالا بحليي ومصاغي ومالى الذى أخذوه من بيتى فقالوا لى :

ـ أنت مجنونة ! ! هو عبد الناصر يعطى إيصالات ! !

وعندما وصلت إلى السجن الحربى أدخلونى على حجرة فوجدت رجلا كالوحش المسعور سألنى عن اسمى فقلت له : زينب الغزالى ، فشتم شتماً بذيئاً عرفت فيما بعد أنه صلاح نصر . . وكان بجانبه رجل آخر هو شمس بدران فلم أعبأ بالشتائم . . فقلت لهم :

ـ أرجو أن تكتبوا إيصالا بما أخذوه من أموال ومصاغ وأشياء أخرى كثيرة أخذوها عند التفتيش ، وأرجو أن تقيد فى محضر التفتيش .

فقال شمس بدران :

ـ يا بنت الـ . . أنت ستقتلين بعد ساعة وتسألين عن مصاغ ومال وكتب ؟ أنت ستموتين بعد ساعة ! !

وسرت فى ساحة السجن الحربى ووجدت شباب الإخوان المسلمين معلقين كالذبائح ، البعض معلق على الأعواد . . والبعض مشلوح على الأرض مشقوق الصدر . . وآخرين ينزفون دماء ، هـذا بطنه مبقور ، وآخر ذراعه مكسورة ، وآهات الألم تصعد إلى السماء . .

وأحس المعذبون بوجودى فقال واحد منهم :

ـ صبراً يا أماه ! !

وأخذنى الموقف فقلت بصوت عال مرتفع جداً :

ـ صبراً يا أبنائى إنها بيعة مع الله . .

صبراً يا أبنائى إن موعدكم الجنة . .

صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة . .

إنه عار احتملته مصر فى ضميرها وستعيش تاريخها تألم لهـذه الفترة التى حكم فيها الطاغية الدكتاتور ، لقد كانت النساء يجرجرن إلى التحقيق جراً ، ورأيت الحاجة أم أحمد وزميلتين لها فى سن مافوق الستين والسبعين يسحبن على وجوههن فى طرقة الزنازين التى كنت أعيش فى واحدة منها . .

لقد أقسم لى شمس بدران وأنا أجلد فى مكتبه أن الأحكام موجودة فى مكتبه . . لقد أقسم برأس جمال عبد الناصر على ذلك . .

الدجوى كان رجلا غبياً وهو الآن يلقى جزاءه من الله ، وهو يعلم

من هو ومن نحن ومن هو عبد الناصر . . والدجوى لم يحاكمنى لأن الأحكام صادرة من عبد الناصر قبل المحاكمة . .

كانوا يكتبون شيئاً مغايراً كل المغايرة ، لما نقول ، وقال القناوى وكيل النيابة – كلاماً كثيراً فى المحكمة لم يحدث منى فسألنى الدجوى فقلت له :

– لم يحدث ولم أقله ، فالنيابة كانت تكتب غير الذى نقول ، ولكنهم تغالوا فى التزوير فقالوا : إن الشهيد سيد قطب هو الذى قال هذا الكلام عليك ، فهل سيد قطب كذاب ؟ !

فقلت :

حاشا لله أن يكذب سيد قطب ..

وطالبت النيابة بإعدامى ، وقالت أسباباً لهذا قبيحة مثل قبح الأوامر الصادرة إليها وقبح مصدرها . وطلبت الكلمة من المحكمة المزعومة فأعطانى الدجوى الكلمة ظناً منه أننى سأعتذر لأن المطالبة بإعدامى أخافتنى ، فوقفت وقلت :

– « نحن حملة كتاب ، وحماة شريعة ، وأمناء أمة ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة .. وحسبنا الله ونعم الوكيل فى هؤلاء الظالمين .. ! ! ! ﻫ

* * *

وصدر الأمر باعتقال أحد الإخوان بالإسكندرية ، وكان الضابط المكلف بالأمر يدعى عبد العزيز الصوابى ، فلم يكتف باعتقال الأخ فاعتقل معه زوجته وتركوا ثلاثة أطفال أكبرهم دون الخامسة وأصغرهم رضيع ، وفى الصباح أقبل شقيق الزوجة لزيارتها زيارة عابرة ، وقبل أن يضغط الجرس سمع بكاء الأطفال الثلاثة خلف الباب ، وضغط

الجرس ولا يجيبه إلا بكاء الأطفال وصراخهم وهلعهم ، وخاطب أكبرهم : أين أمك وأين أبوك ؟ .

وأجاب : قمنا من النوم فلم نجدهما ..

وفتح الباب فوجد الأطفال الثلاثة . . ومع نشرة الأخبار وما ذكرته الصحف علم بأن قد صدر أمر الرئيس وهو فى روسيا ، باعتقال من سبق اعتقاله ، فاعتقلوا الزوج ، وليثبت الضابط لرئيسه تفانيه اعتقل الزوجة أيضاً .

« إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين » .

* * *

مقدمـــات المـؤامـــرة

لم تكن مسرحية المنشية الأولى والأخيرة فى حياة عبد الناصر ، وإنما امتد المسرح الناصرى منذ بداية تحرك جمال إلى اليوم الذى سكنت فيه حركته .

ولكى تتضح الأمور لابد من إشارة إلى طموح جمال ومدى استعداده لبذل كل غال فى سبيل تحقيق مجده الشخصى .

يحدثنا حسن إبراهيم عن جمال فيقول :

كان يحب الرئاسة . . إننى أتذكر حادثة بسيطة ولكنها بعد سنوات كشفت لى عن حقيقته .. وهى حبه للرئاسة والانفراد بالحكم وجميعنا اكتشف ذلك ، ولكن تفاوتت بالنسبة لكل منا الفترة التى اكتشف فيها حقيقة عبد الناصر ..

والحادثات كانت مساء يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وقبل قيام الثورة بساعات .. كنا مجتمعين وكتبنا خطة التحركات والعمليات .. وحضر زكريا محيي الدين .. وأعطاه عبد الناصر الورقة ليقرأها ويطلع عليها بصفته المسئول عن التحركات .. وقرأها زكريا وقال : كويس على بركة الله . ثم وضع الورقة وانصرف .. وهنا التفت إلينا عبد الناصر وقال مستنكراً تصرف زكريا :

– عايز يبقى ريس والا إيه ؟ ؟

• ويقول كمال الدين حسين :

كان تحرك سلاح الفرسان قبل أزمة مارس سنة ١٩٥٤ سبباً فى

أن يفكر عبد الناصر فى أن يكون الجيش مسئولا من شخص واحد فقط .. وقدم اقتراحه أن يتولى عبد الحكيم عامر هذه المسئولية ، ورغم أنه لم يكن هو المناسب لهذا المنصب إلا أننا وافقنا بالإجماع .

فقد كان عبد الحكيم أقربنا إلى قلب عبد الناصر ، ومن أجل ذلك اختاره لثقته فيه ، وظل مجلس الثورة حتى صدر دستور ١٩٥٦ ، وطلب منا عبد الناصر فى يونيو أن نصدر قراراً بحل المجلس .. ووجدنا أنفسنا مجبرين على أن نوافق على رأيه ونترك له الحكم منفرداً ..

* ويقول عبد اللطيف البغدادى ليلقى بعض الضوء على أزمة مارس :

بدأت ، الأزمة عندما أحس نجيب أن عبد الناصر يتعمد الظهور فى مختلف وسائل الإعلام على أنه الرجل الأول فى الثورة ..

ومن الطرق التى استخدمها عبد الناصر فى مهاجمته نجيب التلميح إلى الحكم الفردى الديكتاتورى الاستبدادى ، وقدم نجيب استقالته فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٤ وتركنا عبد الناصر نتناقش ثم قال بصوته الهادى :

– يوم ٢٣ مارس : « مش حيبقى فيه نجيب » .

وسألناه :

إزاى.. ؟

فأجاب بهدوء :

نخلص منه .. !

وفى يوم ٢٥ مارس أعلنا حل مجلس الثورة والعودة إلى الثكنات وتحرك عمال النقل وأضربوا عن العمل .. واكتشفنا بعد ذلك أنه دفع أربعة آلاف جنيه إلى الصاوى رئيس نقابة النقل للقيام بتلك الحركة ..

ويواصل البغدادى :

كان دائماً جمال عبد الناصر يفاجئنا بتصرفات يقوم بها بمفرده حتى من قبل قيام الثورة ، وأذكر أنه فى يوم ٩ يناير سنة ١٩٥٢ أعد خطة لاغتيال حسين سرى عامر ، ولم يكشفها لنا إلا بعد قيامه بتنفيذها مع حسن إبراهيم وكمال رفعت وحسن التهامى ، وفشلت الخطة لأن الرصاص أصاب السائق فقط ونجا حسين سرى عامر ..

* * *

وقد أشار جمال فيما كتب إلى أنه وهو فى فلسطين يفكر فى تحرير مصر أولا من الطغاة .. سمع من أحمد عبد العزيز يقول لهم : مجالنا أولا وقبل كل شيء فى مصر ، لابد من تحرير مصر أولا .

وأشار جمال إلى قوة أحمد عبد العزيز ضد اليهود .

وبهذا بدا أن جمال كان يفكر فى الثورة وهو مع الجيش فى فلسطين . وقد سمع من أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين . أن جهادنا مجاله فى مصر .

ـ ويعلم ما لأحمد عبد العزيز من سمعة ومكانة ووطنية وقدرة على التحرك، وشعبية تسانده إن أراد تحقيق ما ألمح إليه وهو فى فلسطين ..

وكانت مدفعية أحمد عبد العزيز لا تزال تضرب اليهود حين هوى أحمد عبد العزيز بغدر رصاص مصرى .. وأشاعوا أن قائد المتطوعين لم يكن يعرف كلمة السر ..

إنه التبرير الساذج لكل عمل مجنون ..

وحين لا يكون العمل لله .. ينجح الرصاص فى اصطياد البطل أحمد عبد العزيز الفدائى الطاهر ويفشل فى اصطياد سرى عامر صنيعة فاروق !

ونستطيع معرفة مدى استعداد جمال عبد الناصر لعمل أى شيء في سبيل تحقيق هدفه — نستطيع معرفة ذلك حين نجد جمال عبد الناصر يستغل كل الفرص ليصل إلى هدفه وليطيح بخصمه ، فمحمد نجيب يعود رئيساً للجمهورية ويبقى عبد الناصر رئيساً لمجلس الثورة بعد حوادث فبراير ، ولابد من أن يقابل جمال تسامح محمد نجيب بالشكر والعرفان ، بدأ على الفور الضرب بأيد من حديد يحطم كل مؤيد لنجيب ، وسافر محمد نجيب إلى السودان يوم أول مارس ليصل ما انقطع ، وليعمل للوحدة التى عمل لها كل الزعماء الذين سبقوا جمال .. ولكن أخبار ضرب مظاهرات التأييد تلاحقه ، فيعود بعد ٢٤ ساعة ليرى الجرحى وليرى الذين قبض عليهم جمال ، وقال : إنهم من مدبرى المظاهرات ، ومع ذلك يذيع بياناً محاولا تهدئة النفوس معلناً أنه ومجلس الثورة قلب واحد ويد واحدة ..

استغل جمال كل الفرص وأضاع نجيب كل الفرص ، كان نجيب شجاعاً ولكن خصمه كان ماكراً ، وكان صادقاً فى وطنيته ولكن حظه وحظ مصر العاثر أوقعه فى براثن من لا يحترم الصدق ولا تلتقى مبادئه مع الصادقين ..

أضاع نجيب الجيش من يده وسلمه لعبد الحكيم عامر أقل أعضاء الثورة كفاءة ولكنه أقربهم إلى قلب جمال ، ومهما برر نجيب تصرفه هذا فقد أثبت أنه لا يقدر الأمور حق قدرها ، كيف يبرر نجيب رفض مرتبة فريق يستحقها ، ويصدق على منح عبد الحكيم رتبة لواء متخطياً أربع رتب ، ويتحرك السهم الأخير بمظاهرات فبراير يناصره ويطالب به ويصر عليه ولا يغتنم الفرصة متعللا بعلل لن تصمد أمام التاريخ يوم تصح كتابة التاريخ ، ظن نجيب وأسرف فى الظن — حين

انتظر من الشعب أن يتحرك بأكثر مما تحرك ، وأن يعاود الثورة إن نحاه جمال ، وكيف ؟ ونجيب يعلم أن الشعب بغير أظفار وأنياب ، وأن الأظفار والأنياب سلمها نجيب لمن لا يرحم ..

وأطاح من قبل ذلك بسهم جاءه مختاراً ، فهاهو ذا خالد محيي الدين يتصل بنجيب يحذره ويعرض عليه مساعدته ولم يقابل خالداً بفكر وحكمة وعقل ، بماذا يدافع عن نفسه أمام تصرفه حين أعلم جمال وبطانته بما كان من أمر خالد . .

بل ويذكر نجيب بنفسه ما حذرته أمريكا منه بواسطة عبود . .

فلا يقابل أحمد عبود بالشكر بل يهدده بوضعه فى السجن ..

لو أن نجيب أبقى القوة فى يده لكان لمسلكه الطيب واستقامته تفسير آخر . .

ولكن نجيب أضاع القوة من يده ، وسد على نفسه كل أبواب المساعدة الممتدة إليه ، وانتظر بعد ذلك تحرك الشعب الأعزل ..

بماذا نفسر ذلك ؟ !

هل كان لديه ضمان بأن الأيدى التى امتدت إليه فردها فى إباء أفلاطونى — لن تمتد لجمال وقد بدا للبعيد قبل القريب أنه يعمل للتخلص من كل من يقف فى طريقه ؟ وأول الواقفين فى طريقه نجيب ، ليس فى طريق رئاسة الجمهورية فحسب — بل وبتضييقه على جمال وطموحه وانتهازيته المتأصلة فيه ..

• ونترك نجيب يحدثنا فيقول :

« اقترب منى جمال ، وكان ذلك قبل أن يصبح نائباً لرئيس الوزراء وقال لى :

« إننى أعرض عليك أمراً ناقشته مع بعض الزملاء » .

وأصغيت إليه فى اهتمام وبدأ يتحدث قائلا :

ـ أعتقد أن ظروفنا الحاضرة تقتضى منا أن ننظر إلى مستقبلنا ومستقبل حركتنا ، ونحن الآن تحيط بنا عواصف مضادة لا نعرف مصيرنا معها .

ولذلك فكرت فى أن يأخذ كل عضو من أعضاء مجلس الثورة مبلغ عشرة آلاف جنيه ، وتأخذ أنت أربعة عشر ألف جنيه ، فيكون المجموع ١٣٤ ألف جنيه ، وقد طلبت من زكريا أن يحجزها لنا نقوداً جديدة ..

فصرخت فى وجهه طالباً منه أن يسكت ..

ويقول أيضاً بلغنى أن أحد الضباط خسر على مائدة الميسر مئات الجنيهات فى ليلة واحدة فأصدرت قانوناً بتحريم الميسر ..

ويقول : ذهبت لزيارة أحد أعضاء مجلس القيادة فوجدت فناناً يصنع له تمثالا يتكلف ٢٠٠ جنيه .. فعنفته وخرجت غاضباً ..

ويقول : « لاحظت ونحن نقبل على تناول العشاء فى مجلس القيادة أن بعض أدوات المائدة كانت من الفضة ، ومكتوب عليها « القصور الملكية » وثرت ثورة عنيفة وأبعدت الضابط الإدارى المسئول عن ذلك .. »

وأثبت نجيب بهذا أنه كان يقوم بالوعظ ولم يمارس السلطات ..

ويعلق على ذلك فيقول :

« كل تحول اجتماعى لا تضرب فيه القيادة المثل وتتخلى عن مظاهر البذخ ، ينتهى إلى وقفة ونكسة » .

ونسى نجيب أنه بما ذكره عن هؤلاء وإن كان قليلا من كثير — إلا أنه ضاعف مسئوليته أمام الله ، وأمام التاريخ ، حين وضع فى

أيديهم القوة ، ومكر به جمال ، ودعاه لزيارة قريته « بنى مر » وخطب بطريه :

« وباسم أبناء هذا الإقليم أرحب بك من كل قلبى وأعلن أمام الفلاحين أننا آمنا بك ، فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحاً لمصر ونذيراً لأعدائها .. ! »

ويتذكر نجيب كلمات جمال عبد الناصر فى « بنى مر » حين اشتد ساعد جمال وزاد بطشه ، وكثرت مظالمه ..

« باسم جميع الفلاحين قد آمن بى لأنى حررتهم من الفزع والخوف وتبين لى أنى حررته فعلا من الفزع والخوف ولكن لينقل الخوف والفزع إلى سائر المصريين .. »

– صح النوم يا سيد نجيب .. ! !

يقولون : « لا يبتسم الحظ إلا مرة واحدة » .

وقد ابتسم لك الحظ مرات ، وجاءتك النذر .

حذرك فاروق حين قال لك :

إن مسئوليتكم كبيرة ، وإنى أوصيك خيراً بالجيش المصرى فهو جيش آبائى وأجدادى . فأهديته للمغامرين .

ولم تكن موفقاً حين أهديت إلى إيزنهاور تمثالا من آثار مصر القديمة ، فليس من حق أى حاكم أن يبعثر آثارنا لمن يشاء ، وجاءتك هدية « أيزنهاور » معبرة ومحذرة لك ، أهدى إليك مسدساً بغير ذخيرة ولم تجد له ذخيرة ، وكانت واضحة الدلالة على أنك سلمت القوة لجمال ، واكتفيت بالشعب الأعزل .

وحذرتك أمريكا من قبل عن طريق أحمد عبود-فهددته وضحكت لما أصابه من خوف وذعر حين بلغه تهديدك .

وزور جمال توقيعك حين اعتقل باسمك رجالا لم توافق على اعتقالهم .. وتقول لولا طول المدة لرفعت قضية ضد المزورين ، ولا أدرى لمن نرفع قضيتنا ضدك وقد ناصرك الشعب وأيدك من قلبه ، فسلمت سلاحه لمن قتلوا الخميسى والبقرى على غير رغبتك ، وقتلوا البكباشى حسنى الدمنهورى على غير رغبتك ، وشهدت مؤامراتهم ضد كل من يقف فى وجوههم ؟؟

وتقول : إنك لم تستطع زحزحة أعضاء المجلس عن رأيهم فى أن يشكلوا من أنفسهم محكمة لمحاكمة رشاد مهنا ، وضباط المدفعية ..

ثم تقول : كان كل ما فى استطاعتى أن أفعله للضباط المعتقلين هو الحرص على سلامة التحقيق ، ومعاملتهم معاملة إنسانية بمعنى أنك ارتضيت لنفسك أن تكون سجاناً رحيما . ليتك كنت كذلك ! لترى بعينك مكر خصومك وتفتح شهيتهم للحكم والمال والعرض الحرام ، وتسلم الجيش لمن جاء بهم من مكامن المخدرات كما أجاب جمال على من اعترضوا على اختياره لأنصاره ومساعديه ..

فى أوائل شهور الثورة ، والأضواء مسلطة على محمد نجيب والجميع يتغنون بشعار نجيب : « الاتحاد والنظام والعمل » .

جاء جمال عبد الناصر إلى كلية الهندسة بالإسكندرية ، وحضر جمع كبير من طلاب جامعة الإسكندرية .

وكان الشيوعيون ينظمون فى عدد قليل منهم طائفة تهتف « تسقط الحكومة الفاشية » و « تسقط النازية العسكرية » ..

ونظم الإخوان المسلمون جمعاً غفيراً أكثرهم من طلبة كلية الطب وعلى رأسهم الدكتور أكرم عبد الله ، يهتفون هتافات إسلامية أذكر منها :

« لا شرقية ولا غربية ، إسلامية قرآنية .. » وكنت أضيق بهتاف الشيوعيين لأنه يأتى فى أثناء كلمة جمال ، فكنت أصيح فى الهاتف الشيوعى « اسكت يا ولد » ورأيت فى وجه جمال علامة الرضا كلما تعرضت للشيوعيين ..

كانت الفكرة التى لدينا أن جمال عبد الناصر من الإخوان المسلمين وأنه أقسم على المصحف أن يحكم بالقرآن إن نجحت الثورة ..

وكان ملخص كلام جمال فى ذلك اليوم ، ذكر عن ديجول أنه وحد كلمة فرنسا تحت راية الحزب الواحد لتنتصر ولتتحرر من الاستعمار ، وحين تحررت فرنسا من الاستعمار النازى عادت إليها الأحزاب ..

كانت الأحزاب فى مصر لا تزال قائمة ..

وخطبته فى كلية الهندسة وثيقة تاريخية تضع المكر الذى دبره والكيد الذى بيته ، والطريق الناصرى المخادع .

بعد خطبة كلية الهندسة طلب إلى الأحزاب أن تعلن عن برامجها ، ليرفض ما تقدمت به الأحزاب وليحلها ويبقى على الإخوان المسلمين لا تكريماً لهم كما زعم السطحيون ، وإنما ادخرهم لحاجة فى نفسه ، إما أن ينصاعوا له فيسخرهم لمآربه ، وإما أن يختلفوا معه فيبطش بهم ليخرس الألسنة ، ويكمم الأفواه ويحطم المعارضين ..

طموح جمال كان أقوى فى نفسه من الإسلام المكتوب فى شهادة ميلاده ، وأبعد من الوطن المتشدق بأهدافه ، وأوضح فى خياله من آمال الأمة العربية المتطلع هو لتزعمها ، والتربع على ثرواتها من المال ومن البشر .

يقول للأستاذ فريد عبد الخالق وهو يحاوره :

« اسمع يا فريد .. أقول اللى فى نفسى واخلص .. أنا عندى فكرة

مستوالية على ، ولا أعرف إذا كان غلط والا صح .. أنا عايز فى خلال سنتين ثلاث أوصل إلى أننى أضغط على زر .. البلد تتحرك زى ما أنا عايز .. أضغط على زر .. البلد تقف .. »

وكشف جمال نفسه لمن لديهم فكر وفكروا ، ولمن عندهم عقل ولم يسدوا على العقل نوافذ الحكمة والتعقل ..

ويقول لناصر الدين النشاشيبي فى كتابهم الرخيص فى المعنى وفى القدر والهدف « هؤلاء هم الإخوان » يقول جمال فى آخر صفحة فيه : وكان يهمنى ألا يعكر أمن ذلك البلد أى حادث ولو كان حادث اعتداء على حياتى ، وفرحت وأنا أرى الجموع المحتشدة تعود إلى أماكنها فى لحظة خاطفة ، وتمنيت لو كان هناك مصور صحفى ليسجل بعدسته هذه الدقائق القليلة الخالدة فيبرز صورة الجماهير وهى تتدافع أثر الحادث تبحث عن مفر . فإذا بها تسمع صوتى وتلبى ندائى وتعود إلى أماكنها فى هدوء ونظام » .

ولم يفت جمال إحضار المصور ليصور الحادث ، وإنما أغفله من مسرحيته عامداً ، فما خرج جمال ولا تحرك إلا ومعه المصورون ، فتلك إحدى أمانيه ، أن يملأ وجهه شاشة التليفزيون ، وتحتل صورته كل الصحف وكل المجلات .. ليته لم يتنبه لخطورة المصورين ومكنهم من تصوير الجناة الحقيقيين ، ورأينا عددهم ومكانهم واتجاه الرصاصات الثمان إن كان هناك رصاص ، ولنرى الطريقة التى سفك بها دماء قلمه الأحمر على صدره فانزعج لمنظرها الباقورى وشركاوه ، ولنعرض الصورة بأحداثها مع صوت جمال بنبراته لنقدم للعالم مسرحية من نوع جديد لا يتكرر ولا يمكن تكراره ..

فى سنة ١٩٦٤ سافرت إلى الإسكندرية بعربتى وجلست فى استراحة بطنطا بعض الوقت ، ووجدت الأستاذ على فهمى طهان المحامى

بالإسكندرية جالساً فعرضت عليه أن يركب معى بدلا من « التاكسى » ورحب بذلك .

وكان الأستاذ على من الأعضاء البارزين بالإسكندرية ، عرفته من سنة ١٩٤٨ ، وكان يهاجم الملكية فى شجاعة ويعتبر الملكية سبب التخلف فى البلد ، وحين قامت الثورة صال وجال وأسرف فى الاطمئنان إليها وكأن نهاية المطاف عنده أن يتحول الحكم الملكى إلى جمهورى فنصلح بعد فساد ، ونتقدم بعد تأخر ، ونقوى بعد ضعف ونتحرر بعد استعمار .

وأثر عليه كمال الدين حسين لصلته به فانشق على الإخوان ..

وتناقشنا فيما ألم بالجماعة وبالإسلام . وذكرته بما كان يردده الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله « إننى لا أخشى أن تتألب الدنيا كلها عليكم ولكنى أخاف عليكم انقسامكم على أنفسكم » ووجدت الأستاذ على متحاملا على سياسة الأستاذ الهضيبى ، وحمل هذه السياسة نتائج طحن الإخوان وبلائهم .. وأخذت أؤكد له إخلاص الأستاذ الهضيبى وبعد نظره ، وأنه بسياسته لم يدفع الإخوان إلى جمال يسخرهم لطموح شخصى لن يعود على الإسلام بالفائدة ، بل سيتحملون معه أخطاءه القاتلة ، فيسيئون إلى الإسلام والإسلام برىء من ظلم الظالمين ..

وقلت له : هل تقبل العمل مع رجل دبر مسرحية المنشية .. ؟ واعترض الأستاذ على طهان واستبعد تآمر جمال بها ، وقلت له : هل فكرت يا أستاذ على فى الظروف السابقة لها ، ثم تأملتها وتأملت ما تبعها ..

وقال الأستاذ على : « إن كانت مدبرة من جمال فسينتقم الله منه » .

وقلت له : لم أشك لحظة فى أنه لا يفلح الظالمون .. وإن الله تعالى لن يبارك أعمالا كل همها ضرب الإيمان وأهله ، واستغلال طيبة الشعب للمكر به ..

كنت ألوم الشعب كيف لم يفكر فى الحادث ، وكيف اندفع سواده الأعظم يصدق أكاذيب الصحافة والإذاعة .. وحين ناقشت الأستاذ على لم يعد فى وسعى إلا أن أؤدى شهادة أمام التاريخ .

أكتب هذه الشهادة بعد أن انتهى طغيان أركان الكيد والزيف أقصد بها وجه الله وحده ، والله يعينى ويوفقنى للقول الحق ، وألا أبعد عن الصواب ، لنستخلص العبرة والموعظة الحسنة ، وصدق الله العظيم : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » . .

* * *

حين شبت الثورة وظهر على رأسها نجيب ، لم يكن مما يخفى علينا أن هناك رجلا ثانياً ، حتى نجيب نفسه لم يتردد فى إعلان ذلك وإن كان عرضاً ، كان الكل يهتف لمحمد نجيب ، وصاح صبى « يعيش جمال عبدالناصر » فقال نجيب فى انشراح « عرفه الصغار ولم يعرفه الكبار » .

لم يكن نجيب كبيراً فى مركزه فحسب ، بل كانت طيبة نفسه وصدق فؤاده وارتفاعه على الأحقاد أكبر من المركز الذى حمل أمانته ، ولا تظن أن نجيب لم يكتشف تفتح شهية الضباط للحكم وتيقنهم من وقوفه أمام نزواتهم ، وهو بما كتب فى مذكراته بدا كالواعظ الجاف فى وعظه ، ونسى تماماً الحكمة التى قالها عثمان رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » ..

وحين خطب جمال فى كلية الهندسة بالإسكندرية وقدمته مجلة التحرير على أنه الرجل الثانى — بدا فى خطبته وكأنه الرجل الأول والثانى والثالث ، وهو الثورة كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

ومن يتتبع الأحداث يجد جمال قد نوه بالحزب الواحد ، وقد سعى إلى ذلك فعلا بأساليبه المعروفة .. والتى لا يجهلها أحد ، وساعدته

الظروف ، فالشعب كاره للأحزاب ، التى وعدت وأسرفت فى الوعود ، وأصبح حظ الشعب من الوزارات ما عبر عنه الشاعر :

تروح وزارة وتجئ أخرى   ومصر تقلب النظرات حيرى

وعبر عن إحساس الغالبية ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم :

« كانت عندنا مبادىء ودساتير فى أيدى أشخاص يتلاعبون بها لمنافعهم وأغراضهم ، وما كنا نحلم به وننتظره دائماً هو ظهور الأشخاص المخلصين .. »

كلما تذكرت حكمة سمعتها من سيدة رأتنى أصعد السلم فرحاً وأنزل فرحاً بالثورة وقادتها وطرد الملك وتخليصنا من كابوس الأسرة المالكة .. وقالت السيدة حكمتها ولم أسمعها من غيرها : « ما تفرحش فى اللى راح لغاية ما تعرف اللى جاى » ..

وذكرتنى حكمتها هذه بنقاش دار بينى وبين سيدة أخرى قبل قيام الثورة ..

وكنت أستذكر للتوجيهى وكنت أوثر الاستذكار فى حديقة « أنطونيادس » بالنزهة بالإسكندرية حيث الهدوء والهواء ..

وأقبلت سيدة فجلست على نفس المقعد الذى أجلس عليه وأخذ طفلها فى اللعب بلعبه التى أحضرتها معها ، وعلمت من حديثها أنها من أصل إيطالى فهنأتها بما نشرته الجرائد فى ذلك الحين من انتهاء الملكية فى إيطاليا ، وتمنيت حدوث مثله عندنا . فقالت السيدة : « ليس المهم أن يكون الحكم ملكياً أو جمهورياً ، وإنما المهم وعى الشعب واستعداده للدفاع عن الديمقراطية » وضربت لى المثل بالحكم فى بريطانيا فهناك حكم ملكى يسود فى ظله العدل والديمقراطية . وقبل أن تقوم السيدة سألتنى عن الساعة ولم يكن معى ساعة فأمرت طفلها يسأل

البستانى وعاد ليخبرها بأن الساعة بلغت الحادية عشرة فقالت له :

ــ هل قلت له متشكر ؟ ؟

ــ قال لا ..

ــ قالت : إرجع إليه وقل له « متشكر » .

ورجع الطفل ليشكر البستانى وليتعلم درساً لا أظنه ينساه وليكون لبنة من الشعب الذى يعرف حقه كما يعرف واجبه ، أما الشعب الذى لا يعرف حقه ، ولا يعرف واجبه ، فيستوى فى حقه الحكم الملكى أو الحكم الجمهورى .. « كما تكونوا يول عليكم » .

كان فى الشعب قلة تتمسك بالديمقراقية ولا تنخدع بالشعارات ، وأقول للتاريخ كان على رأس هؤلاء كاتب ضليع هو الأستاذ أحمد أبو الفتح ، كتب الأستاذ أحمد أبو الفتح ثلاث مقالات يرد بها على الشعارات والاتهامات والادعاءات :

ــ المقالة الأولى : (صيحة لص) يرد بها على اللصوص الجدد .

ــ المقالة الثانية : « بلبلة » رد بها على وقف صحيفة لأنها نشرت خبراً زعم صلاح سالم أنه يبلبل الأفكار .

ــ المقالة الثالثة والأخيرة : « لك الله يا مصر » وانتهى به عهد جريدة المصرى الغراء وليحل محلها جريدة « الجمهورية » ويهيم الرجل على وجهه فى بلاد الله إلا مصر . .

ألغى جمال الأحزاب ، وأنشأ محكمة الثورة ليهين بها رجالات مصر ، ويتلذذ بمنظرهم وهم يقفون أمام الناس خائفين مستضعفين لايستطيعون الدفاع عن أنفسهم أمام سيل الاتهامات ، وضباط الثورة يشيرون إليهم « هؤلاء هم الذين كانوا يحكمونكم » .

وجاءت حركة التطهير لينتقم بها من كل من قال : لا ، . أو لديه

استعداد لأن يقول : لا ، وكم من رجال فضلاء عصف بهم وأهانهم رؤساء لجان كانوا موضع ريبة ومحط جزاءات . .

أرادت الأحقاد الناصرية ألا يكون لأى كبير فى البلد سلطة غير سلطتها . .

انتهت الأحزاب ، وسكت كبار الموظفين ، وخضع الجهاز الإدارى لعبد الناصر . . فماذا بقى ؟ !

لقد بقى الإخوان المسلمون . .

يقول كمال الدين حسين :

– توطدت علاقتى بعبد المنعم عبد الرؤوف .. وقد اصطحبنى فى أحد الأيام إلى منزل جمال عبد الناصر ، كانت أول مرة ألتقى فيها بجمال وكانت أول مرة التقى فيها بالصاغ محمود لبيب الذى كان موجوداً وكان وكيلا للإخوان المسلمين . .

وأقسمنا على المصحف والمسدس فى منزل عبد الرحمن السندى أن نعمل على إقامة شرع الله فى البلاد .

واقترح جمال بعد ذلك أن تبقى الحركة داخل الجيش غير مرتبطة بالإخوان المسلمين . . وإن كانت استمرت صلاتنا بهم حتى قيام الثورة . . وإلى ما بعدها . . وفوجئنا بعد قيام الثورة أن عبد الناصر ضم إلى الخلايا عدداً من الضباط المعروفين بسوء الخلق والانتهازية ، ويقول لكمال وهو يحاوره :

– أنا كنت مضطر أجمع أى عدد من المندفعين والمغامرين . . ودول أنا جبتهم من غرز الحشيش والبارات . .

– جمال اختار أنصاره من خريجى البارات وغرز الحشيش والمتتبع لمسار الثورة يجد أن جمال قد بطش بكثير من ذوى الخلق والكفاءة

والمشهود لهم بالإيمان واستبدل بهم خريجي غرز الحشيش والبارات ، وكان منهم بعد ذلك الوزراء والمستشارون والمحققون والسجانون والجلادون . وهم بذلك لم يأتوا عفواً وإنما كان اختيارهم مقصوداً ، لنعلم علم اليقين أن المبادىء التي اختارها جمال ليست أحكام الشرع التي أقسم على المصحف والسيف أن يناصرها ويتخلق بها . .

– ويقول اللواء صلاح شادى مؤكداً ما ذكره كمال الدين حسين : أبدى الصاغ صلاح سالم رغبة فى اللقاء معى فرحبت ، وحدثنى صلاح سالم عن رغبة تشكيل الضباط الذى كان منضما للإخوان المسلمين قبل حلها ، وبإعادة العلاقات مع الجماعة وذلك بعد إلغاء قرار الحل سنة ١٩٤٩ .. ووعدنى أن يقابلنى فى موعد آخر بالمسئول عن التنظيم والتقينا فى مكتب المرحوم محمد العشماوى – باشا – وحضر فى هذا اللقاء عبد الناصر بصفته المسئول عن تنظيم ضباط الجيش .

وكنت سمعت باسمه من المرحوم محمود لبيب على أنه أحد تشكيلات الإخوان فى الجيش هو « والبكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف » وهو التشكيل الذى عرف بعد ذلك باسم تشكيل الضباط الأحرار . .

وكان محمود لبيب هو الذى اختار لهم هذا الاسم حتى يبتعد تنظيمهم عن أعين الحكومة إذا عرف تشكيل مرتبط بجماعة الإخوان . .

وتحدثت مع عبدالناصر على أن أهدافنا جعل الإسلام هو النظام الحاكم ..

وتكررت لقاءاتنا وبدأ التعاون بيننا فى كل شيء ، حتى كان صلاح سالم يشترى لنا أسلحة من العريش للكفاح المسلح فى حرب القنال .

واختار جمال عبد الناصر الصاغ مجدى حسنين لتدريب شباب الإخوان ، ويوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ .. يوم حريق القاهرة . . جاءنا جمال عبد الناصر مذعوراً وطلب منا البحث عن مكان لإخفاء أسلحة فيه . وقام الأخوان المغفور لهما منير الدلة وحسن العشماوى ، ثم

عبد القادر حلمى وصالح أبو رقيق بالتوجه بسياراتهم إلى بوابة ٦ حيث كان ينتظرهم مجدى حسنين وقاموا بنقل الأسلحة داخل سياراتهم إلى عزبة حسن العشماوى ، فى الشرقية ورسم جمال عبد الناصر بنفسه كيفية تشييد مخزن السلاح . .

وحين رفض الإخوان الدخول فى هيئة التحرير اعتقل جمال بدون سابق إنذار حسن العشماوى ، ونشرت الصحف صورته وسط أكوام من الأسلحة التى أرشد عنها جمال بطبيعة الحال ، وحين سأله وكيل النيابة عن سر احتفاظه بهذه الأسلحة أجابه :

ــ بلغ عبد الناصر هل أجيب أم أصمت ؟ !

ولم يعد وكيل النيابة ثانية وأفرج عن حسن العشماوى ، ويقول حسن العشماوى رحمه الله :

ــ ومع ذلك حوكمت بعد سنة بتهمة إحراز هذه الأسلحة وصدر على حكم بالإدانة من أجلها . .

ويقول صلاح شادى :

ــ قبل قيام الثورة بليلتين . . حضر جمال ومعه كمال الدين حسين إلى شقة عبد القادر حلمى . . وأبلغنا اعتزامه القيام بالثورة خلال أيام ، فطلبنا منه الانتظار لحين استطلاع رأى المرشد ، فطلب استطلاع رأيه أيضاً فى أن يتولى الإخوان الحكم بعد نجاح الثورة . . وفعلا سافرت إلى الإسكندرية مع فريد عبد الخالق وعبد القادر حلمى وحسن العشماوى ، وقابلنا المرشد ، فطلب منا إبلاغ جمال موافقته وتأييده وحمايته للثورة ، كما طلب إبلاغه أنه ليس من المصلحة أن تظهر للثورة علاقة بالإخوان حتى لايتدخل الإنجليز لمقاومتها .

وجاء عبد الناصر إلى شقة عبد القادر حلمى فى يوم ٢٢ يوليو وأبلغناه الرسالة . . وطلبت أن يقرأ معى الفاتحة أن تكون الحركة لله ولإقامة شرع الله فقرأها معى وتعانقنا وانصرف . .

وقامت الثورة . . وفى الساعة الثالثة من صباح يوم ٢٣ يوليو جاءنى حسن العشماوى وأبلغنى أن جمال اتصل به تليفونياً لعدم وجود تليفون بمنزلى ، وطلب منه أن يحضر لى ليكلفنى بالذهاب إلى منزله لإبلاغ أسرته أن كل شىء تم بنجاح .

وتم أول لقاء بين عبد الناصر والمرشد حسن الهضيبى يوم ٢٨ يوليو ، ذهب عبد الناصر لمقابلته فى منزل صالح أبو رقيق فصافح عبد الناصر الهضيبى ثم قال :

ـ قد يقال لك : إن إحنا اتفقنا على شىء .. إحنا لم نتفق على شىء ..

وكان هذا الكلام مفاجأة للجميع ، فقد كان الاتفاق أن تكون الحركة إسلامية ولإقامة شرع الله ، بعد مناقشات أنهاها المرشد بقوله لجمال :

ـ إسمع يا جمال . . ماحصلش اتفاق . . وسنعتبركم حركة إصلاحية إن أحسنتم فأنتم تحسنون للبلد ، وإن أخطأتم فسنوجه لكم النصيحة بما يرضى الله . .

وانصرف جمال وقال المرشد :

ـ الرجل ده مفهش خير ، ويجب الاحتراس منه . .

وقبل أن أقف مع مسرحية المنشية ، أعرض قليلا مما نضح بعد موت جمال ، ولكى نعرف اتجاه الحاكم نتدبر اتجاه أقلام المرتزقة وصعاليك الصحافة . . فهؤلاء يكتبون ما يطرى الحاكم ويزين له سوء عمله ، ويغريه بمن لا يرى رأيه ، ولا يصفق لفساده . . عقب مسرحية المنشية كتب أحدهم ولعله محمد التابعى فقال :

ـ عندما قام كمال أتاتورك بثورته أعدم ٤٠ عالماً ، وسئل لماذا تعدمهم بغير تحقيق . فقال :

« إننى أشنق عهداً بأكمله » .

وخرج علينا أحد الناصريين إنه د . رفعت السعيد . . بكتيب

أطلق عليه : « أوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية » ولا أجد ما أعلق به على مافى هذا الكتيب إلا قول الله تعالى : « قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر » .

يقول د . رفعت الشيوعى الناصرى :

– هناك أشياء كثيرة لم تنشر بعد . . ويبدو أنها لن تنشر أبداً . .

– إن أهم أفكاره لم يطلع عليها أو يسمع عنها إلا عدد محدود للغاية لايزيد عن بضع عشرات ، لسبب بسيط وهو أن هذه الأفكار يضمها ملف محدود النسخ ، وكل نسخة صفحاتها مرقمة « بالتخريم » « سرى للغاية » « للأعضاء فقط » .

إنها محاضر اجتماعات « الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى » (فى ٦٤ – ١٩٦٥) .

تبدأ بالجلسة الأولى ٢٤-١١-١٩٦٤ وتنتهى بالجلسة الثانية عشرة المنعقدة يوم الثلاثاء ١١-٥-١٩٦٥ .

والدكتور رفعت يكتب عن إصرار عبد الناصر على أن تظل المحاضر سرية ، وإذاعتها معناه الفشل ، ويذكرنى ذلك بما كتبه الأستاذ صالح أبو رقيق عن حديثه لعبد الناصر وهو يناشده إيقاف المظاهرات المأجورة الداعية للفرقة ، فقال له عبد الناصر :

– أنتم يهمكم إيه . . . مادمتم أنتم أحرار . . مالكم ومال الباقى؟ !

فقال له : هل تستطيع أن تعلن ذلك فى مؤتمر صحفى ؟ !

فضحك وقال : طبعاً لا .

والمعنى واضح وهو أن عبد الناصر يفكر بوجه ، ويحدث الناس بوجه آخر . . !

فى كتيب « أوراق ناصرية » يقول عبد الناصر لأعضاء الأمانة العامة : مع الاعتذار للغة العربية :

— إن الذين يعتبرون مع الثورة غير منظمين ، والذين ليسوا مع الثورة منظمين .

— إننا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين . . علمـاً بأن الرجعية موجودة فى بلدنا . كما أنه يوجد أناس طيبون ، والطيبون اتجاهاتهم رجعية . ثم إن الرجعية منظمة .. والرجعيون يعرفون بعضهم ويتناولون العشاء معاً ، ويتناقشون ويتباحثون أما الاشتراكيون فأين هم؟ .

وأكد عبـد الناصر أن ثمة أخطاء قد أعطت الرجعية الفرصة لتنشط وتتحرك ، وقال عبد الناصر « وأنا أعتبر أن الرجعية حتى الآن أنشط منا ، ومما ساعدها على النجاح التطبيقات الخاطئة ، وتوجد أخطاء أعطت الرجعية الحجج . . ونتيجة هذا فإنهم لن يأخذوا الطبقات المتوسطة فقط ، بل سيأخذون أيضاً الركائز التى تعتمد عليها ، وهم العمال والفلاحين » .

وفى صفحة ٣١ :

ويصـل به الأمر إلى حد التساؤل عن مدى إمكانية إتاحة الفرصة لإقامة حزبين اشتراكيين فى المستقبل ، بشرط إتمام القضاء على الرجعية أولا ، إنها عملية مستحيلة الآن ، لكنها قد تكون ممكنة وضرورية فى المستقبل ضماناً لالتحام الديمقراطية بالاشتراكية .

وفى صفحتى ٣٢ ، ٣٣ :

وقد وصلنا الآن إلى مرحلة التحول بين الاشتراكية والقوى المضادة للاشتراكية . وسوف توجد فى هذه المرحلة معركة ، والقوى المضادة للاشتراكية تريد أن توقفنا عند الحد الذى وصلنا إليه وهى تعمل باستمرار ، وتستطيع أن تتسرب إلى تنظيمات الفلاحين وقوى الشعب العاملة . . فأين هى القوى الاشتراكية التى نعتمد عليها ؟ من هذا

يحصل التوتر ولن ينته هذا التوتر إلا إذا قمنا بحركة اعتقالات ، ولن نقوم بهذه الحركة إلا إذا كانت هناك ضرورة قصوى لها . .

وفى صفحة ٣٦ :

— لقد جاء فى بعض الكتب أن الشيوعية والاشتراكية ضد الدين ولو أن الاتحاد الاشتراكى قام بالعمل واتصل بالناس فسوف تحل هذه المشاكل .

وفى صفحة ٣٧ :

وحث عبد الناصر على ضرورة الاهتمام بالحوار مع الأحزاب الشيوعية والاشتراكية فى مختلف أنحاء العالم ، وقال : « بالنسبة للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية مثل حزب جى موليه بفرنسا أعتقد أنه انحرف وسار فى طريق اليمين ونحن نعتبر أفضل منهم . . »

وفى صفحة ٣٩ :

« بعد أن نقضى على كل الرواسب الرجعية والاستغلالية يمكن أن نوجد حزبين اشتراكيين » .

وفى صفحة ٤٣ :

عبد الناصر : « أخشى أن نجد أننا كتلنا الرأسمالية الوطنية فقط لأنها متكتلة وجاهزة فعلا ، ومن السهل تجميعها ، أما بقية القطاعات أو قوى الشعب فسنجد أننا لانستطيع تجميعها ، إن عملية الأخ أمين الرأسمالية الوطنية سهلة جداً . .

— عبد الحكيم عامر : أى أن الرجعية جاهزة . « ضحك »

وفى صفحة ٤٦ :

وحتى أصحاب المصلحة فى الاشتراكية تستطيع الرجعية التى تكونت مدى آلاف السنين أن تؤثر فيهم . .

« في العالم كله نجد دائماً في كل دعوة من الدعوات أن القلة هي التي استطاعت أن تكافح وتقود » .

وفي صفحة ٤٨ :

« هدفنا أن تكون الرأسمالية الوطنية إلى جانبنا وألا تكون في جانب الرجعية ، لأنه سيكون بيننا وبين الرجعية صراع حول أخذ هذه الطبقة » . .

« يجب ألا يصل الرجعيون إلى مجالس إدارة النقابات » .

وعن مجلس الأمة يقول عبد الناصر في صفحة ٥٠ :

– إنني لا أمانع أن يقف عضو في مجلس الأمة ويطالب بتحديد الحيازة الزراعية بخمسة وعشرون فداناً ، بل أكثر من ذلك لا مانع في أن يطالب بتأميم الأراضي الزراعية .

« ثم تحصل مناقشة في هذا الموضوع ثم لا يوافق المجلس على هذا الكلام . . » اهـ

هذا هو جمال عبـــد الناصر الذي أقسم على المصحف وأعطى العهود والمواثيق أن يحكم بالشرع ، وصدره ينطوي على ذلك البركان الحاقد على الإسلام ، والمتربص بقادته وجنده الحاملين للوائه . .

لم يكن بمستغرب أن يكون مصدر فتنة تركت الحليم في حيرة وجرت كثيرين من رجال الدين إلى وضع لا يحسدون عليه . . ألهاهم بمعسول القول ، وأعماهم عن رؤية الواقع المر . .

في نفس الوقت الذي أبدى فيه حقده على الرجعيين كما لذ له أن يسميهم ، لم يطق صدره صبراً على الإبقاء عليهم بعد أن فشلت أساليبه ، وما كان للأساليب الفاشلة أن تهدم الصروح الراسخة . .

جمال يقول للأمانة العامة :

– قيام حزبين اشتراكيين في المستقبل بشرط القضاء على الرجعية أولا . . ! !

— توجد أخطاء أعطت الرجعيين الحجج ، ونتيجة هذا أنهم لن يأخذوا الطبقات المتوسطة ، فحسب بل سيأخذون أيضاً الركائز التي تعتمد عليها وهم العمال والفلاحين ... من هذا يحصل التوتر ولن ينته هذا التوتر إلا إذا قمنا بحركة اعتقالات ولن نقوم بهذه الحركة إلا إذا كانت هناك ضرورة قصوى لها . . أنا لو سألت عن الرجعيين أعرفهم فرداً فرداً . .

— في جميع الثورات حصلت مشاكل بينها وبين المثقفين ، « وأتذكر أن ماوتسي تونج يرى أن حل مشكلة المثقفين في الصين ، هو أن يتخلص منهم ويعطيهم لشانغ كاى شك لكي يسببوا له مشاكل ويخلصوا عليه » « ضحك »

في صفحة ٦٠ :

— الاهتمام بالحوار مع الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في مختلف أنحاء العالم ، وبالنسبة للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية مثل حزب جي موليه بفرنسا ، أعتقد أنه انحرف وسار في طريق اليمين ونحن نعتبر أفضل منهم . .

ولم يتردد عبد الناصر ، فقد سافر إلى روسيا ، ومن المسرح الشيوعي بموسكو ، أعلن جمال عبد الناصر أن هناك مؤامرة إخوانية لعمل انقلاب ضده ، وكان عبد الحكيم جاهزاً في مصر . .

لم يكن هناك محمود عبد اللطيف ولا هنداوي دوير ولا المسدس المفقود ، ولكن هناك قرار جمهوري من موسكو « إعتقـــال من سبق اعتقاله » .

الأسماء جاهزة . .

والصحافة مستعدة . .

والإذاعة مشمرة عن ساعديها . .

والتليفزيون متوثب بخناجر المرتزقة ، وأكوام الأسلحة ، وأطنان

المتفجرات ، وصور الراضين بالقضاء ، والصابرين على البلاء ، والواثقين من نصر رب السماء . . وأشد ما يؤلمني منظر علماء لم يحترموا علمهم . .

والله تعالى يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون».

يكتبون ويخطبون ويسألون ويجيبون . .

وكأن جمال يحكم بالشريعة وينصر دين الله . .

والإخوان اعتدوا عليه فاعتقلوه وسجنوه وقتلوه ، ياحمرة الخجل أين واديك ؟

ياصرح الحياء . . كيف انهرت ولم يبق من ساكنيك من له رأى يسمع . . ! !

ــ وبعد خروجى من المعتقل ببضعة شهور قدم لى أخ كريم بضعة أوراق فى جنح الليل ، وقال اقرأها سراً وجلست على المكتب أقرؤها سطراً سطراً .

* * *

الوثيقة الصارخة

تقرير اللجنة المؤلفة برئاسة السيد / زكريا محيى الدين
رئيس الوزراء بشأن القضاء على الإخوان المسلمين

بناء على أمر السيد - الرئيس جمال عبد الناصر بتشكيل لجنة عليا : لدراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم الوصول إليها بخصوص مكافحة الإخوان المسلمين المنحلة ولوضع برنامج لأفضل الطرق التى يجب استعمالها لمكافحة الإخوان المسلمين بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين :

١ ـ غسل مخ الإخوان المسلمين من أفكارهم .
٢ ـ منع عدوى أفكارهم من الانتقال إلى غيرهم .

اجتمعت اللجنة المشكلة من :

١ ـ سيادة رئيس مجلس الوزراء .
٢ ـ السيد - قائد المخابرات العامة .
٣ ـ السيد - قائد المباحث الجنائية العسكرية .
٤ ـ السيد - مدير المباحث العامة .
٥ ـ السيد - مدير مكتب السيد - المشير عبد الحكيم عامر .

وذلك فى مبنى المخابرات العامة بكوبرى القبة . .
عقدت عشرة اجتماعات متتالية . .

وبعد بضع سنين نشر نصها المستشار الدكتور على جريشة فى كتابه « فى الزنزانة » .

وأركز على النقاط الآتية :

رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد فى المكافحة يجب أن يشمل أساساً بندين متداخلين هما :

١ ــ محو فكرة ارتباط السياسة بالدين .

٢ ــ إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل من معتنقى الفكرة . .

ويمكن تلخيص الأسلوب الذى يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين فى الآتى :

أولا ــ سياسة وقائية عامة :

١ ــ تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامى . .

٢ ــ إعدام كتب ومقالات الإخوان المسلمين فى كل مكان . .

٣ ــ تحريم قبول الإخوان وأقاربهم فى السلك العسكرى . . أو البوليس أو المراكز السياسية مع عزل الموجودين من هؤلاء . .

٤ ــ مضاعفة العمل الدائم على فقدان الثقة بين المتدينين وتحطيم وحدتهم بشتى السبل وبخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير بخطهم ضد زملائهم ، ثم مواجهة هؤلاء الزملاء بهذه التقارير . .

وتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا ، ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة . . فلابد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلى معهم :

ــ تغليق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عموماً فى المجالات العلمية والعملية . .

ــ عزل المتدينين عموماً من أى تنظيم . .

ـ استعمال الشيوعيين فى محاربة المتدينين لغرض القضاء على الفتنين حيث ثبت تفوق المتدينين فى هذا المجال . .

ولذلك يجب أن تعطى الفرصة للشيوعيين لمحاربة المتدينين فى أفكارهم ومعتقداتهم مع حرمان المتدينين من المراكز الإعلامية . .

ـ تشويش الفكرة الرائجة عن نشاط الإخوان فى حروب فلسطين والقناة . .

ـ تكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الإنجليز بالهضيبي وقياة الإخوان حتى يمكن غرس فكرة عن الجميع أنهم عملاء . .

ثانياً ـ سياسة استئصال السرطان الموجود الآن . . .

المرحلة الأولى :

إدخالهم فى سلسلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ، ويتبع ذلك اعتقالهم ويستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردى ودورى حتى يصيب الدور الجميع . . ولا يتوقف التكدير على المستوى الجماعى . .

المرحلة الثانية :

إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجون أو المعتقلات أو بالمحاكمات . . ثم الإفراج عنهم على دفعات ، مع عمل الدعاية اللازمة لانتشار أنباء العفو عنهم ليكون ذلك سلاحاً يمكن استعماله ضدهم من جديد فى حالة العودة إلى اعتقالهم حيث يتهمون بأى تدبير ويوصفون حينذاك بالجحود المنكر لفضل العفو عنهم .

. . . .

وعرضت الخطة الشيطانية على جمال قبل سفره لموسكو وأثبت موافقته على اقتراحات المحنة . .

• • •

شخصـــية فـــذة

الأستاذ المرشد حسن الهضيبي

ولابد من كلمة سريعة عن شخصية فذة ، لا أستطيع توفيتها حقها من التوضيح والتبين فى عجلة يضطرنى إليها الغرض من هذا الكتاب ، وأحاول جاهداً ألا أبتعد عن الهدف من إصدار هذا الكتاب ، ليكون شهادتى للتاريخ . .

جاء المستشار الهضيبي رحمه الله لقيادة جماعة الإخوان المسلمين فى ظروف صعبة للغاية . .

١ ـ تفتحت أعين الإنجليز والغرب على خطورة دعوة الإخوان وبأنها الدعوة البناءة ، دعوة الإسلام كما فهمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحطموا أكبر قوتين ـ قوتى الفرس والروم . .

٢ ـ تهافت الأحزاب على حرب جماعة الإخوان ، ولم تجمع كلمة الأحزاب على شيء كإجماعها على حرب الإخوان فقد وجدوا فيها القوة الصاعدة ، احتوت الشباب المفكر ، والشيوخ المخلصين ، والمتحمسين لنصرة الحق والباذلين فى سبيل مبادئهم ما يملكون . .

٣ ـ جاء بعد استشهاد الإمام حسن البنا رحمه الله . . وكان حسن البنا فلتة لا تتكرر فى عصر واحد ، يصفه الأستاذ الهضيبي فيقول : « دعانى صديق لسماع محاضرة له ، وكنت أراه لأول مرة ، فرأيت خطيباً يجمع من الصفات ماشدنى إلى حديثه ولم أحس بالوقت ، مع حديثه واستشهاده بآيات القرآن وأحاديث الرسول فى سهولة ويسر لم أسمع بمثلها من غيره ، ونظرت إلى الساعة مرات أخشى سرعة مرور الوقت» .

ويصفه مراسل « النيويورك بوست » فى ١٣ فبراير سنة ١٩٤٦ بقوله « زرت هذا الأسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال فى التاريخ ، الحاضر ، أو قد يختفى اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه . هذا هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين ، وقد صار الإخوان عاملا مهماً فى السياسة المصرية . ويقول الأستاذ البنا أن حركة الإخوان فوق الأحزاب ، وسبيلها هو العودة إلى القرآن ، وغايتها جمع كلمة المسلمين فى كل أرجاء العالم . . »

وقتل الإمام حسن البنا رحمه الله فكتب روبير جاكسون « نفس الصحفى » يقول : قد صدقتنى الأحداث فيما ذهبت إليه فقد ذهب الرجل مبكراً . . وكان أمل الشرق فى صراعه مع المستعمر ، وانتهت حياة الرجل بطريقة شاذة وعلى وضع غير مألوف . .

خلاب المظهر ، دقيق العبارة ، بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية ، لقد حاول أتباعه الذين يترجمون بينى وبينه أن يصوروا لى أهداف الدعوة على صورة لم تقنعنى . وظل الرجل صامتاً حتى إذا بدت له الحيرة فى وجهى ، قال لهم : قولوا له : هل قرأت عن محمد ؟ قلت : نعم قال : هل عرفت ما دعا إليه وصنعه ؟ قلت : نعم قال : هذا هو ما نريده . وكان فى هذه الكلمات القليلة ما أغنانى عن الكثير » .

كان البنا رحمه الله شخصية فريدة لمن أراد المعرفة وتخلص من الهوى . .

وكان مؤمناً بالإسلام إيماناً بدا فيه عملاقاً لا يدانيه أى زعيم آخر ، مصطفى النحاس الزعيم الوفدى وصاحب الأغلبية الشعبية . . يسأله مراسل صحيفة تركية عن رأيه فى مصطفى كمال فيقول النحاس : « إننى معجب بمصطفى كمال أتاتورك بدون تحفظ » فيكتب له البنا خطاباً ينبه

فيه النحاس إلى أن إعجابه بكمال أتاتورك بغير تحفظ يضعه فى موقف معاد للإسلام ، ويغضب النحاس ويستبد به الغضب وتأخذ صحافته فى كيل الذم والأكاذيب . . ونشر الأستاذ البنا رحمه الله نص الخطاب فى جريدة الإخوان المسلمين . . وبدا البنا عملاقاً بحق يتضاءل بجانبه زعامات الأحزاب . .

وبعد استشهاد البنا رحمه الله حل بالإخوان ما حل من بلاء . لم يكن قتل البنا إلا بدايته . .

والفرق بين إبراهيم عبد الهادى وبين جمال هو أن إبراهيم عبد الهادى قتل البنا واعتقل الإخوان ، فسقط إبراهيم عبد الهادى من أعين الشعب ومقته الجميع . .

أما جمال فلم يسلك نفس الطريق ، وإنما سلك طريقاً آخر واتبع أسلوباً فيه المكر واصطناع البطولة والثبات . .

جاء الأستاذ الهضيبى فى ظروف ماذكرته عنها هو القليل من كثير ، ومنذ أن قبل رئاسة الإخوان اشترط أن يكون أسلوب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعمل على ذلك وأعلنه وصدق فيه ، لم يحدث حادث عنف واحد فى الداخل ، وبقى السلاح فى يد الإخوان يشتريه لهم جمال وصلاح سالم بمال الإخوان لهدف واحد هو ضرب الإنجليز وسفك دمائهم . . فى القنال . . وكان لجمال وصلاح عمولة فلم يكونا يعملان لله . .

اعترض بعض الإخــوان على رئاسة الهضيبى ، وبخاصة هؤلاء الذين يجهلونه ، والذين اعتادوا سماع الإمام الشهيد ساعات لا يكل ولا يمل ولا يشبع من حديثه أحد .

— وسمعت الهضيبى لأول مرة فى كلية الطب بالإسكندرية وكان المدرج مكتظا بالحاضرين ، وكنت أود أن أسمع من الهضيبى خطبة

معدة لهذا الغرض ولكنه رحمه الله ، لم يكن لديه استعداد للخطابة ، فقد جاءت كلمته قصيرة عقـد فيها مقارنه بين الشريعة الإسـلامية والقوانين الوضعية من واقع ممارسته للقضاء ، وأذكر أنه ذكر قصة رجل من كفر سبع ، حيث قتل رجلا آخر ولم يثبت فى القضية ترصد ولا سبق إصرار ، ومواد القانون لاتجيز عليه الحكم بأكثر من عشر سنين وكانت النتيجة أن قتل أربع رجال بعد ذلك بسبب الثأر . .

أما قوانين الإسلام فهى « النفس بالنفس » . .

كان مؤمناً بالإسلام عقيدة وشريعة لاينفصلان . .

وعرض عليه فاروق الحكم فى وزارة ائتلافية فرفض ، وسأله الأستاذ عبد العزيز عطيه رحمه الله : لماذا رفضت الحكم وفيه فرصة لنا لنتقوى؟ فقال رحمه الله : « لو ساهمنا بوزراء منا فسنتحمل أخطاء حكومة تحكم بغير ما أنزل الله ، فضلا عن قبولنا مبدأ الحكم بغير ما أنزل الله ، أما لو أن فاروق كلفنى بتشكيل الوزارة ماترددت إذا ترك الحكم لى بشريعة الله . . »

وكنا نحس من أعماقنا بوجود الضباط الأحرار ، وبأنهم على صلة وثيقة بالإسلام . وقامت الثورة فلم نشك فى أن لها اتجاهاً إسلامياً ، وفى الشهور الأولى من الثورة جاء حسين الشافعى إلى تجمع طلابى ضخم حضره كثير من الأساتذة وعمداء الكليات ونظمه ودعا إليه الإخوان المسلمون . . وقف الشافعى ليتكلم ، فوجدت كلمته مرتجلة لا ترابط فيها . . . كلمة أقل ما توصف به أنها غير مقنعة ولا تليق بالمقام . . وكان يتلعثم بالآيات القرآنية وينطق بها محرفة . . فأحزننى وبدأ الشك يساورنى هل هؤلاء فاهمون للإسلام دارسون له أم أنهم مجرد متمسحين بالإسلام ؟ وكم من زعماء تمسحوا بالإسلام وتذكر الصحف أنباءهم

وتنشر صورهم وهم يصلون أو يطوفون بالبيت الحرام ، وينطبق عليهم قول الله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » .

كان الأستاذ الهضيبي لا يتكلم كثيراً ، فإذا تكلم نطق بالحكمة وبالقول الفصل ، وكان يزن الأمور بميزان القاضى الذى يريد معرفة الصواب فيها ، لا يغلب العاطفة على العقل ، كل الإخوان جرفتهم العاطفة مع الثورة ومع مزاعم جمال ومعسول قوله ، وجاء جمال ليقابل الهضيبي بعد طرد الملك بيومين . . وسمع المرشد منه كلمات قليلة « إحنا لم نتفق على شىء » . .

— وبخبرة القاضى المؤمن وفراسته يأتى رده معبراً عن دقة فهمه ووزنه لما هو كائن وما ينبغى أن يكون . .

— اسمع يا جمال .. ما حصلش اتفاق .. وسنعتبركم حركة إصلاحية.. إن أحسنتم فأنتم تحسنون للبلد ، وإن أخطأتم فسنوجه لكم النصيحة بما يرضى الله .

وحين انصرف جمال قال :

— الراجل ده مفهش خير ويجب الاحتراس منه !

وخرج شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله — خرج بكلمة نشرتها جريدة المصرى يهاجم فيها الإخوان ، كيف لا يهبون يجرون فى ركاب الثورة ليصلحوا بالإسلام الذى اعتنقه الإخوان عقيدة وشريعة ، وأذكر من تعبيره رحمه الله : « وبدلا من أن ينتشر الإخوان المسلمون وينشطوا ويغيروا ويبدلوا — جروا على أنفسهم اللحاف وغطوا فى سبات عميق ..» رحم الله سيد قطب قرأت كلمته بإعجاب إلى أن قرأت رد المرشد

رحمه الله ، وهو يعتب على الشهيد سيد قطب ، يعتب عليه فيقول فى كلمة موجزة : إن للإخوان مبدأ لا يزايدون عليه ، وماذا قامت به الثورة يستحق من الإخوان أن يتحمسوا له ، ثم قصر الإخوان فيه ؟ كأن الثورة قد ألغت التعامل بالربا ، وحرمت شرب الخمور ، وحكمت بكتاب الله ، ولم يبق إلا الإخوان المسلمون يوجه إليهم اللوم..

وختم كلمته القصيرة المعبرة بقول الله تعالى :

« فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

وبذل عبد الناصر من الحيل ومن الكيد ومن الأساليب ما يستخف به الإخوان . . فظل الهضيبي راسخاً كالطود ، ثابتاً ثبات المؤمن المرتبط بإيمانه لا يصرفه عن ثباته قول معسول أو عمل مرذول . .

وعرض جمال على الإخوان الاشتراك فى الوزارة ، وهنا نجد الهضيبي الذى رفض من قبل الاشتراك فى وزارة ائتلافية أيام فاروق ، نجده مع الثورة متردداً فبعد أن أبدى قبولا رأى بفراسته أن جمال يهدف لإذابة الإخوان فى الثورة ، فناقش مكتب الإرشاد وتقرر عدم اشتراك الإخوان فى الوزارة .

وشذ الباقورى ودخل الوزارة . وحزن المرشد لشذوذ عضو بارز فى الإخوان ، وجاء الباقورى إلى منزل المرشد ليقدم استقالته من مكتب الإرشاد ومن الهيئة التأسيسية ومن جماعة الإخوان المسلمين . .

وفى صباح اليوم التالى توجه المرشد إليه فى مكتبه مهنئاً ، فقال الباقورى :

- اعذرنى يا مولاى إنها شهوة نفس .

ويكون رد المرشد رحمه الله :

- تمتع واشبع بها .

وحاول جمال ثانية ضم جماعة الإخوان المسلمين إلى هيئة التحرير

ليصبحا تنظيماً واحداً ، ورفض الإخوان بطبيعة الحال ، وقال الأستاذ فريد عبد الخالق :

– يا جمال إنني أرى الجو ينذر بصدام ليس من مصلحة البلد أن يقع ..

وتكون إجابة جمال :

– أعمل لكم إيه . . ما انتم عصاة . . !

وكان من رد الأستاذ فريد على تهديد جمال :

– ليس من هدفنا نهائياً أن ننافسك فى الحكم فنحن لا نريد الحكم .. ولذلك لا أرى أى سبب للتصادم وعدم تقبل النصيحة ، وبخاصة أن المرشد قال لك عند بدء الخلاف بالحرف الواحد : يا جمال عندما تشعر بضيق من الإخوان أبلغنى وأنا أسلم لك مفتاح المركز العام ونقفلها حتى لا تقع فتنة . .

وفى فبراير سنة ١٩٥٣ طلبت السفارة البريطانية أن يلتقى بعض المسئولين من جماعة الإخوان المسلمين بمستر « إيفانز » المستشار الشرقى بالسفارة البريطانية لاستطلاع رأى الإخوان المسلمين فيما يرونه لنجاح المفاوضات . .

ولحرص الهضيبى يمسك بسماعة التليفون قبل أى شيء ويتصل بجمال . . ورحب جمال . . فكلف المرشد الأستاذين صالح أبو رقيق ومنير دلة رحمه الله بالاتصال بإيفانز وكتبا تقريراً عما دار من حوار واتصل الهضيبى بجمال فحضر فى الحال لبيت المرشد ، وبعد أن قرأ التقرير قال :

– كويس . . انتم توصلتم إلى حاجات لم يكن من الممكن أن نتوصل لها . .

وبناء على رغبة جمال تمت مقابلة إيفانز بالمرشد يوم ٩ فبراير فى منزل المرشد واتصل المرشد بعبد الناصر فى الحال وأبلغه . .

وكان مصير هذه المقابلة كمصير الأسلحة حيث لجأ عبد الناصر إلى حسن العشماوى ليخبئها له . . فكانت الأسلحة اتهاماً لحسن العشماوى . . واتصال إيفانز بالهضيبي اتهاماً للهضيبي وللإخوان . .

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٥٣ حضر المرشد رحمه الله إلى الإسكندرية ومعه شهيد الإسلام سيد قطب وكنت طالباً فى السنة الإعدادية بكلية الطب والتقينا مع جمع كبير من طلاب الإخوان ورجالهم بالرأس السوداء وصلينا الجمعة فى الخلاء وخطب الجمعة الشهيد سيد قطب ، كانت خطبة عن الشباب الذى حمل رسالة الإسلام وسار بها شرقاً وغرباً ينشر فى الدنيا نور الإسلام وعظمة تعاليمه ، وعدالته الفريدة ، ودعا الشباب للتسلح بآداب الإسلام ليكونوا قدوة وليكونوا نماذج تتحرك بالإسلام . .

ولا أذكر أن المرشد تكلم فى ذلك اليوم وقد أخذت لنا صور تذكارية . .

لم يأت فى كلمة الشهيد سيد قطب ، ولا بدا فى صمت المرشد ، ما يوحى بعداء للثورة ، ولم يكن الجمع الذى حضر من الممكن أن يقوم بانقلاب أو فى إمكانه مواجهة القوات المسلحة بالحجارة والعصى .

واستمر عبد الناصر فى طريقه واشتد بأسه بعد أن خدع محمد نجيب وجرده من الجيش وألهاه برئاسة الجمهورية . .

وفشل فى احتواء الإخوان المسلمين وإذابتهم فى هيئة التحرير . . وكان المرشد قد نحى عبد الرحمن السندى وكلف يوسف طلعت بمهامه توطئة لتصفية الجهاز ، جهاز الجهاد ، وكم بذل من دماء فى فلسطين ، وفى القنال بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء . . وفجأة تحركت يد ولا يمكن لغيرها أن تتحرك لتقترف ذلك الإثم الشنيع . فقد أرسل طرد مع

مجهول سلم لشقيقة سيد فايز(١) ، وانفجر الطرد فى سيد فايز فقتله وقتل أخاه ، ونشرت جريدة المصرى أن أحد رجال المباحث اتصل بأخته وطلب إليها تغيير أقوالها الأولى . .

استقطب جمال رئيس الجهاز السابق عبد الرحمن السندى وكلفه باحتلال المركز العام للإخوان المسلمين ليجبر الهضيبى على الاستقالة ، وفشل جمال وحاول استقطاب الشهيد محمد فرغلى وفشل . .

وأصدر قراراً بحل الإخوان المسلمين فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٤ ، وزعم فى الأسباب أن الإخوان المسلمين حاولوا احتواء الثورة . . واعتقل ٤٥٠ عضواً من الإخوان . . وهكذا :

١ ـ الأسلحة التى أقبل بها عبد الناصر مذعوراً يستنجد بحسن عشماوى ليخبئها له ، يعلن عبد الناصر عن اكتشافها ويتهم الإخوان بها وقد وضعها بيده فى قرية يشيع فيها المثل « يخونك العيش والملح » وكان حسن العشماوى ابن باشا ، فلم يطعم جمالا عيشاً وملحاً وإنما أطعمه ما لذ وطاب . . قاتل الله الغدر . .

٢ ـ مستر إيفانز اتصل بالهضيبى بعلم عبد الناصر وبتوجيهه وأبدى استحسانه وسروره بالعرض الذى تقدم به إيفانز ، ثم يتهم الهضيبى بالعمالة والاتصال مع الإنجليز . .

٣ ـ حاول جاهداً احتواء الإخوان المسلمين وإذابتهم فى هيئة التحرير ليعبدهم له من دون الله . . ثم زعم بأن الإخوان المسلمين هم الذين أرادوا احتواء الثورة . .

٤ ـ قتل سيد فايز غدراً وغيلة ، وتسليط جهازه لإشاعة أن الإخوان المسلمين هم الذين قتلوه . .

٥ ـ وفى ٢ مارس سنة ١٩٥٤ اعتقل ١١٨ شخصاً من بينهم ٤٥

---

(١) كان سيد فايز هو المسئول عن تنظيم جهاز القاهرة الإخوانى .

من الإخوان المسلمين ، وادعى أنهم كانوا يدبرون لإحداث فتنة فى البلاد وكان فى مقدمة المقبوض عليهم المرشد وعبد القادر عودة . .

وتعرض الإخوان لأبشع عمليات حرب الأعصاب . . وفى هذه الظروف القاسية استطاع المرشد نشر رد على مفتريات أجهزة الناصرية هربه من سجنه ونشرته جريدة المصرى ، فى هذا الرد إيجاز ولكنه مفحم كما عودنا ومما قال فيه :

. . . فقد صدر بيان نسبت إلينا فيه أفحش الوقائع ، وأكثرها اجتراء على الحق ، واعتقلنا ولم نخبر بأمر الاعتقال ولا بأسبابه ، وقيل يومئذ بأن التحقيق فى الوقائع التى ذكرت به ستجرى علناً ، فاستبشرنا بهذا القول ، لأننا انتظرنا أن تتاح لنا فرصة الرد عليه لنبين أن ما اشتمل عليه وعلى الصورة التى جاءت به لا حقيقة له . فيعرف كل إنسان قدره ويقف عند حده ، ولكن ذلك لم يحصل . . وإلى أن تتاح لنا الفرصة فإننا ندعوكم وندعو كل من اتهمنا وندعو أنفسنا إلى ما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم حين قال : « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

كان فى هذا البيان من القوة والوضوح والشجاعة والثبات ما أيأس جمال وما أوقفه على عجزه على الوسائل التى اتخذها للقضاء على الإخوان وكان يعلم أن إنهاء الإخوان المسلمين لا يتأتى بمجرد إغلاق دورهم والبطش برؤسائهم ، ولم يجد أمامه قضية يحاكم الإخوان بها ، وتتيح له فى نظر الشعب البطش والاعتقال والسجن والقتل وما كشف عن وسائل انطوت عليها نفسه ، وما فكر فيها ولا كان لأحد أن يفكر فيها غيره . . وجاء آخر البيان هكذا . .

وإن ما دعوتم إليه من الاتحـــاد وجمع الصفوف لايتفق وهـذه

الأحوال ، فإن البلاد لا يمكن أن تتحد وتجمع صفوفها وهذه المظالم وأمثالها قائمة . .

نسأل الله تعالى أن يقى البلاد كل سوء وأن يسلك بنا سبيل الصدق فى القول والعمل ، وأن يهدينا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

حسن الهضيبى

المرشد العام للإخوان المسلمين

ماذا كان أمام عبد الناصر ليواجه به الإخوان وهو يريد أن يصبح ويمسى فيضغط على زر . . تضىء البلد وتتحرك . . ويضغط على آخر . فتظلم وتتوقف . . وقد حل الإخوان المسلمين واعتقل رؤساءهم وأنزل بهم كل شر . . ووجد كبرياءه تتقوض أمام بيان لمرشدهم يدعوه فيه إلى الصدق فى القول وفى العمل ويستمطر لعنة الله على الكاذبين . .

وفى نفس جريدة المصرى جاء خبر بأنه قد صدر قرار بالإفراج عن المعتقلين ، وأن مرشد الإخوان رفض الخروج من المعتقل حتى يعرف الأسباب التى اعتقل من أجلها . .

وخرج المرشد وزاره جمال وصلاح سالم فى منزله ليكون ذلك دليل اعتذار وأن أسباب اعتقال الإخوان أسباب مفتعلة وملفقة ، وعاود الإخوان نشاطهم واستمر جمال فى مؤامراته ودفع للصاوى رئيس اتحاد النقل أربعة آلاف جنيه ليضرب عمال النقل . . وهذا ثابت ومعروف للكثيرين ، وأما الذى ظل مستوراً فهو ما دفعه لباقى النقابات . . كانت مظاهرة الكناسين فى شوارع الإسكندرية تهتف بهتاف عجيب لا يمكن أن يكون من وحى فكرهم مهما حقم ، كان هتافهم الشائع (تسقط الحرية ويحيا رجال الثورة . .) كذلك كانت الهتافات العمالية فى القاهرة تهتف : (يسقط المحامين الجهلة . . ! !)

أليس عجيباً أن الذين جاءوا وهم يتشدقون بالحرية ويسخرون وسائل الإعلام للتغنى بها – يسقطها هتاف المرتزقة . ! وثبت فيما بعد أن كل الهتافات لم تكن تأتى عشوائية ، وإنما كانت تلقن للهاتفين .. فمن صاحب المصلحة فى سقوط الحرية ؟ !

هو الذى كان يريد أن يضغط على زر . . فتتحرك مصر .. ويضغط على آخر . . فتقف مصر . .

هو الذى حكم مصر بعد ذلك حكم الفرد ، وأزاح من طريقه ، كل عوائق تقف فى سبيل أهدافه . .

وهو الذى وجه إلى نجيب الرئيس الوديع الطيب المغلوب على أمره اتهامه بأنه يريد الحكم الفردى الاستبدادى الديكتاتورى . .

وهو الذى سيطر على الصحافة وأخضعها لمخططه ، فإن كانت شوارع الإسكندرية تسير بها مظاهرة الكناسين تهتف بسقوط الحرية ، فقد كان مدرج كلية طب الإسكندرية يغص بالطلبة والأساتذة الكبار ، يخطبون ضد الاستبداد وضد التيار الذى قاده جمال ويطالبون بعودة رجال الثورة إلى ثكناتهم .. ولكن الصحافة تنشر عكس ذلك تماماً .. فتنشر التأييد لرجال الثورة وعلى رأسهم جمال ، انعقد المؤتمر ليندد بالطغاة ونشرت الصحافة أنهم اجتمعوا لتأييدهم والترحيب بسفك دماء الحرية . .

خرج المرشد رحمه الله من سجنه وزاره جمال وصلاح سالم ، وأذاع المرشد بياناً . . وجاء فى بيان المرشد « التوجه إلى الله بالدعاء بأن يعين المسئولين على الحل الكامل السليم الذى يخرج بالبلاد من المأزق الحاضر ويحفظ وحدة الأمة ويصون حقوق الشعب وحرياته، ويحقق الاستقرار المنشود فى ظل حياة نيابية . . »

كان الهضيبى يمثل أخلاق الإسلام ، وحرص على ألا يفوته شىء

منها ، صلب حين يقتضى الأمر ذلك ، ومتسامح حين يرى خصمه جاءه ينشد التسامح ، وصادق فى وعوده ولا يقبل غير الصدق فهو يعلم من دينه أن الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وأن الكذاب يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً . .

هل فات المضيبي أن يتنبه للمصير الذى ينتظره وينتظر مصر معه ؟ !

من يقول ذلك أو يزعمه فهو مخطىء . .

كنا فى الإسكندرية نتوقع الغدر من جمال . فكيف يكون حال المرشد ، وقد اكتوى بنار جمال واتهمه بتهم عبر عنها المرشد فى خطابه « أفحش الوقائع وأكثرها اجتراء على الحق . . »

فهل نسى أن جمال يستطيع فعل أى شىء ، وقول أى كلام — ويستطيع تلفيق أى اتهام تطبل به وسائل إعلامه . .

لم يغفل المضيبي عن ذلك . .

ولكن ماذا كان فى استطاعته أن يفعله ؟

لم يحزنى كلام المرتزقة والسطحيين عن المضيبي أو الذين كالوا له الاتهام ، فهؤلاء أصحاب مصلحة فيما يقولون ويلفقون . .

أما الذى أحزنى بصدق فهو ما سمعته من مفكر كبير يقول : كان فى إمكان المضيبي أن يغتنم فرصة مظاهرات فبراير ، وكان فى إمكان الإخوان الإطاحة بكل طغيان ليجنبوا مصر ما حل بها من كوارث ومصائب على يد جمال . .

فهل صحيح أن الإخوان والمضيبي كان فى إمكانهم ذلك ؟

— قد يكون ذلك فى إمكان محمد نجيب وكانت له الشرعيةالدستورية التى تمكنه من ذلك دون مزيد من إراقة الدماء . .

أما الإخوان المسلمون ، فقد أعلنوا أنهم لا رغبة لهم فى الحكم وكانوا بقيادة الهضيبي صادقين . .

وقاموا بمظاهراتهم العتية الجبارة فى أنحاء الجمهورية ؟ فكانت وبالا عليهم فيما بعد . . فكيف تكون الحال لو أن الإخوان حاولوا انقلاباً لصالحهم لا يفلحون فيه ، ولم يكن لهم أن يفلحوا فيه ، لقد تمسكن جمال حتى تمكن . وحين تمكن تصرف بما لا يخفى على الهضيبي الذى يمثل الإسلام ولا يقبل لإسلامه أن يكون مجرد شعار يرفعه . .

هل كان الهضيبي يعلم أن الجهاز السرى الذى يعلم جمال عنه أكثر مما يعلم هو .. يستطيع مواجهة فرقة عسكرية مسلحة .. وإذا واجه جمال المظاهرات بجيشه وهو على استعداد لذلك فماذا تكون العاقبة . . ؟ ويكون الهضيبي بذلك قرب لجمال المشوار ووضع أعناق الإخوان المسلمين تحت مقصلة جمال ..

— وبدا واضحاً من مظاهرات فبراير أن جمال لن تأخذه شفقة ولا رحمة فى مواجهة المتظاهرين ..

وبدا بعدها أن محمد نجيب لم يعد له من الأمر شيء .. لهذا لم يكن أمام الهضيبي إلا أن يحفظ للبناء الإسلامى وجوده بعيداً عن تيار السياسة الظالم الجارف ، فأعلن تخليه عن بند السياسة وثار كثير من الإخوان ، فكان رده « ونشرته أيضاً جريدة المصرى » أن السياسة أشبه بترس فى ساعة ، فهل قام الإخوان المسلمون بكل واجباتهم ولم يبق إلا ذلك الترس ..

رحمه الله رحمة واسعة ..

وكان الهضيبي يعلم أكثر من غيره أن الإخوان المسلمين ليسوا جميعاً من الدرجة التى تطمئنه على الثقة المطلقة فيهم ، وضرب الباقورى

المثل لذلك ، فقد انخرط فى الحكم وشبع به وألهاه عن كلمة الحق .. وأصبح لجمال فيه أكثر مما للإسلام ..

وكان الهضيبى يعلم أكثر من غيره أن قتل جمال لا يجيزه الإسلام ولا يجيزه القانون ، ولا يتحقق منه أقل فائدة فضلا عن الكوارث المحتملة لو حدث .. ويكفى من الشر لو قتل جمال عبد الناصر وحكم جمال سالم ولكليهما رصيد من الطغيان سيشعله ويذكيه اعتداء الإخوان لو حدث ..

كان يغنى الهضيبى عن الذى أعده له جمال وأعوانه لو قبل اندماج الإخوان فى هيئة التحرير ، ولكن الهضيبى كان شجاعاً فى الحق ، صادقاً فى إيمانه ، مؤدياً لأمانته ، مؤمناً بالقرآن منهجاً ودستوراً ، وفى الوقت نفسه يتوقع الشر ممن حارب شرع الله وفضل عليه شرع الناس ، ولم يكن ليثق فيمن لفق له قبل غيره تهماً تنفطر منها النفوس ، وتتصدع لها الأفئدة وتخر أمامها الشجاعة .. ولكن الهضيبى كان شجاعاً ، ولم تهن أمام الأحداث شجاعته ، إنه من القلة التى يعنيها قول شوقى :

إن الشجاعة فى القلوب كثيرة ... ورأيت شجعان العقول قليلا

كان الهضيبى من القلة التى لا تكثر فى دنيا الناس ، من الذى يظن أن ذلك الرجل الطاعن فى السن يتحمل أضعاف ما يتحمله الشباب ، وتجرب معه وسائل المدرسة الناصرية ، من ضرب إلى سب ، إلى نوم مع الكلاب ، وتظل له قوته مؤمناً بالله ، متوكلا عليه ، واثقاً فيه ، حريصاً على الدعوة التى بويع عليها ، فلم يسلمها لجمال لينجو بنفسه .

فى الوقت الذى سلم فيه الدكتور عبد العزيز كامل الراية من أول طريق فى البلاء ليخرج على الناس وزيراً للأوقاف ، وتحمل الهزيمة المنكرة بجمال ، وما كان لمن أعلن الحرب على عباد الله أن ينتهى طريقه بغير

الهزيمة . ولكن عبد العزيز كامل يخرج على الناس بكتاب عن هزيمة المسلمين فى أحد ، ويعقد مقارنة بين الاثنتين ..

ـ فماذا فى جمال من صفات سيد المرسلين ؟

ـ وماذا فى عبد الحكيم عامر من صفات على أو أبى عبيدة ابن الجراح ؟

ـ وماذا فيه هو ، وفى بطانة جمال من صفات أبى بكر وعمر ؟

ـ وماذا فى صفات الجنود الذين تركوا أسلحتهم وفروا بأمر رؤسائهم ؟ ماذا فى هؤلاء من صفات قوم حفظوا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ؟

ماذا فى جمال وجنده من صفات من ناداهم ربهم :

« يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين .. »

ومات جمال وكان لابد له أن يموت . ونسمع صوتين لرجلين كانا من الإخوان المسلمين ..

نسمع عبد العزيز كامل يقول : « إن الله اختاره ليلة الإسراء ليكرمه » ونسمع الباقورى يقول « رجل انتظرناه طويلا .. »

ليست الشجاعة صياحاً وصراخاً وتشنجات وسبك عبارات وصياغة أقوال ..

إنما الشجاعة إيمان بالحق ووقوف معه ، وصبر عليه ، وذود عنه باليد ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان .. ولم يقبل الهضيبى لنفسه أضعف الإيمان ، وإن قبل الشباب الركون إلى الظلم والإشادة بالظالمين .. لا شك أن وقع بيان المرشد على عبد الناصر كان شديداً ، وكان للآية الكريمة التى استشهد بها

ودعا جمال إليها أشد الوقع على نفسه : « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

وفاجأه البيان بما فاته من قبل وهو التفكير في مدى انتشار الإخوان في كل مكان . . وإلا ما استطاع الهضيبي تهريب البيان إلى المصرى لتنشره . .

وكان هذا سبباً للإفراج عن الإخوان والمرشد ليدبر لهم من كيده ما يقرب إليه « الزر » الذى يضغط عليه فتتحرك مصر ، ثم يضغط عليه فتتوقف . .

وربما فكر وهو يفرج عن المرشد ويزوره في بيته — ربما فكر في أن المرشد قد يلين وقد علم عن اعتقاله والإفراج عنه ما أقنعه بأن السلطة بيد جمال . .

فهو الذى يعتقل وهو الذى يأمر بالتعذيب وهو الذى يفرج ، ولم يعد محمد نجيب إلا واجهة إلى حين . .

واتصل محمد نجيب بالمرشد ليهنئه بالإفراج عنه ، ولم يرد المرشد عليه . . وكان في عدم الرد عليه حكمة بالغة فاتت نجيب . .

كان نجيب كالمسدس الذى أهداه إليه دالاس ، لا فعالية له ، واتصاله به بالتليفون المراقب سيزيد من فرص يرتب لها جمال ، فلم تتغير نظرة الهضيبي إلى جمال قبل اعتقاله ولا بعد الإفراج عنه ، وقد أثبتت له الحوادث صدق فراسته يوم أن رآه لأول مرة في الأيام الأولى للثورة :

« الرجل ده مفهش خير ويجب الاحتراس منه » . .

ورأيت الهضيبي عملاقاً أمام محكمة جمال سالم ، فسأله جمال سالم عن أقوال نسبها إليه يوسف طلعت رحمه الله ، فيجيب في إيجاز :

— اكشفوا عليه .

وبعد أن قال الأستاذ سامى مازن دفاعه عنه عقب المضيبي :

« أنا والله لا أدافع عن قضية لأنى أعرف أن الأجل بيد الله ، ولا يمكن أن تزيدوا فى عمرى دقيقة أو تنقصوه أو تغيروا مجرى القدر ، والله يجعلنا أهل الرضا بقضائه وقدره ..

وأنا والله العظيم برىء من هذه التهمة ولم أعلم بهذه الجريمة ولم أرض بها ولم آمر بها ، ولم أعلم بها إلا من الجرائد والله على ما أقول شهيد .. »

متى قال المضيبي ذلك الكلام ، وأمام من ؟

قاله فى وقت تقول الناصريه فيه « ما علمت لكم من إله غيرى » ..

وقاله أمام جمال سالم الذى وصفه نجيب :

« تتدفق ألفاظه قبل أفكاره »

والذى لا تجوز شهادته فى أحد أقسام البوليس فضلا عن كرسى القضاء يجلس عليه ليحكم بالحق وما عرف الحق ، وليبحث عن الصدق وهو الذى أغلق كل النوافذ على كل كلمة صدق ..

ولكن المضيبي ينسى العذاب الذى لقيه ، ويتخطى الإيذاء الذى أصابه ، ولا يزال ينتظره فى الزنزانة مع كلاب السجن الحربى ، وفى المكاتب مع كلاب البشر . .

لا تخونه شجاعته فيقول فى ثقة المؤمن بالله .

« إن الأجل بيد الله ولا يمكن أن تزيدوا فى عمرى دقيقة أو تنقصوه أو تغيروا مجرى القـدر ، والله يجعلنا أهل الرضا بقضائه وقدره .. » .

* * *

وبعد هزيمة الناصرية وانكشافها فى ٥ يونيو ، وبعد أن أمضى حسن المضيبي مدة السجن الثانية والتى حكم عليه فيها الدجوى بثلاث سنين فى قضية الشهيد سيد قطب ..

أذاعت لندن : لقد نقل الزعيم المصرى الوحيد الذى لم يحن رأسه لجمال وأصر على قول : لا .

نقل مرشد الإخوان المسلمين من السجن إلى المعتقل ..

وحين انتقلت من القلعة إلى طره بعد ٨٠ يوماً كانت أولى أمنياتى أن أرى المرشد . وجلست أقرأ فى الخلاء ، ورفعت بصرى لأرى الهضيبى ، لم تنحن قامته ، ولم تختف ابتسامته ، وكان يسير بجواره ابنه المستشار مأمون ، ونهضت لأسلم عليه ، وقلت له ، إن العمل جرفنى وأنسانى القرآن الكريم ، ويبدو أن الله تعالى قدر اعتقالى لأعيد حفظ كتابه .. فيجيب فى إيجاز وقد بسط يده معبراً عن فسحة المكان وفسحة الوقت .

– اقرأ ..

– كان الهضيبى ممثلا لقول الله تعالى : « لا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم .. »

كيف صبر على بلاء لم يصبر عليه كثير من الشباب ؟

كيف ثبت على الحق حين لم يجد الحق من يعلن عنه ؟

كيف واجه الباطل ومع الباطل القوة الغاشمة ؟

كيف وقف مع كتاب الله لا يقبل عنه حولا ولا يرضى به بديلا ؟

ولم يكن الهضيبى يقاوم السن فحسب ، وإنما كان يقاوم مع السن مرضاً قدم عنه شهادة قدمها بطل من أبطال الطب هو الشهيد الدكتور أنور المفتى . قدمها لجمال سالم وسلمها جمال للمدعى ليقرأها :

– أشهد بأنى توليت علاج السيد . حسن إسماعيل الهضيبى فى أوائل سنة ١٩٥٠ من حالة شلل نصفى أيمن مصحوب بفقدان تام للنطق ناشئة عن جلطة فى شريان مخى .

وقد لاحظت أن هذه الإصابة قد سببت له ضعفاً فى الذاكرة وبطوءا

فى البدء بالكلام وقد نصحته بعدم الإجهاد الجسمى والعقلى مراعاة لحالته الصحية ، وهذه شهادة منا بذلك .. »

رحم الله الأستاذ الدكتور أنور المفتى ، كان بطلا يعتز به الطب ويقتدى بمثله الأطباء ، وكان بطلا فلم تضعضع بطولته أمام صراخ الباطل وتشنجات الطغاة .. كانت هذه الشهادة فى حالة الهضيبى تقابلها شهادة أخرى فى جمال ، قالها ودفع ثمنها حياته ، ولسان حال الواقع يقول :

من لم يمت بالسم مات بغيره   تنوعت الأسباب والعمر واحد

مع الاعتذار للشاعر العربى عن هذا التحوير ..

* * *

وجاء فى مذكرات الأستاذ حسن العشماوى رحمه الله ، أن الإخوان كانوا قد قرروا القيام بمظاهرة كبيرة فى ٣٠ اكتوبر ، وكان الأستاذ الهضيبى قرر إعلان استقالته يوم ٢٩ اكتوبر ، وسبق جمال الحوادث بمسرحية المنشية ، وقال حسن العشماوى سندبر سفرك إلى الخارج وقال المرشد : لا بل سأقف مع الإخوان أمام هذا البلاء ..

* * *

ومات جمال ، والهضيبى فى المعتقل مع إخوانه ، وجاءه الأخ جمال متولى وقال له : لعل الله شفى صدرك بموت جمال .

ورد المرشد رحمه الله : لو أن الله هدى جمالا لكان فى ذلك أكبر شفاء لصدرى !

الهدف والطريق

كان لجمال هدف .. هو أن يحكم الحكم الذى يوصله إلى أن يضغط على زر فتتحرك البلد ، ويضغط على زر فتقف ..

ولا يمكن لحاكم أن يصل إلى هذا الهدف الشاذ إلا بالطريق الشاذ وبالأسلوب الشاذ ..

ولذلك نجد أن أول شىء نقضه جمال بعد نجاح الثورة ، هو العمل على إقامة شرع الله فى حكم البلاد ، وأعلن ذلك للمرشد فى أول لقاء له :

« قد يقال لك إن إحنا اتفقنا على شىء . . إحنا لم نتفق على شىء ».

الشرع الذى ارتضاه الله للناس يقول للرسول الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .. وشاورهم فى الأمر ... ويقول له : « وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ..

وكانت الخطوة الثانية التخلص من الأحزاب ، وساعده على التخلص منها فسادها ، ويأس الناس منها ، وكان على قمة المتحمسين لذلك الإخوان المسلمون ، ولهذا أبقاهم ليكونوا أعوانه على تحقيق ذلك الهدف ، وحاكم زعماء الأحزاب وأراد أن يضرب عصفورين بحجر. فحاكم إبراهيم عبد الهادى بأنه قاتل الإمام الشهيد حسن البنا وحكم عليه بالإعدام ، وفرح الإخوان المسلمون إلا رجلا واحداً هو المرشد حسن الهضيبى ، فقال للإخوان المتحمسين :

« أنتم فرحون لأن المتهم خصم لكم ، ولم تفكروا فى أن مثل هذا الحكم من الممكن أن يصدر على برىء منكم » .

ولم يكن هذا كافياً لترك « الزر » يعمل عمله .

فاخترع لجان التطهير ، وكنت مدرساً بمدرسة الجمالين الابتدائية ، وكنت أسمع عن مدير التعليم الابتدائي الأستاذ أحمد خلف ، استقامة وحزماً ، وطهراً ونقاء . .

وفوجئنا به يخرج بلجنة تطهير رئيسها على النقيض من أحمد خلف .. ولم يسلم قطاع من بطش الناصرية . .

ـ العمال يثورون لمطالبهم . . فيعدم خميس والبقرى بتهمة التآمر على الثورة والعمالة لأعداء البلد . .

ـ عدلى لملوم يغضب حين علم بالقبض على خفيرين له وضربهما فى مركز البوليس ، ويسأل عن السبب فيضرب هو أيضاً ويحاكم بتهمة التآمر على الثورة وعدائه للفلاحين ، وحقده على الطبقات العاملة . .

ـ أيد السنهورى الثورة ، وساعدها بفكره وذكائه ، وحين اكتشف طغيانها توقف تأييده ، فسيرت الناصرية . . إليه المظاهرة المأجورة بمال قوى الشعب تهتف بسقوط السنهورى الجاهل ، ويضرب بأيدى وأرجل جنود الناصرية الأبطال . . ! ! وكان رئيساً لمجلس الدولة . .

ـ محمد نجيب . . أعلن صوت الثورة وأحب الشعب الثورة فى شخصه ، وعرض حياته للقتل لو أخفقت الثورة ، وكاد السودان يتحد مع مصر على يد نجيب ، وكان الاتحاد قاب قوسين أو أدنى من أمانى الشعبين معاً . . ولكن هدف جمال ليس اتحاد الشعبين بقدر ما هو انفراد بالحكم . . ويتخلص من نجيب بطريقة فجة وبأسلوب حاقد رخيص . .

ـ وصلاح سالم يسخره جمال فى التخلص من الأحزاب ، وفى النيل من الإخوان المسلمين بلسانه وقلمه ، فينشر الأكاذيب ويلفق القصص ،

ويخرج بمقالات مشوهة تحت عنوان هذا « هو القانون الذى يريد أن يحكم به الإخوان . . » ويحارب شرع الله ليرضى سيده . . ولم يسلم من جمال فأزاحه فى الوقت المناسب ، ماذا كانت تهمته ؟ . . إنه السبب فى إخفاق اتحاد السودان بمصر . .

وكان صلاح سالم يعلم حقيقة تعلق السودانيين بمحمد نجيب ، ولذلك حين أعلن جمال أنه سيتخلص من نجيب قال :

« مش ممكن أوافق على كده . . إن إبعاد نجيب معناه أن الاتحاد مع السودان يضيع إلى الأبد . . »

ولكن جمال يريد تأكيد « الزر » الذى يوقف ويحرك بحركة من إصبعه كمصباح علاء الدين السحرى . .

ولذلك ليس أيسر عنده من أن يلصق أخطاءه بأقرب أصدقائه ، فالصداقة عنده درجات وأقربها إليه هو « زر » الحركة والتوقف بإشارة من يده أو حركة من إصبعه أو تلفظ من فمه . .

— وجمال سالم البهلوان الكبير ، الذى أخذ على عاتقه أن يبطش بخصوم الثورة بحماس لايقل عن حماس عبد الناصر . . استغله عبد الناصر لأبعد حدود الاستغلال ، ولم يقتصر دوره على مجرد النطق بأحكام محكمة الشعب التى أعدها عبد الناصر قبل مسرحية المنشية بشهور ، بل جعل من نفسه جباراً عنيداً ، وطاغية فريداً ، فلم يسلم أحد من لسانه وظل لسانه يقطر سماً طول المحاكمة وعرضها ، ويوم تصح كتابة التاريخ ، وتظهر الحقائق ، ستجد مما نشرته الناصرية من كلام جمال سالم فى محكمة الشعب نموذجاً للذين باعوا دينهم بدنيا عبد الناصر . . وفى الوقت المناسب ضغط عبد الناصر على الزر فانزاح جمال سالم ليلحق بأخيه ، بجيران المظالم ، وأقبح الظالمين هم الذين يظلمون الناس للناس ،

ولحق جمال المريض بأخيه صلاح المريض فما بكت عليهما السماء والأرض ومضت سنة الله ، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها .

ويحدثنا محمد نجيب أول رئيس للجمهورية :

« اختطف القدر صلاح سالم فذهبت لتعزية شقيقه جمال سالم . فقال هل تعزى صلاح سالم وتعزيني بعد كل الإساءات التى ألحقناها بك ؟ » .

ويقول الرئيس السابق نجيب :

وعندما سقط جمال سالم مريضاً ذهبت لزيارته وهو على فراش الموت ، فأجهش بالبكاء وقال :

« سامحنى يانجيب ، فقد دفعنا الشيطان الرجيم ضدك »

ومن الملاحظات العجيبة أن جمال عبد الناصر أطلق اسم صلاح سالم على محطة السكة الحديد وأسماه « الشهيد صلاح سالم » .

والمعروف للجميع أن صلاح سالم مات بمرض ألزمه الفراش فلماذا أطلق عليه عبد الناصر « الشهيد » ؟ لعل عبد الناصر يعلم سراً لموت صلاح لا نعلمه نحن . .

— كيف عالج جمال تطلع الشعب للحرية ، ومناداته بالحياة الديمقراطية ؟ كيف رد على الكتاب الأحرار وعلى رأسهم أحمد أبو الفتح . . ؟

وكيف رد على إحسان عبد القدوس وهو يكتب كلمة يستبعد فيها قبول جمال عبد الناصر أن يقف (زنهاراً) أمام رئيس له ، ويضع جمال عبد الناصر أمام بديل لذلك . فيطالبه باعتزال كل من الجيش ، والسياسة ويكفيه أنه قام بالثورة ونجح فيها . .

نترك محمد نجيب ليجيب عن هذا السؤال ، يقول الرئيس الطيب :

ـ فى يوم ١٩ مارس وقع حادث مريب . .

انفجرت أربع قنابل فى أنحاء متفرقة من القاهرة ولم يقبض على الفاعل ، وكان اجتماع المؤتمر المشترك فى صباح اليوم التالى ، وأثيرت قضية الانفجارات ، وشممت رائحة غير نظيفة عندما سمعت بعض أعضاء مجلس الثورة يطالبون باتخاذ إجراءات صارمة للضرب على أيدى هؤلاء المجرمين . .

وقلت لهم فى صراحة : إنه لا يوجد صاحب مصلحة فى التخريب إلا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب إلى الديمقراطية . . وظهر رأى مقابل هو تخلى أعضاء مجلس الثورة عن السلطة وانسحابهم من الميدان . . وتم التصويت وفاز الرأى الثانى بأغلبية كبيرة . . ولمست أن خطة جديدة تدبر لتفجير الموقف . .

وظهرت خديعة إعلامية كانت خيوطها قد بدأت تظهر على صفحات جريدة الجمهورية وصور بها مجلس القيادة وكأنه يبتغى الديمقراطية . .

وفى جلسة مجلس قيادة الثورة فى ٢٥ مارس .

كانت جلسة حاسمة . . ابتسامات المجاملة اختفت من الوجوه ، التعبيرات واضحة وصريحة . .

بدأ عبد اللطيف بغدادى الحديث مقترحاً إلغاء قرارات ٥ مارس(١).

---

(١) فى ٥ مارس قرر مجلس قيادة الثورة إلغاء الرقابة على الصحف ، واتخاذ الإجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر ، لتناقش الدستور الجديد وتقره وتقوم بمهام البرلمان حتى يتم عقد البرلمان الجديد. وقررت إلغاء الأحكام العرفية قبل الانتخابات.

جمال عبد الناصر قال فى هدوء : إن مجلس الثورة ينتهى عمله يوم ٢٣ يوليو والأحزاب تعود إلى وضعها السابق . .

تمسك خالد بقرارات ٥ مارس .

وارتفع صوت صلاح سالم قائلا بأن كل شىء يجب أن يعود إلى صورته القديمة . .

كانت محاولة التهدئة عبثاً . . وكان الموقف مرسوماً ومبنياً على خطة كنت أجهلها وإن كنت أشعر بها .

كان انتقالهم المفاجىء من النقيض إلى النقيض يدل على وجود تدبير ما . .

وأعلن صلاح سالم للشعب قرارات ٢٥ مارس وتقضى بالآتى :

١ ـ يسمح بقيام الأحزاب . .

٢ ـ المجلس لا يؤلف حزباً . .

٣ ـ لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات . .

٤ ـ تنتخب الجمعية التأسيسية انتخاباً حراً مباشراً بدون تعيين أى فرد ، ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة .

٥ ـ حل مجلس الثورة فى ٢٤ يوليو المقبل باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلى الأمة . .

٦ ـ تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها .

وبرغم الرائحة غير النظيفة التى شمها نجيب ، وبرغم التآمر الذى أحس به . . ترك جمال وعصبته ليدبروا وليتآمروا ، وذهب إلى الإسكندرية مع الملك سعود ، ولا يجد ما يدافع به عن نفسه إلا إلصاق

فشله فى إيقاف التآمر بغيره ، فيزعم أن الإخوان المسلمين وعلى رأسهم الهضيبى قدآثروا السلامة بالتهاون وابتعدوا عن الساحة . .

ويزعم زعم صاحبه بأن الإخوان أرادوا احتواءه وهو الذى أراد للإخوان أن يسفكوا دماءهم فى معركة خاسرة ، بعد أن ضيع نجيب كل الفرص ووضع جمال فى موضع المستعد للشر ، المتأهب للتنكيل ، المشمر عن ساعد البغى والعدوان ، المسلح بالإعلام الكاذب ، والروائح غير النظيفة كما سماها نجيب . . ! !

جابه جمال قرارات ٥ مارس ، بقرارات ٢٥ مارس ، وبيت كيده ليحبط قرارات مارس كلها . فاتصل برؤساء النقابات وأغدق عليهم من مال الشعب المتباكى على استغلاله . .

ثم كانت الهتافات بحياة رجال الثورة وسقوط الحرية ، والهتاف بسقوط السنهورى الجاهل وحياة جمال ، ويعلق نجيب على ضرب السنهورى رحمه الله بقوله « انتهى القانون وبدأ عصر الغاب » .

ويعلق على قرارات ٥ و ٢٥ مارس بقوله :

فقدت الكلمات قيمتها وأصبحت رخيصة بلا ثمن . . ثم ينبهنا لأمر مهم ، وهو أن جمال وصلاح وكمال حسين قد توجهوا بعد إذاعة القرارات بنصف ساعة إلى اتحاد نقابات النقل المشترك ، وقد نشرت الصحف ذلك . . أين كنت وكل ذلك يحدث يا نجيب ؟ !

ألم يكن لك من عمـل تعمله إلا مرافقة ضيفك الملك سعود ، والبكاء على الذين اعتقلهم جمال وتهنئة الذين أفرج عنهم ؟ لا أريد أن أقسو عليك فأزيد فى أحزانك وأضاعف مسئوليتك أمام ضميرك .

ولكن الذى آلمنى منك ما زعمته من أن الهضيبى والإخوان كانوا يستطيعون تقديم أكثر مما قدموا . .

ولقد وضع جمال يده على أسماء الإخوان العاملين بالإسلام والمستعدين للتضحية ، ولم يكن لديه مانع من أن يسير جنـده ليسفكوا دماء كل الإخوان فى عقر دارهم . . وتكون نهايتهم فى نظره ومن خلال طموحه كنهاية الشعب الذى تساقط تحت عجلات الديزل وهو يرحب بك فى طنطا . .

– مجلس الثورة الذى استغل جمال كل أفراده لتحقيق هدفه ، يضرب بهم ويكذب بهم ويهدد بهم .

يقول كمال الدين حسين : ظل المجلس حتى صدور دستور ١٩٥٦ ، وطلب منا جمال فى يونيو أن نصدر قراراً بحل المجلس . . ووجدنا أنفسنا مجبرين على أن نوافق على رأيه ونترك له الحكم منفرداً . . فقد كان دائماً يشكو من أن المجلس يقف حائلا بينه وبين تنفيذ مشروعاته . . ووجدنا أنفسنا إذا رفضنا قرار الحل فإنه سيخرج إلى الناس ويقول عنا : إننا متمسكون بالحق الإلهى فى حكم البلاد . . ويجد الأعضاء أنفسهم بغير عمل . .

– ويقول حسن إبراهيم : قررنا أنا وجمال سالم والبغدادى وكمال حسين الابتعاد نهائياً عن السياسة . .

– ثم يأتى دور مجلس الأمة ، ويتولى البغدادى رياسته ، إنه مجلس صورى ورياسة صورية وواجهة للديمقراطية ، ويشيع جمال بأن مبدأ فصل السلطات موضة قديمة ويجب أن نبحث عن مذهب يجمع بين السلطات . .

ويتضح من كلام البغدادى رئيس المجلس أن أى قرار يمس المسئولين يتصل بجمال ليستطلع رأيه ويأتى فى بعض حديثه أنه رأى مؤاخذة ثلاثة أعضاء استغلوا مراكزهم وقرر جمال عدم مؤاخذتهم . ويقول البغدادى :

فصرخت فى التليفون قائلا :

ـ ده يبقى شغل عيال . . ! ؟

وحين يجد البغدادى أن المجلس ليس إلا مجرد واجهة ، وأنه أداة من أدوات عبد الناصر يقول لوجيه أباظة : سأستقيل . . سأقول لأعضاء المجلس إن هناك عصابة تحكم البلد والنهارده تأكد لى أنه ليس هناك شيء اسمه حرية أو ديمقراطية . .

ـ ونظل ممسكين بخيط الطريق والهدف ، فها هو جمال حكم البلد حكماً ديكتاتورياً يضغط على زر فتتحرك البلد ويضغط على آخر فتقف .

وتفاجئه هزيمة ٥ يونيو ، فاجأته هو والذين ألهوه ، أما نحن فقد كنا لانستبعد حدوثها ، لم يكن عبد الحكيم أولى بالانتحار من جمال ، فكلاهما أجرم فى حق بلده ، وخان أمانته أمام ربه ثم أمام وطنه .

ويحضرنى الآن مطلع قصيدة ، كتبها شاعر من الزقازيق إثر الهزيمة وهو خلف الأسوار (١) :

لو كان يعدل لانتصر   لو كان حراً لانتحر . .

ولكن الهدف لايبرح جمال حتى فى هذه اللحظات الأليمة والمهينة . . فيخرج على الشعب يعلن التنحى ويختار زكريا محيي الدين خلفاً له . .

هل كان رأى جمال فى زكريا أنه أكفأ الموجودين ؟

ينبغي أن نستطلع رأى جمال نفسه فى زكريا . .

ويقص علينا البغدادى رأى جمال فى زكريا لنعرف كيف ولم اختاره . . ولنعلم أن جمال لايضيره إلا أمر واحد ، هو أن يخرج الحكم من يده ، فإن خرج من يده فعلى أمل أن يعود إلى يده ، فإن لم يعد فهو على مبدأ : « إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر »

---

(١) الأخ سليمان محمد سليمان .

اشتدت الأزمة على بغدادى وهو يرى رئاسته لمجلس الأمة غير ذات فعالية أمام طغيان عبد الناصر ، وأمام تسخيره أعضاء المجلس لتنفيذ مآربه ، يقول :

« غادرت القاعة واتجهت إلى مكتبي وكان به زكريا محيي الدين وعلى صبرى ومحمود الجيار . . وكنت فى حالة ثورة . . ساخطاً . . وقال لى زكريا :

— نشيلوه بأه . . وكان يقصد عبد الناصر . .

ولم أرد وأخذ على صبرى ينتقل من غرفتى إلى الغرفة المجاورة ليبلغ عبد الناصر بكل حرف .

وقال لى عبد الناصر تعال ، عايزك حالا . .

وذهبت إليه فى المساء . . ووجدته يسألنى :

— حقيق « الأصفراوى » وكان يقصد زكريا محيي الدين . . قال لك نشيلوه . . ؟

وسألته : ليه بتسأل ؟

فقــال :

— أنا عارف أنه قال كده . . هو فاكر نفسه يقدر يشيل غفير أما يشيل رئيس جمهورية . .

— وذلك هو رأى عبد الناصر فى زكريا الذى اختاره ليكون رئيساً للجمهورية من بعده . .

لايستطيع شيل غفير فكيف يحمل أعباء جمهورية أغرقها جمال فى الديون وحطمها بما ليس له مثيل فى التاريخ ، وألب عليها الدول ، وفرق أهلها وملأها بأحقاد رسخت فى قلوب الكثيرين .

حكم جمال حكماً ديكتاتورياً . وتخلص من أعضاء مجلس الثورة

الواحد بعد الآخر ، ولم يبق لأحد من السلطة إلا هو وعبد الحكيم ، ويصفهما الرئيس محمد نجيب فيقول بعد أن ظهر له تآمرهما :

لم أكن أستطيع النظر فى وجه جمال وعبد الحكيم . . كنت أرى على وجهيهما قناع إبليس ، ومن أيديهما تقطر الدماء . .

ومن التناقضات العجيبة أن الرجلين لم يعرضا أنفسهما لمخاطر أول مواجهة للثورة وأعدائها ، وجلسا فى عربة عبد الناصر بملابس مدنية يرقبان تحرك البكباشى يوسف صديق والقائمقام أحمد شوقى ورجالهما الأبطال ، من بعيد ، والتفسير الوحيد هو أن الرجلين جلسا يزنان احتمال نجاح الثورة ، فإن أخفق يوسف صديق وأحمد شوقى ، فيسهل على جمال وعبد الحكيم الانسحاب كما عودانا فى كل حرب خاضاها مع إسرائيل . . !

• • •

علـــى هـــامش المؤامـرة

إذا رأى رجل شيئاً صدق عينيه وكذب من يصف الشيء أو يتحدث عنه بغير ما رآه .

وإذا سمع خبراً وزنه بقدر المتحدث به ، ودرجة التصديق تختلف باختلاف السامعين .

فهناك قلة أكرمها ربها بحسن الاستجابة له سبحانه فأصغت لأمره : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

وصنف آخر هو صنف الدهماء وعامة القوم يصف أمثالهم قول الله تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » فهم بهذا الوصف الرائع ليسوا سماعين للكذب فحسب ، بل هم مروجون له ، مبالغون فيه ، متملقين بذلك حاكماً ظالماً ، أو متبعين هوى ، أو منفسين عن حقد .

وفى يوم اعتقالى كان قد مضى على حادث المنشية مايقرب من ستة عشر عاماً . . ولم تتغير نظرتى للحادث عن الساعة التى جلست فيها مع صديقى نكتب خطابات فى الليل ونضعها فى صناديق بريد متفرقة — للتابعى الذى ارتضى لنفسه الدرك الأسفل من الخلق ، ولغيره ، وأذكر بالفضل الأستاذ عباس العقاد رحمه الله ، فقد عاش ومات ولم ينخدع فى الثورة ولا فى مسرحيات جمال ، وفى الأيام التالية للمسرحية اجتاحت الصحف الإعلانات المثيرة ، والمقالات الدالة على بلاهة

كاتبها ، ولا أجد ما أصفهم به غير البلاهة التى تسرق عقل صاحبها ، وتترك له أذناً تصدق ماتسمع ، ولساناً يهرف بما لا يعرف .

وعملاق الأدب الأستاذ العقاد رحمه الله ، يكتب فى أخبار اليوم :

« أغا خان يكشف الستار فى مذكراته عن الرجال الذين عرفهم »

أخبار اليوم ٣٠-١٠-٥٤

ومضى على اعتقالى الآن سبع سنوات ، فظهرت أمور وإن كانت مستترة إلا أننى كنت أحس بها . . كنت أرى المسرحية من الوضوح بحيث لاتحتاج لإثبات تفاهة موضوعها وفساد فصولها ، وتناقضها مع منطق العقل – أى عقل مادام صاحبه يريد المعرفة الصحيحة ، وما دام يريد كشف المعتدى من المعتدى عليه . . المسرحية واضحة كالنهار . .

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

جاء المرشد فى الظروف التى وضحتها وكان أول شىء اشتراطه على الإخوان التمسك بأسلوب القرآن فى الدعوة إلى الله – وبقيت الأسلحة بعلم الحكومة فى يد المجاهدين من الإخوان ، وظلت فى يد الإخوان بعلم جمال لنفس الغرض الذى استعملت له – ضد الصهيونية وضد الإنجليز ، ولم يحدث فى عهد الهضيبى حادث اعتداء واحد على محل يهودى ، ولا على حياة عميل ، واعتقل المرشد وقادة الإخوان فخرجت مظاهرات الإخوان وكانت قوية عاتية لم يحسب جمال حسابها ، فسلم لها وقبل طلباتها ، وجاءت قرارات ٥ مارس وبعد عشرين يوماً أعلن جمال وجماعة المنتفعين قرارات ٢٥ مارس . وخطط لهدم قرارات مارس السابقة واللاحقة . . اعتقل المرشد فى فبراير فأين كان الجهاز المخصوص ؟

وأين كانت ترسانة الأسلحة الكافية لتدمير إسرائيل . . ؟

وحرك جمال شراذم العمال والمأجورين يهتفون بما يعبر عن خبيئة نفسه وخبث هدفه ، وكان فى استطاعة الإخوان أن يسيروا مظاهرات مضادة تكشف عبث جمال ، ولكن الإخوان تيقظوا للحقيقة المرة ، وهو أن جمال أعد العدة لسحق من يقف فى طريقه . . فأين كان الجهاز المخصوص للإخوان ؟ وحاول جمال إذابة الإخوان فى هيئة التحرير ، وأحس الهضيبي بنواياه فاعترض على إذابتها فى هيئة التهريج ، ولكنه عبر عن إحساسه بما يفعله ويدبره جمال فقال له : يا جمال عندما تشعر بضيق من الإخوان أبلغنى وأنا أسلم لك مفتاح المركز العام حتى لاتقع فتنة . . قالها الهضيبي وهو صادق ، لأنه مؤمن ، والمؤمن إذا حدث صدق . .

واتصل نجيب بالهضيبي يطلب منه الوقوف بجانبه وأراد الهضيبي معرفة استعداد نجيب لتطبيق الشريعة الإسلامية ، ولم يجد لديه استعداداً لذلك ، فعلام يناصر نجيب الذى أضاع كل الفرص — على المتربص المستعد للشر المتأهب له . . حتى المظاهرات أبى الهضيبي أن تكون وسيلة للإخوان يلجأون إليها . . مادامت لغير نصرة شرع الله وطريقها غير مأمون . وحين قرر الإخوان القيام بمظاهرة فى ٣٠ أكتوبر قرر إعلان استقالته قبلها ليترك للإخوان حرية التصرف . وليفوت على جمال ما يحاول به تمزيق صفوف الإخوان بما يشيعه من أن الهضيبي هو العقبة فى طريق التفاهم .

إننى لآسى على عقلية الذين يظنون أن الهضيبي كان فى إمكانه إحداث إنقلاب ينجح فيه وأنه أضاع الفرصة . .

وكأن الذى استطاع بمكره أن يسخر قادة الجيش لإنجاح الثورة ثم تخلص منهم — كان يعجزه تدمير آلاف المتظاهرين ولا يسلم

بالهزيمة . . ؟ إنه ذلك الذى سفك دماء من ساندوه ، واعتقل من أعانوه ، وأهان من باعوا دينهم بدنياه . .

إنه ذلك الذى قال : « ارفع رأسك يا أخى فقد انقضى عهد الاستبداد » وما ارتفع رأس إلا حطمه ، وما ترك ذا رأى ليبدى رأيه.؟

. . هذا هو الذى عرفه الهضيبى من أول لقاء وحين قال له . . أسلم لك مفتاح المركز العام . . كان يتمنى أن يكون أقصى ما يصيب الإخوان على يدى جمال حل الإخوان ، فقد كان يرى أن أبعاد الفتنة التى يرسم لها أبعد من مجرد استيلائه على دور الإخوان وتجميد نشاطهم الأساسى ولا يطعن ذلك فى شجاعة الهضيبى فلم يصادف جمال رجلا عنيداً فى الحق كالهضيبى ، فلو لم يكن لدى الهضيبى أكبر نصيب من الشجاعة وأعلاه ، ما رفض إذابة الإخوان فى هيئة التحرير . .

كان الهضيبى الزعيم الإسلامى الذى لم يرض إيمانه أن يبيع دينه بدنيا جمال ، وكان الزعيم الإسلامى الذى حرص على اسم الإسلام فلم يحمله أوزار الإفك الناصرى . .

وتبدو أبعاد شجاعته حين يصر على موقفه بعد أن تعرض للاعتقال وذاق من ألوان الإيذاء الناصرى ما ذاق . .

عرف من الاعتقال أن جمال :

— لديه من المكر والكيد والافتراء كل أبعادها . .

— ولديه من السلطة والقسوة والجرأة على الحق كل أبعادها ، كذلك .

— ولديه من كلاب البوليس وكلاب البشر ما ينهش بها عظام خصومه ولحومهم .

وحوله من قرناء السوء ، ومن طواغيت البشر ما يعجز عن صد كيدهم رئيس جمهورية مصر فضلا عن الهضيبى الطاعن فى السن ،

الأعزل والمحطم بالمرض . . وسخر من وسائل الإعلام ما ناطح به إعلام أمريكا مع الفارق الكبير ، فأمريكا تعلن عن قوتها وتقدمها وتفوقها فى كل شيء . . أما جمال فيعلن عما رسمه له خياله ، وما أغرقته فيه أحلامه . . ولديه من التشنجات ما يستثير به الحماس ، ومن القسوة ما يؤكد به الحزم والصلابة ، ومن تعطش الجماهير لتكنولوجيا العصر الذى نعيشه ، فروى ظمأهم بمعسول الوعود ، ومئات الحان وآلاف المتشدقين بصناعة الكلام ، وأطنان أوراق الدعاية الناصرية ، وأبواقها وطبلها ومزاميرها .

أين من كل ذلك المضيبي والصادقون من الإخوان ، وليس معهم إلا الإيمان الأعزل المستسلم لقضاء الله ؟ وليس لديهم إلا الثقة فى وعد الله للمؤمنين الصالحين ، أن يستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدون الله لا يشركون به شيئاً ، كانت أمنية المضيبي أن تتاح له فرصة الدفاع عن نفسه ليعرف كل واحد قدره ، ولكن أسلوب جمال يرفض تمكين خصومه من الدفاع عن أنفسهم ، وحسبك برجل مريض طاعن فى السن ، يبيت بين كلاب البوليس فى الزنزانة ، ويحقق معه كلاب البشر فى المكاتب . ويقف بعد ذلك أمام جمال سالم فى المحكمة ، وبرغم التخويف والإيذاء والتشويش ينطلق صوت المضيبي : « أنا والله لا أدافع عن قضية لأنى أعرف أن الأجل بيد الله ، ولا يمكن أن تزيدوا فى عمرى دقيقة أو تنقصوه أو تغيروا مجرى القدر ، والله يجعلنا أهل الرضا بقضائه وقدره . .

أنا والله العظيم برىء من هذه التهمة ، ولم أعلم بهذه الجريمة ولم أرض بها ولم آمر بها . . والله على ما أقول شهيد » .

* * *

ونأتي إلى الرجل الثاني .. يوسف طلعت رحمه الله ، وقع حادث المنشية وهو فى بيت أحد أشقائه ، وسمع تشنجات جمال فقال : عملها عبد الناصر ونجح .. وغداً سيلصقها بالإخوان المسلمين . وأذاعوا اسم محمود عبد اللطيف ويسأل يوسف شقيقه :

هل تعرف هذا الشخص ؟ فيجيبه بالنفى . .

واعتقل يوسف وقالت أبواق الناصرية إنه اعتقل فى بيت به ترسانة أسلحة تكفى لتدمير القاهرة .

ويقول مصطفى الهلباوى ممثل الادعاء :

« نقدم لكم الرجل الثاني . . الذى كان بالأمس نجاراً وأصبح اليوم الجزار والجلاد والسفاح وصاحب مصنع الموت » .

. . ويأتى رد الشهيد يوسف طلعت عليه رحمة الله ورضوانه : مسألة النجار مش عيب ، كانت صناعة سيدنا نوح وسيدنا يوسف عليهما السلام . .

ولو كنت صحيحا متعطشا للدم فقد قبض على ومعى سلاح ولكن ضميرى وقلبى لم يسمحا لى بأن أستعمل شيئاً من هذا . .

حضرة المدعى قال بأنى قلت له خذ خطة ونفذها ، والله العظيم ثلاثا وكتاب الله أنا ما قلت هذا . .

حصل الاعتداء على الرئيس وبعدين جالى أحمد حسنين وقال : يا يوسف إيه الحكاية ، فقلت له : استنى لما نشوف إبراهيم ، غاب إبراهيم وجانى بعد ٢٤ ساعة فقلت له : الحكاية دى من الإخوان ؟ ومحمود من الإخوان ؟ وازاى الحكاية دى ؟

فقال : أنا رحت لأخوك هنداوى أول امبارح وباتكلم معاه فى خطة المظاهرة فقال لى : محمود سافر . فقلت : يا جدعان إزاى الكلام ده فقال لى : ده اللى حصل . .

— ونأتى للضحية الثالثة ، نقف مع إبراهيم الطيب المحامى رحمه الله ، فقد أنزل الطغاة به من التعذيب ما هو فوق طاقة البشر ، ولم تخنه شجاعته برغم ذراعه المكسورة وجسده المحطم ، وبرغم ما أنزلوه به مما لو حل بالعصبة أولى القوة لخانتهم شجاعتهم ولأسلموا قيادهم لجمال سالم من بعد كلاب البوليس فى الزنازين ، وكلاب البشر فى المكاتب .. وكانت قدماه متورمتين لايسعهما حذاؤه ، فألبسوه أكبر حذاء وجدوه فى السجن .

ويسأله جمال سالم : ما هو الغرض من إنشاء الجهاز السرى ؟

ويجيب الشهيد البطل : إن التدريب فرض عين على كل مسلم لأن بلاد المسلمين منكوبة بحكم المستعمر فى الشرق والغرب ، والإخوان يستعدون لتقديم الجنود ، إذا ما حصل شىء فيقدمون الرجال مجهزين مدربين لتونس أو الجزائر أو مصر أو لأى بلد آخر . .

جمال : ألا تعلم السياسة العامة للجماعة بالنسبة للثورة ؟

الأستاذ إبراهيم : تتلخص فى ضرورة التعاون التام والتآزر مع رجال الحكم . .

جمال : بدون أى طلبات ؟

— كل ما فهمته أن الطلب الوحيد الذى طلب من مجلس قيادة الثورة هو أن ينحو النحو الإسلامى الذى يرضى عنه الشعب المسلم . .

جمال : لماذا تساعد على حملة الدعاية التى قامت بها جمعية الإخوان ضد الاتفاقية . . ؟

— كل مواطن له حرية التعبير . .

جمال : الإخوان يمثلون البرلمان ؟

— هم جزء من الشعب . .

وكيل النائب العام : هل تحدثت مع هنداوى بشأن الاعتداء على الرئيس جمال ؟

ــ لا :

وكيل النائب العام : ألم تحدد وقتاً أو أشخاصاً أو ميعاداً ؟

ــ لا :

ــ هل أعطيت له سلاحاً أو مسدساً على وجه التحديد ؟

ــ لا :

ــ ما كلفتوش هو أو غيره بأنه يقوم بارتكاب هذا الحادث ؟

ــ لا ، إطلاقاً . .

جمال : هل تعتقد بأن الحكومة وأعضاء مجلس الثورة بجهاز المخابرات كله يقعدوا سنتين ونصف مش عارفين إمتى تكون الجهاز ومتى أعيدتنظيمه ومتى تسلح ؟

ــ أعتقد أنه يعرف . .

جمال : طيب إيه اللى سكتنا عليكم ؟

ــ لا أعلم السبب . .

جمال : أصلنا خايفين منكم . . يا أخى . . ومع هذا تروحوا وتوضعوا خطة الانقلاب وقيام الشعب الإخوانى المسلح بمظاهرة مسلحة . . وتقول الهنداوى كلف واحد يبدأ تنفيذ خطة الإغتيال . .

ــ ماكلفتوش لأننا لم ندخل فى أى دور تنفيذى .

جمال : ما سلمتوش الطبنجة ؟

ــ لا

جمال : ماحددتلوش محمود عبد اللطيف ليقوم بالحادث . .

ــ لا ، إحنا فوجئنا بهذا التكليف من هنداوى دوير ودهشنا له . .

جمال : هل دى الطبنجة ؟

إبراهيم الطيب : أنا لم أسلمه هذه الطبنجة إطلاقاً . .

جمال : تشتريها بكام ؟

إبراهيم : أنا متأكد من كلامى . .

جمال : لما تحب تشكل واحد تدخله التدريب العسكرى وإن جه يطلع . . فايز ؟

إبراهيم : أنا أعتقد أنه اعتدى عليه من خارج جماعة الإخوان . .

جمال : ما تكونش الحكومة ؟

إبراهيم : إن بعض الظن إثم . .

الدفاع : هل مصلحة مصر أن تحارب فى كل ميادين الأرض فى الجزائر وتونس ومراكش وأندونيسيا ؟

إبراهيم : لاشك أنه من واجبها . .

الدفاع : وقت قيام الجهاز ومهمته أن يحارب فى كل بقاع الأرض فهل كانت حررت أرض الوطن من المستعمر ؟

إبراهيم : الإخوان بذلوا كثيراً . . ومع وجود الإنجليز إشترك الإخوان فى فلسطين وهى غير مصرية . .

الدفاع : هل تعتقد أن الهيئة التى تصل إلى الحكم عن طريق الإرهاب تتخلف عن الإرهاب بعد وصولها إلى الحكم ؟

إبراهيم : لا أعلم فى أى مرحلة من المراحل أن الإخوان كان من أهدافهم الوصول إلى الحكم . .

الدفاع : ما هو عقاب محمود عبد اللطيف بوصفك رجلا قانونياً .

إبراهيم : هو فاعل أصيل . .

الدفاع : هل كنت تقدم على ما أقدم عليه ؟

إبراهيم : لا . .

الدفاع : كل الجرائد استنكرت هذه الحوادث . .

إبراهيم الطيب : لا شك أننا نستنكر هذا الحادث . .

جمال سالم : أنت تستنكره ؟

إبراهيم الطيب : أنا أستنكر الحادث كما وقع . .

وضيق جمال سالم على إبراهيم الطيب فلم يتح له نقد الاتفاقية .

يقول إبراهيم : الذى أعلمه أن مكتب الإرشاد تقدم ببيان قانونى إلى الرئيس جمال عبد الناصر يذكر فيه انتقادات قانونية للاتفاقية . .

جمال سالم : كيف تحل لجمعية الإخوان مالا تحله لنفسك ؟

وسأله الدفاع : هل الاتفاقية وثيقة سياسية أم قانونية ؟

إبراهيم الطيب : فيها الناحيتين .

جمال سالم : مش عاوزين نتعرض للسياسة بتاعة الدولة .

وكذلك الحال حين عرض جمال بالأستاذ الهضيبي وقال :

- ولذلك الهضيبي تقابل مع إيفانز

إبراهيم الطيب : علمت أن هذه المقابلة . .

جمال : أنت لاتعلم شيئاً إلا من يوسف طلعت . .

إبراهيم : هذه المقابلة لم تكن بناء على طلب الإخوان بل بناء على طلب مستر إيفانز . . وقال الدكتور حسين كمال الدين أن المرشد استأذن.

جمال سالم : ماذا يكون مأرب الإنجليز ؟ كيف يسمح المرشد حسن الهضيبي أن يقابل الإنجليز من غير رأى الحكومة ؟

إبراهيم : الذى علمته أنه أخبر الرئيس جمال . .

جمال : علمت من مين ؟

إبراهيم : من حسين كمال الدين والمرشد نفسه . .

جمال سالم : يكونش حسين كمال الدين ربنا بتاعك ، وألا تعتقد بالمسيحية God the father . . God the son يكونش الإله الرب هو الابن والرب هو الأب يكونش الإله الأكبر والإله الأصغر . .

وبرغم إرهاق جمال سالم لإبراهيم بالأسئلة السخيفة المعادة والمملة والتى لايمكنه من الإجابة عنها ، ويقطع عليه إجابته فى الوقت الذى يشاؤه ، وحين لايجد الإجابة متمشية مع هواه ، وبرغم العذاب المهين الذى حل بإبراهيم الطيب برغم هذا وغيره ظل إبراهيم الطيب سيداً للموقف حتى انفجر جمال سالم قاضى محكمة الشعب وعنوان العدالة الناصرية :

— كم كنت أتمنى أن أقابلك وأنا فى غير هذا المكان . .

حتى لايؤخذ على بالشبهة أن أكون متحاملا عليك ، أو أستغل سلطتى . .

ووقف الأستاذ منير الدلة رحمه الله أمام جمال سالم فقال : ذهبنا إلى جمال عبد الناصر نؤيد الحركة ونطمئنه إلى أننا وراءه فتطرق الحديث بين صلاح شادى وبين الرئيس إلى موضوع ، وقال صلاح حبذا لو أن الحاكم يستطيع أن يأخذ أو يقرب نفسه للشعب ويعرض عليه المشروعات أو الأفكار ليؤمن ويقنع بأغراضها . .

جمال سالم : وهل أنتم الشعب ؟

منير الدلة : جزء من الشعب .

جمال سالم : نلتزم بأن نعرض عليكم مشروعات القوانين قبل أن تصدرها الحكومة ؟

منير الدلة : الرأى ده كان اجتهادى من صلاح ووجهة نظر فردية..

حمال سالم : أنتم قلتم أن جميع المشروعات بقوانين قبل أن تصدرها حكومة الثورة تمر عليكم لتبدوا الرأى فيها . .

منير الدلة : أنا بدى أقول أن نفس اللى حضر المقابلة يمكن يكون أكثر تذكراً لها . . يعنى أنا مثلا كنت موجود . .

حمال : إيه الكلام ده . هو احنا عندنا مكتب إرشاد مش دارى بما يجرى حوله ؟ إذا كانت عندنا حاجات زى دى ، ماكناش قدرنا نمشى البلد زى ما احنا ممشينها . . كلامك ده فيه اتهام لجمال عبد الناصر.. إنه مش عارف ينقل الكلام . .

يا أهل البلد ، السيد منير الدلة والسيد صلاح شادى جم يطالبوا علشان يحطونا تحت الوصاية . . مش مضبوط كده يا مستشار يا بتاع مجلس الدولة ؟

أنت عرفت ليه ؟ ما أنت من الصبح كويس . . لما سمعت الكلام ده ؟

الأستاذ منير : إحنا رايحين مجرد تأييد . . لا أكثر ولا أقل . .

وجاء الشهيد سيد قطب رحمه الله وآثار التعذيب بادية عليه وقال رحمه الله : أنا فى حالة تمنعنى من أداء الشهادة . .

حمال : تعبان ؟

سيد قطب : أيوه تعبان من حاجات كثيرة فإذا سمحتم . .

جمال سالم : قادر تؤدى الشهادة أو تعبان . .

الشهيد سيد قطب : أنا تعبان . .

حمال سالم : الكلام على قد السؤال . . ما أنا عارف يا سيد قطب من أول الثورة لما كنت بتيجى تتكلم عن التعليم بتاع دنلوب . . فاكر والا لأ ؟

ــ فاكر . .

جمال : طيب اتفضل ارتاح نصف ساعة . المدعى . . قعده وريحه واديله فنجان قهوة وكباية شربات . .

وحين وقف الشهيد رحمه الله طلب إليه على نور الدين النائب العام .

ــ اذكر الحديث الذى دار بينك وبين المرشد بعد عودته من سوريا .

ــ أعدت عليه ما اقترحته قبل ذلك مرات من أن الإخوان المسلمين يجب أن يؤدوا واجبهم فى المطالبة بعودة الحريات الشعبية والضمانات القضائية لأن هذا واجبهم الذى عليهم أن يؤدوه لله وللشعب ، فكان رده فى المرات السابقة قبل أن يسافر ، إن الإخوان المسلمين لايجوز أن يقوموا بحركة منفردة وأنه يجب أن يكون الشعب معهم وأن يكون الجيش كذلك أو أغلبيته ، أما فى المرة الأخيرة فقد أجابنى بأن هناك حركة سيقوم بها الجيش لإعادة الحريات الطبيعية ، ولإعادة الضمانات القضائية ، وأن أغلبية عظمى فى الجيش ستقوم بهذا فى حركة شبيهة بما حدث فى سوريا من اختيار الجيش أن يعود إلى الثكنات وأن يسلم البلاد للرجال المدنيين ، وأن الإخوان سيكون دورهم أن يقوموا بالتأييد الشعبى لحركة الجديدة حتى تتم .

كانت النقطة التى أحب أن أتأكد منها هى عن الموقف الدولى وموقف الدول العربية لأننى كنت أعتقد أن الموقف الدولى وأن أمريكا بالذات قد تكون حريصة على بقاء الأوضاع الحالية وكذلك الحال مع بعض الدول العربية . .

وكيل النائب العام : المطلوب من الشاهد ألا يذكر تعليقات من عنده . .

الشهيد : أنا أبديت هذه التعليقات للمرشد . .

وكيل النائب العام : ألم تسأل المرشد عن القوات التى ستتعاون معه .. ؟

الشهيد : فهمت أن اللواء محمد نجيب بيكون على رأس قوات الأغلبية .. التى ستقوم بالضغط على بقية الجيش لتحقيق فكرة الرجوع إلى الثكنات وإعادة الحكم للمدنيين ..

وسأله وكيل النائب العام عن المنشورات فقال رحمه الله :

ــ حين أغلقت الجريدة .. لأنى لم أستطع أن أنشر فيها ما أريد بسبب الرقابة .. شكوت إلى المرشد هذه الحالة ، إننا لانستطيع أن نوصل صوتنا إلى الشعب لا عن طريق الصحف ولا عن طريق المنشورات .. فأخبرنى بأن مكتب إدارى القاهرة له إمكانيات ويطبع منشورات الإخوان ..

الشهيد : أعدت عليه الاقتراح الذى كنت أقترحه دائماً ، وهو أن على الإخوان المسلمين أن يقوموا بواجبهم فى المطالبة برد الحريات الشعبية ، وبخاصة الضمانات القانونية .. وباعتبار جماعة الإخوان أكبر جماعة فى البلاد ، ومن واجبها ألا تترك قضية أو مظلمة من مظالم الشعب إلا وتتناولها وتدافع عنها وتخرج إلى الطريق .. إلى الناس ، وتذكر لهم أغراضها ، وتقود الحركة الشعبية ..

الدفاع : طريقك أنت فى هذا العهد للمطالبة بالحريات تنظيم مظاهرات شعبية .

الشهيد : المظاهرات الشعبية إحدى هذه الوسائل . ولكن هناك وسائل كثيرة لتنوير الرأى العام .

الخطب المحاضرات .. أحاديث الثلاثاء الأسبوعية .. المهم أن تخرج الجماعة فى نظرى ..

جمال سالم : نرجو السيد الدفاع أن يسأل أسئلة محددة لأنه يظهر الشاهد يحب الكلام الكثير ، ده طبعه ..

لم تطق أعصاب جمال سالم سماع بطل من أبطال الإسلام انتهز الفرصة وأعلن فى بطولة عن موقف دعاة الإسلام وحملته فى عهد الكبت والعسف والقهر والإذلال لرجال الشعب وأبطاله ..

لم تطق أعصاب جمال سالم سماعه وهو يعلم أن ماحل به من عذاب لو أن أقل القليل منه حل بجمال لانقلب إلى الفأر الملتمس للنجاة من مجرد نظرات قط لم يحرك مخالبه ولم يكشر عن أنيابه بعد ..

هذا هو شهيد الإسلام سيد قطب .. وأشهد أننى قد استولت على الدهشة وندم ذلك الضابط الناصرى يهددنى فى افتخار .. لقد علقت سيد قطب على هذا الكرسى ستة أيام . . وبعد دقائق من تعليق دهشت كيف تحمل سيد قطب ستة أيام من تعليق دونه طاقة البشر .. كان نموذجاً من نماذج الإسلام الذين عطروا التاريخ ببطولتهم الفذة وأريجهم الذكى ..

لم تتحمل أعصاب قاضى الناصرية وممثل جانب العدالة فيها سماع سيد قطب ، ولم يكن لأعصاب أمريكا التى ألمح إليها الشهيد ، ولم يكن لأعصاب روسيا التى ارتمى فى أحضانها عبد الناصر من بعد أمريكا ، لم يكن لأعصاب أعداء الله وأعداء أنفسهم أن يستمعوا لأبطال عاشوا بالإسلام وللإسلام .

وكان رد شهيد الإسلام على جمال سالم وهو يمنعه من الاسترسال خشية أن يفضح البطولة الزائفة والعمالة الواضحة والطريق الخاطىء الذى اختاروه وأعانهم عليه من ألغوا عقولهم وأرادوا لكل الشعب أن يلغى عقله .. أجابه سيد قطب .

ـ كاتب .. طبيعى ..

وأى كاتب ، إنه كاتب الإسلام وأصدق ناقد ظهر فى القرن العشرين اختار طريق الإسلام يوقد على جوانبه الشموع ، وأراده أعداء الله طريقاً مظلماً لا يسير فيه حاكم ولا محكوم .. إختار طريقاً يتواضع فيه الحاكم خضوعاً لله . ويزن فيه الشعب حاكمه بميزان قربه أو بعده عن كتاب الله .. « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى » . النازعات .

* * *

ووقف محمد النصيرى ليعلن فى شجاعة عن التعذيب الذى حل به ولم يمهله جمال سالم . فلم يكن التعذيب بعيداً عن سمعه ولا عن بصره ، ولم تكتب الجرائد ولم يذكر عنه شىء فى الكتب الرخيصة التى ينشرها الجهاز الناصرى ، وكان محمد التابعى أحد الذين يحضرون هذه الجلسات التى لم يكن لروح العدل أو لروح الإنسانية بارقة فيها . وكان يكتب فى الأخبار عن لباقة جمال سالم وعبقريته الفذة ، ويهاجم ضحاياه من الذين ساقهم القدر ليقفوا أمام جمال ، لينزل عليهم وابل أسئلته بعد وابل العذاب الذى يحل بهم فى الزنازين ، وفى مكاتب خريجى الغرز الذين أراد عبد الناصر أن يضع على عواتقهم إبادة أطهر الشباب وأنقاه ، ويكتب التابعى عن المتهمين الذين رآهم ولا أثر للتعذيب يبدو عليهم .

والدور الذى أريد للنصيرى ليقوم به يلقى ضوءاً على موقف هنداوى دوير ، فلم يكن الأستاذ محمد النصيرى يعرف هنداوى دوير قبل الحادث بكثير ..

المدعى : هل لك صلة بهنداوى .
النصيرى : أخيراً ..
المدعى : متى كانت آخر زيارة لك لهنداوى ؟
النصيرى : يوم الحادث ..
المدعى : ليه ؟ صف الموقف لآخر زيارة ..
النصيرى : هو كان اتصل بى واداني مسدسين ، إداني الأول وقال جربه فجربته وجدته مينفعش أديته له ، والثانى جربته فى ملاعب كلية الزراعة فضرب طلقة ولم ينفع فأعدته له ، فقال لى : فيه حزام فيه مفرقعات له تأمينين وشرح لى طريقة العمل به ، وقال لى تأخذه وترتكب به جريمة فقلت له لا لا ما أقدرش أشيل حاجة زى دى ..
فقال على العموم أنت مش مكلف بحاجة فخذ المسدس ده وجربه فأخذته وانصرفت ، وفى المساء سمعت الخبر فى الإسكندرية .. وقبض على .
المدعى : لماذا وقع الاختيار عليك بالذات للذهاب لهنداوى ؟
النصيرى : لا أدرى .. أيام طرد محمد نجيب كنت اشتركت فى الحرس الوطنى وخرجنا فى مظاهرة .. ولما طلعنا إلى قصر النيل البوليس أطلق علينا الرصاص وقتل اثنين من زملائنا وثارت ثورة الجامعة فواحد صاحبي اسمه حسين عرفى بهنداوى ..
الدفاع : لماذا اداللك هنداوى المسدس ؟ قال لك إيه ؟
النصيرى : قال لى جربه ..
المدعى : عرفت إن فيه خطة وضعت ..
النصيرى : لا ..
المدعى : والحزام تستعمله إزاى ؟

النصيرى : قال لى تربطه على وسطك وشرح لى طريقة العمل به ،
المدعى : وتروح فين ؟
النصيرى : مقلش ، أنا لما قلت دى حاجة خطرة ، قال على كل حال انت مش حتتكلف بحاجة تنفيذية وأعطانى المسدس .
جمال سالم : أنت مش جربت واحد ومضربش ..
النصيرى : لا ، دا التانى والأولانى ما ضربش خالص ..
جمال : قال لك تراقب مين ؟
النصيرى : قال لى تروح الحفلات وتراقب ، وتشوف مدى استقبال الناس والحماس أد إيه ورحت مؤتمر الموظفين وقت إطلاق الصواريخ ورجعت قلت لهنداوى ..
جمال : القرآن قال إنك تقيم حكومة إسلامية بالقتل ؟
النصيرى : السلاح لطرد المستعمر .. ولازم نكون مستعدين لأن العالم الإسلامى كله مستعمر فلازم نكون جيش إسلامى علشان نموت فى سبيل الله ، وهم عودونا على إعداد أنفسنا لهذا ..
جمال : إنت رديت المسدس الأول والثانى ولكن الثالث فضل معاك ، شلت معك سلاح ليه قبل الحادث ؟
النصيرى : هنداوى قال كده وماكنتش أعرف إيه اللى عايزه ..
وسأله جمال عن فهمه لأغراض مظاهرات الجامعة ..
النصيرى : كان موجود عدد كبير ، وهم قالوا الجيش حيختلف مع بعضه والأحسن أن الجيش يراقب الحكم وييجى ناس فى الحكم يراقبهم الجيش .
وكيل النائب العام : لكن هنداوى اعترف أنه كلفك بأنك تشيل مسدس وتستعد لضرب الرئيس جمال إذا أتيحت لك الفرصة ، لأن الحزام تلبسه ولما تقابل الرئيس جمال توصل سلكين ينسفكم الحزام .

...

النصيرى : هو قال خد الحزام إلى أن نطلباك فى عمل تنفيذى فقلت له أنا ما أقدرش أشيله ..

جمال سالم : ما رأيك فى كلام هنداوى فى أنه قال لك خد المسدس ده عشان تقتل به الرئيس جمال عبد الناصر .

النصيرى : جايز عنده النية دى لكن لم يصرح لى بها وأنا معرفتش منه حاجة ..

جمال : لكن هوه صرح لك بها ..

النصيرى : ماعرفتش منه حاجة ..

الرئيس : هل تعرف محمود عبد اللطيف ؟

النصيرى : لا ..

وبدا واضحاً أن الدور الذى أريد للنصيرى أن يقوم به ، هو أن يلبس الحزام ثم يجد نفسه محاطاً بالمخابرات ، يضطرونه إلى تمثيل الدور الساذج الذى اضطروا إليه محمود عبد اللطيف ويقبض عليه مع إطلاق الرصاص ، فيبدو الاعتداء وكأنه حركة مدبرة ضمن خطة كبيرة رسم لها الإخوان وخططوا لها .

ويظهر تلبيس المحكمة الناصرية مما أريد لإبراهيم الطيب وللنصيرى أن يجاريا تلبيسها .

أعلن النصيرى أنه تعرف على هنداوى عن طريق صديق له يدعى حسين شعبان وأعلن أنه لم يسبق له رؤية محمود عبد اللطيف ..

ولم تسمعنا المحكمة شهادة حسين شعبان(١)، وإنما أسمعتنا شهادة إثنين :

---

(١) قتل حسين فى التعذيب بالقلعة وأعلن أنه هرب . فى نوفمبر ١٩٥٤ صبوا عليه كحولا ثم اشعلوا النار فيه ، وهذه إحدى الوسائل لتحطيم مقاومة الضحايا ، وقبل إطفائها . . فاضت روحه إلى بارئها .

شهادة هنداوى دوير الذى وصفه الرئيس الأول لجمهورية مصر بأنه شخص مصاب بجنون العظمة ، وكان يفكر ويسرح خياله فى المكافأة الضخمة التى سينالها والمزرعة الشاسعة التى سيديرها فى إحدى ضياع أمريكا ..

وشهادة محمود عبد اللطيف المسكين الذى حل به من العذاب ومن إغراء هنداوى له ما ألجأه إلى التسليم . والذى بدأ أقواله باعترافه بأنه مذنب ليكون المتهم الأول عبر التاريخ كله الذى يعترف بأنه مذنب لمجرد رصاص أطلق حوله وهو لا حول له ولا قوة ..

وكيل النائب العام : مين قدم نصيرى لهنداوى ؟

هنداوى : إبراهيم الطيب هو اللى بعته .

إبراهيم : أنا لم أتصل به ..

ولفت نظر المحكمة إلى أن النصيرى كان مطلوباً لاعتقاله فى الجامعة .

هنداوى : هوه جاب لى الطبنجة الثانية واللغم والمدفعين على أنهم كمين يراقبوا ركب الرئيس ..

وكان مما قاله محمود : كان أى أمر أو أى حاجة نسمعها من الإخوان المسلمين نسمعها على أنها حاجة خالصة وطاعة الإخوان طاعة من طاعة الله . دى اللى كنا ماشيين وراها نسلم بكل شىء ..

وقبل أن تنتهى شهادة النصيرى سأله جمال سالم :

ــ هل تعرف أعضاء الجمعية التأسيسية ؟

ــ أعرف بعضهم ..

ــ ناس كويسين ؟

ــ الذين أعرفهم من جهة الشرقية ناس كويسين ..

ــ زى مين ؟

ـــ الشيخ أحمد نار وفارس فريح ..

وانصرف النصيرى مرفوع الرأس بالحق الذى آمن به ، ولا يبالى بما ينتظره فى الزنازين أو فى مكاتب زبانية جمال ، ولسان حاله ينطق بقول الله تعالى : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون .. »

* * *

ونقف دقائق مع الشهيد عبد القادر عودة ..

رأيته يحاضر فى مدرج كلية طب الإسكندرية وامتلأ المدرج بالأساتذة والطلاب ، وكانت الثورة مازالت فتية .. مترابطة متماسكة تنبض بحبها القلوب ، وتلتف حولها النفوس ، وكان عنوان المحاضرة « الحكم بما أنزل الله » تحدث أكثر من ساعتين ، حيوية ونشاطاً ، وإيماناً بالقرآن شريعة ومنهاجاً ، وبلغ ذروة المجد يوم قاد مظاهرات فبراير التى هزت جمال وكادت تعصف بأحلامه ، لو أن نجيب استغل الفرصة ، واستيقظ من سبات غفلته واستسلامه لما يأتى به القدر ..

كان المتظاهرون يحملون الثياب الملطخة بدماء صرعى رصاص جمال وكان الحماس بلغ أشده ، ورفضوا الانصراف من ميدان عابدين وكانوا يحملون عودة ، ورآه نجيب فناداه وصعد الشرفة بجوار نجيب وتكلم وبإشارة منه أخذ المتظاهرون فى الإنصراف ، وكاد الألم يمزق صدر جمال .. إن الزر الذى مازال يحلم به رآه تحت يد عبد القادر عودة .. لقد قرر جمال نهاية عبد القادر عودة فى تلك اللحظة .. فالمتظاهرون الذين لم يصرفهم رصاص زبانيته وصرفتهم إشارة من يد عبد القادر عودة ينبغى أن ينالوا جزاء عقوقهم .

تتبعت موقف الشهيد الكريم فى القضية فما أصابته كلمة تدينه ولا من

الذين أعلنوا نفاقهم ووضح كذبهم ، ووقف يحيي سعيد محمود ، فسلط لسانه على الإخوان كبيرهم وصغيرهم واعتبر سبه قربى يتزلف بها لجمال سالم ، ولكن لسانه لم يأت بكلمة نابية أو خارجة أو فيها اتهام الشهيد عبد القادر عودة ..

تكلم عنه الشهيد إبراهيم الطيب ومن قوله :

عبد القادر عودة باعتباره رجل ثقة وسبق أن اشترك فى اللجنة القانونية الخاصة بنقد الاتفاقية ..

جمال سالم : نقد الاتفاقية .. ؟ ؟

إبراهيم الطيب : مشروع الاتفاقية ، بحثت اللجنة النصوص وقدمت الاعتراضات على الأسس الموجودة ..

جمال : كلامه قضية مسلمة ..

إبراهيم الطيب : أعتقد أن رأيه كان سليما ..

تحددت إقامته رحمه الله قبل حادث المنشية بيومين .. وفى يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤ وقف عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام أحد تلامذة مدرسة الأحقاد الناصرية ويأتى فى أقواله الركيكة .. عبد القادر عودة مختص بتنظيم المظاهرات ، ولقد قال هذا يوسف طلعت .. وقال إنه قال إن هو بيعرض الخطة على المرشد . قال تقدروا تعملوا مظاهرات سلمية تقوم بها الطوائف ويكون فيها مطالب ، وتقدم عريضة بها .. على شرط تعرض الفكرة على عبد القادر عودة .. وقال إبراهيم الطيب إن عبد القادر عودة سيعرضها على لجنة مكتب الإرشاد ..

يقول عبد القادر عودة : إنه يستنكر الجريمة ويستنكر محاولة الاعتداء ، وده كلام مش ممكن أقبله ولا يمكن تصوره ، ويأبى الله إلا أن يسوق لنا الدليل لأنه مع المخلصين عمره ما نصر مراوغ ولا منافق .

حمال سالم : ممكن قوى ينصرهم علشان يأخذهم بما يفعلوا وفيه حديث أظن أو آية فى هذا المعنى ..

وينطق الشهيد عبد القادر عودة الآية الكريمة :

« حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة .. »

واستمر المدعى فى أقوال لا تجوز ولا تقبل فى عرف من لم ينالوا قسطاً من التعليم ، شتائم وسب ونعت بما يدين المدعى والمحكمة معاً .. إلى أن قال موجهاً كلامه للشهيد : وأنت تترافع أمام المحاكم بالقوانين الوضعية ، وتطالب فوائد لحد موكلك فى قضية كمبيالات .

الأستاذ عبد القادر عودة : لا لم أطلب فوائد ..

حمال سالم : أنت قاعد فى بيتكم ؟ قاعد فى مصطبة ؟

الأستاذ عبد القادر ، بأنبه بس علشان الواقعة .

حمال : تسمح تقفل بقك وتقعد ساكت ..

وقف الشهيد رحمه الله ليقول :

حضرات القضاة : أنا متهم بتهمة لو صحت لكنت أنا الجانى وأنتم المجنى عليهم ، ولست أعلم أن جانياً ارتاح لأن يحاكمه مجنى عليه .

حمال سالم : ليس لك الحق فى هذا الاعتراض مطلقاً .

الشهيد : أنا لا أعترض ..

حمال : ولا تلميحاً ...

تقدر تتكلم مضبوط اتكلم ما تقدرش نجيب لك محامى ..

الشهيد : حضرة ممثل الادعاء من ضمن الأدلة التى يقيمها على ، أن هنداوى دوير يعمل فى مكتبى .. وهنداوى دوير لم يعمل فى مكتبى يوماً ولا ساعة ما ..

حمال سالم : أنت ضدك ادعاءات ، شايف الادعاء بيطالب بعنقك تقوم تمسك هنداوى بيشتغل فى مكتبك أولا .

الشهيد : أنا أقول لحضراتكم علشان ..

جمال : أنا ما أحبش المتهمين المحامين تحب نجيب لك محامى ؟

وظل تناطح جمال سالم طول المرافعة :

جمال سالم : إحنا كفرة وأنتم بس اللى تعرفوا الإسلام ..

عودة : من قال هذا ؟ إن الإسلام دين الله ليس دين أشخاص .

جمال : وأنت مالك بنا إحنا كفره ..

عودة : الادعاء يأخذ على كدليل للاتصال بالنظام أننى ترافعت عن عبد المنعم عبد الرؤوف .. وكان معى عدد كبير من المحامين .. كونى أترافع عن عبد المنعم عبد الرؤوف دليل على أنى متصل بالنظام ؟دليل لا أستسيغه ، وأخشى أن الدكتور هاشم يقال إنه اشترك فى النظام لأنه ترافع عن ناس ، فى النظام .

جمال سالم : بلاش مسخرة ومهزأة .. احترم نفسك ..

وفى النهاية قال وكيل النيابة : التحقيقات الخاصة بالخطبة التى قالها فى المظاهرة جت دلوقت ، وقرأها :

« حدث اليوم أن أطلق الرصاص على طلبة الجامعة وهى مظهر من مظاهر الدكتاتورية .. وإن الإسلام وراء القضبان .. وإن المسلمين معتقلين ومسجونين فأفرجوا عنهم » .

جمال سالم : أنا حافظها من يوم ٢٨ فبراير .. حافظها ومش مضطر أنى أسمع كلامه وأجيب المحضر وأقروه . وكان يحفظها أكثر من جمال سالم رجل يتوارى فى حجرة قريبة من هيئة المحكمة ويستمتع بشططها ..

كان جمال عبد الناصر يحفظ كلام عودة وموقف عودة واستجابة الجماهير له بعد أن عجز عن تفريقها رصاصه والزر الذى يحلم به .

هذا هو عبد القادر عودة وإخوانه الأبطال وصفهم جمال وأبواقه بالنفاق . وحسبك بنفاق عهد هذا هو نصيبه من العدل وتلك مكانته من الطغيان . ويقول زعيمه « ارفع رأسك يا أخي فقد انقضى عهد الاستبداد » .

قالها دون أن تهتز أعصابه ، وتكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا .. !

ولن أقف مع هنداوى دوير كثيراً فأقل أقواله تدينه بالعمالة لجمال وتفضح اقتناعه بما وعده به واطمئنانه لطريق المسرحية . ومصيرها السعيد .

هنداوى دوير المحرض الأول كما سماه المدعى ، قام بتسليم نفسه بعد الحادث مباشرة ومنذ هذه اللحظة إلى الدقائق التي وجد نفسه مسوقاً إلى المشنقة وهو يصيح : ضحكوا على .. خدعونى .. ضحكوا على .. مش ده اتفاقنا مكانش ده الاتفاق .. مش ده اتفاقنا

بين اللحظتين باع نفسه للمسرحية التي أعدها جمال لطحن دعاة الإسلام ، والقضاء على زعمائه والأكفاء من رجاله .. واختصر من كلام هنداوى عبر المحاكمات :

في الأشهر الأخيرة انقسم الإخوان لثلاثة أقسام :

- أحدها يؤيد الثورة وعلى رأسه إخوان مثل الأستاذ البهى ..
- وفريق آخر مائع لم يحدد موقفه وعلى رأسه خميس حميدة ..
- والفريق الثالث يرى أن الثورة ماشية في طريق يعارض الاتجاه الإسلامى .

على أثر هذا فقدت الهيئة التأسيسية احترامها ..

وإزاء هذا الاضطراب سيطر على الدعوة بعض أفراد غير رسميين

زى إبراهيم الطيب .. وأصبحت الأجهزة الإدارية معطلة ماعدا الجهاز الخاص .. الجهاز السرى فى الإخوان المسلمين ..

وأنا أرجو بهذه المناسبة أن يكون آخر عهد الإخوان المسلمين بالنظم السرية ، وأن تكون هذه الطلقات الأخيرة آخر طلقات تسدد إلى صدر مصرى بهذه الصورة الأسيفة التى آسف عليها أشد الأسف . .

قبل الحادث بحوالى خمسة عشر يوماً أو أكثر قليلا جاءنى إبراهيم الطيب وقال . « إن خطتنا هى أن النظام قرر أنه هو يعتدى أولا على الرئيس جمال عبد الناصر بعد كده يتخلص من الضباط الأحرار بأى صورة سواء بالاعتقال أو بالخطف » .

وقال لى إنه انتخب محمود عبد اللطيف ليقوم بإطلاق الطلقات الأولى ، وهى الاعتداء على الرئيس جمال عبد الناصر ..

وفعلا قلت لمحمود هذا وسلمته المسدس والطلقات ..

وأنا فى الطريق عرفت أن محمود اعتدى على الرئيس ..

نزلت إلى مركز إمبابة وسلمت نفسى للبوليس .. ! !

الأستاذ البنا كان يضم إلى الجمعية التأسيسية أناساً لا صلة لهم بالإخوان المسلمين فمثلا جه واحد من النيابة خرج برشوة وبصينا لقيناه عضو فى الجمعية التأسيسية . . (هكذا) .

وإبراهيم الطيب قال إن فيه اتصال بالرئيس محمد نجيب . . وبهذه المناسبة ، كنت عند المرشد ضرب التليفون ، فواحد من الإخوان لا أتذكره الآن رد ولما سألناه قال ده الرئيس محمد نجيب بيسأل على المرشد وعايز يكلمه ضرورى . .

قال الإخوان إن الثورة تتجه بالبلاد بعيداً عن الإسلام ولابد أننا نجيب حكومة أخرى تتجه نحو الإسلام ولا يحكم الإخوان لسببين :

الأول : أن بعض الإخوان لايمثلون الإسلام .

والسبب الثانى : **أن البلاد غير مستعدة لتقبل النظم الإسلامية ككل لايتجزأ . .**

النظام انحرف عن أسسه من أيام حسن البنا واتجه إلى اغتيالات معينة..

الإسلام حدد خمس حالات للقتل ولا يجوز قتل المسلم إلا فى حدودها وليس منها طبعاً **فكرة الاغتيال السياسى باعتبار أن القتل السياسى قتل عمد وصاحبه يدخل النار . .**

الإسلام يأمرنا بالسير وراء الحاكم فى أى اتجاه كما يأمرنا بأن نصلى وراء الإمام حتى ولو علمنا أنه فاجر .. (هكذا) .

من يصدق أن هذا الكلام قاله المحرض الأول ؟ ؟ اسمعه أيضاً :

المدعى : إيه رأيك فى الأسلوب الذى اتبع فى القتل ..

الشاهد : هذا الأسلوب من حيث شرعية الإسلام محرم ومحرم على الإطلاق ولما وافقت عليه كان من **تقاليد الجماعة فى أيام الأستاذ البنا القيام بمثل هذا العمل . .**

واتسع صدر جمال سالم لهنداوى دوير يدافع عنه ، ويفتح له أبواب أحاديث ولا يسمح لأحد بتكذيبها ..

هنداوى دوير زعم أنه كان يتدرب فى مكتب الشهيد عبد القادر عودة ، وحين وقف عودة ليكذب هذا الادعاء هاجمه جمال فى شراسة أنا ما بحبش المتهمين المحامين تحب نجيب لك محامى ؟

هنداوى دوير يقول : أنا كمحامى أدافع عن المتهمين لا أن أقف موقفهم .

ويقول حمادة الناحل : محامى إيه .. يجب أن أدافع عن كرامة مهنتى ..

ويقول جمال سالم : الشاهد يقول اللى عايزه .. والدفاع لازم يكون باله طويل ..

ولاحقه حمادة الناحل ليكشف تفاهة المسرحية فسأله :

ـ قلت : إنه كان من المفروض بعد الفوضى التى تعم ، أن الرئيس محمد نجيب يهدئ الشعب بكلمة ثم بعد ذلك تتولى الأمر حكومة أخرى ، من هم أفراد الحكومة الأخرى التى كانت فى ذهنكم كهيئة ترونها أداة انتقال من حال إلى حال .. وقد قلت إن الإخوان ما كانوش صالحين أو الظروف مش ممهدة ..

هنداوى : بس عدالة المحكمة توافق على هذا السؤال ؟

وبهذه الإجابة كشف هنداوى إحساسه بأن الدفاع سيكشفه ويعريه ..

جمال سالم : أنت شاهد ولك الحرية الكاملة فى الإجابة أو عدم الإجابة .

قال جمال سالم ذلك وهو الذى قال بنفسه للشهيد إبراهيم الطيب :

ـ أنت مجبر بحكم القانون أن ترد على أى سؤال فى أى ناحية من النواحى ..

لم يكن الأمر مجرد كيل بكيلين مختلفين ولا مجرد المثل الشائع « هبلة ومسكوها طبلة » لم يكن هذا ولا ذاك . ولكن هنداوى دوير كان شاهد إثبات حججه من قش لا يصمد أمام نفخة من محام له فراسة كفراسة حمادة الناحل ، وتعرت المسرحية تماماً وظهر ذلك لمن لديه مسحة من عقل أو ألقى السمع وهو شهيد .

ظهر ذلك حين سأله حمادة الناحل سؤالا اهتزت له أعصابه ، ولم يكن بد من وقفة صارمة لجمال سالم ..

سأل حمادة : قلت إن بروجرامكم منذ أن تورط الجهاز السرى فى الأخطاء كان إصلاح هذه الأخطاء . فهل كان يعاونكم على تحقيق هذا الهدف الاعتداء أولا على الرئيس جمال عبد الناصر وثانياً على أعضاء مجلس قيادة الثورة ثم ثالثاً على الضباط الأحرار .. هل هذا مما يوصلكم لهذا التطهير ؟

هنداوى : السؤال ده متناقض خالص ..

جمال سالم : السؤال ده ممكن يكون خارج الموضوع ..

حمادة الناحل : وهو كذلك يا أفندم .. أنا مكتفى بهذا القدر ..

سؤالان يشفعان لحمادة الناحل ما تورط فيه بعد ذلك من هجوم على المرشد وأطهر الرجال وأنقاهم ، وكان حمادة الناحل يطمع فى إنقاذ رقبة محمود عبد اللطيف ، وكان يظن أن أقنعة إبليس يكفيها سب الشرفاء ، ولم يكن يظن أن جمال عبد الناصر لا يكفيه ولا يقنعه أن يقود ثورة بيضاء وإنما أرادها منذ البداية حمراء ، أراد مصر ضيعة له يضغط على زر فتتحرك ويضغط عليه فتتوقف .. ولله فى خلقه شئون ..

ـ غفر الله لهنداوى دوير .. أراد لنفسه أن يكون بطلا ، وأراد جمال له أن يكون كبش الفداء ..

• • •

مع خيوط المسرحية

لم تكن مسرحية المنشية وليدة وقتها ، وإنما سبقها إعداد وتسخين ، الإذاعة والصحافة تنشران ما يريده جمال ، وأصبح الإعلام كله فى قبضته والمتتبع للصحافة والإذاعة يراهما مشغولتين بأمرين :

الأمر الأول : جمال عبد الناصر مبعوث العناية الإلهية لينتشل مصر من التخلف والاستعمار والفقر والضعف ..

والأمر الثانى : تسديد السهام لمن يناوئ له رأياً أو ينتقد له تصرفاً ..

وقال له المرشد حين زاره جمال فى الأيام الأولى للثورة : سنعتبر كم حركة إصلاحية .. إن أحسنتم فأنتم تحسنون للبلد وإن أخطأتم فسنوجه لكم النصيحة بما يرضى الله .

ولا يختلف اثنان فى أن جمال عبد الناصر ممن يصدق فيهم قول الله تعالى : « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم .. »

وقول محمد نجيب فى كتابه « شهادتى للتاريخ » : اعتقلت ضباطاً من مختلف الرتب بعضهم خرج ليلة ٢٣ يوليو معرضاً حياته للخطر ، كانت المعلومات التى وضعت أمامى تؤكد أن هناك عملية مدبرة لاغتيال أعضاء مجلس القيادة ..

وبلغنى من اليوزباشى محمد أحمد رياض ، أنه شاهد البكباشى حسنى الدمهورى وهو يعذب تعذيباً شديداً أمام لجنة التحقيق لحمله على الاعتراف بأنه كان يدبر مؤامرة ضد مجلس القيادة ..

ورأس جمال عبد الناصر المحكمة وحضرها جميع أعضاء مجلس

القيادة عدا يوسف صديق وأنور السادات وخالد محيي الدين وعبد المنعم أمين وأصدرت حكمها بالإعدام .

وقال أعضاء مجلس الثورة . . إن عليهم الدفاع عن أنفسهم بمختلف الوسائل ..

وبلغني أن خالد محيي الدين وثروت عكاشة غير راضين عن تصرفات جمال عبد الناصر الذى بدأ ينفرد بنفوذه ويشكل قوة خاصة داخل المجلس .. ويطلق جمال سالم للهجوم على كل من يعترضه بينما هو صامت لا يظهر انفعالا ..

وعلمت أن الوزراء الذين أعلنت موافقتهم على الاتفاقية بالإجماع لم تتح لهم فرصة إبداء الرأى .. وتصرف جمال قبل إتمام تلاوة الاتفاقية عليهم ..

كانت المعارضة الشعبية تتزايد .. ولم تكن هناك قوة منظمة فى الساحة سوى الإخوان المسلمين الذين ظهرت معارضتهم سافرة ..

تنظيمات هيئة التحرير خلت من الشخصيات السياسية النظيفة ولم يعد يتهافت عليها إلا نوع جديد من المتسلقين والانتهازيين ..

كان الشعب ينتظر فى تأهب وغضب إلى قرارات تحقق له حريته ، وكان هذا يؤرق جمال عبد الناصر الذى تهاوت سمعته بين الناس ..

وخلت الساحة تقريباً للمتآمرين .. ولم يدرك الناس أن حبال المشنقة قد امتدت لتحيط بأعناقهم ..

كنت واثقاً أن قوات الجيش الموالية لمجلس الثورة يمكن أن تتحرك لإطلاق الرصاص على أية هيئة إذا تعرضت خطتهم السوداء للفشل ..

كل هذا كتبه نجيب فى كتابه « شهادتى للتاريخ » .

وأكتفى بعد ذلك بالشهادة التى تمس موضوع كتابى من قريب :

وصلت المعارضة الشعبية لاتفاقية الجلاء ذروتها ، وحدثت

محاولة اعتداء على حياة عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية ..

وأبرقت إليه فوراً مستفسراً عن صحته وأرسلت إليه مندوباً .. وفوجئت بأن الخبر لم ينشر فى الصحف .. ولكن معرفتى وخبرتى بأسلوبه جعلتانى أقول له :

ـ عبثاً تحاول تلويث سمعتى بهذه الأعمال الإرهابية . فإن يدى كانت وستظل نظيفة وليست مثل بعض « الأيدى القذرة » التى تعمل فى الظلام ..

وخرجت واثقاً أن مؤامرة جديدة تدبر ضدى .. وكان هذا هو آخر لقاء بينى وبينه .. ا هـ . والمتصفح لصحف اليوم التالى سيجد الصحف تنشر الاستنكار والتأييد لكل من هب ودب ولا تتسع تلك الصحف لنشر استنكار رئيس الجمهورية .. علماً بأن دوافع المؤامرة ومكان نجيب منها لم يكن قد اتضح إن كان هناك مؤامرة ولنجيب موقف فيها .. حين قال عبد الناصر لفريد عبد الخالق « أنتم عصاة » لم تكن مجرد تهديد ، وإنما بدت البغضاء من فمه وما يخفى صدره كان أكبر ..

وحين اعتقل المرشد والإخوان فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٤ وحل الجماعة كان يظن أن الأمر لن يزيد عن رد فعل حله للأحزاب من قبل ولكن مظاهرات فبراير اجتاحته وزلزلت أحلامه ، فأفرج عن المرشد والإخوان وأعاد الجماعة إلى حين ..

وحين جاءت الاتفاقية وقبول جمال لها بما فيها من شروط رفضتها الأحزاب من قبل ، وبما فيها من ضياع للسودان وقد رفضته الأحزاب من قبل .. قدم الهضيبى النصيحة لجمال وأعلن رأيه علانية ولم يسمح له بإعلان رأيه ، فطبع منشورات يعلن بها رأيه مجرد إعلان رأيه ..

وسلط جمال عبد الناصر جرائده لتنزل حملة إرهاب للإخوان وافتراء عليهم ، واكتفى بإشارة لعينة منها استنكار موقف الإخوان ..

ـ حدث بعد قيام الثورة أن بدأ الاستغلاليون والرجعيون فى تشكيك الشعب فى مبادئ الثورة وأهدافها ولكن الشعب فطن لهذه الألاعيب .. الأخبار ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٥٤ .

الهضيبي أقسم أن يسقط حكومة عبد الناصر ..

وراديو إسرائيل يذيع النبأ عدة مرات نقلاً عن جريدة صهيونية ..

عنوان الأخبار بالمانشت الأحمر ٤ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤ :

إحالة خطيب مسجد طنطا إلى المحكمة العسكرية العليا بتهمة التحريض على قلب نظام الحكم .. واصفاً الحاكمين بأنهم ظالمون وفاسقون وكافرون .. الأخبار ٥ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤ .

ـ احتفال الأزهر باتفاقية الجلاء ..

الرئيس يقول : إننا نطالبكم بأن تحملوا رسالة المحبة والدين والإخاء والمعرفة ، إن الوطن يطالبكم بأن تنشروا بين ربوعه ، أن الدين محبة وليس تعصباً ولا إرهاباً ، يطالبكم أن تقولوا : إن الدين تعاون لا فرقة ولا تعصب . ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤ الأخبار .

وفى مساء نفس ذلك اليوم كان جمال عبد الناصر يقف فى شرفة هيئة التحرير بالمنشية ، وتأخر ظهوره عليها خمس عشرة دقيقة انتظر فيها مجيء درع واقية جاءت تواً من أمريكا ، وساعده فى لبسها عبد الرحمن مخيون مدير مكتبه ..

وتصور الأخبار فى اليوم التالى ٢٧ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤ الحادث وأنقله منها كما جاء بها ..

محاولة اغتيال جمال عبد الناصر ..

إطلاق ٨ رصاصات عليه وهو يخطب فى الإسكندرية . .

نجاة الرئيس والقبض على الجناة . .

جمال عبد الناصر يخطب مرتين عقب الحادث . .

الشعب يقبض على الجناة . .

حاول ثلاثة شبان من الإخوان اغتيال جمال عبد الناصر . .

أطلقوا عليه ثمانى رصاصات وهو يخطب مساء أمس بالإسكندرية لم يصبه الرصاص . . استمر يخطب . . الجناة أطلقوا الرصاص فى وقت واحد . .

لم يترك جمال المنصة . . صاح فى الجماهير ، فليبق كل منكم فى مكانه أيها الرجال ، فليبق كل منكم فى مكانه . . دمى فداء لكم . . حياتى لكم . دمى منكم ولكم . . دمى فداء لكم . . أنا لست جباناً ، أنا أقبل الموت من أجل حريتكم من أجل كرامتكم من أجل عزتكم . .

كان صوته رهيباً مليئاً بالشجاعة والتأثر واستمر واقفاً أمام الميكرفون والرصاص يتناثر من حوله وهو يقول :

« أنا جمال عبد الناصر لا أخشى الموت . . »

والمتهمون هم :

محمود عبد اللطيف ويعمل سباكاً بامبابة ويبلغ من العمر ٣٥ عاماً ، وقد ضبط متلبساً بإطلاق الرصاص ، فقد هجم عليه العسكرى إبراهيم حسن الحالاتى وهو من بوليس باب شرقى وكان يبعد عن المتهم بأربعة أمتار ، وقال المتهم فى التحقيق إنه حضر أمس الأول إلى الإسكندرية لحضور الاحتفال واعترف بإطلاق الرصاص . وقال فى أول الأمر إنه أطلق الرصاص على سبيل الابتهاج باعتبار أنه محارب قديم فى فلسطين ، وقد أنكر صلته بالمتهمين الآخرين ، ولكن دلت

التحريات على أنهم كانوا يجلسون جميعاً على مقهى قبل الانتقال مباشرة إلى مكان الاحتفال وعثر فى جيبه على رصاص من نوع نفس الرصاص المستعمل كما تبين أن المسدس الذى استعمل من طراز برونتج. وهو ينتمى لجماعة الإخوان المسلمين من عام ١٩٣٨ .

والمتهم الثانى : محمد عامر حماد

والمتهم الثالث : محمد إبراهيم دردير

والمتهم الرابع : الحسينى السيد عزام

• • •

كيف وقع الحادث :

قال جمال : بدأت كفاحى فى هذا الميدان ، ميدان المنشية فى سنة ١٩٣٠ خرجت وأنا طالب صغير بمدرسة رأس التين أنادى بالحرية والعزة والكرامة لبلادى لأول مرة فى حياتى ، والآن وأنا فى هذا الميدان لا أستطيع أن أعبر عن سعادتى وشكرى لله ، من هذا الميدان بدأت أكافح مع من كافح من أبنائكم واستشهد من إخوانكم ، وها أنا أحتفل فى هذا الميدان بعيد الجلاء عيد العزة والكرامة . .

وهنا دوت ثمانية رصاصات كلها متجهة إلى جمال .. وصاح الناس أمسكوه .. أمسك اللى ضرب امسكوه .. الأخبار ٢٧ - ١٠ - ١٩٥٤

وكان لصلاح الشاهد عمل يعمله ، حين سمع دوى الرصاص وهو بالقاهرة بجوار المذياع .. ذهب لأسرة عبد الناصر ليطمئنها على البطل الذى لن يموت حتى يحقق لمصر الحرية والعزة والكرامة .

وكان هناك إمعة آخر يقبع فى القاهرة ينتظر سماع صوت الرصاص لينطلق على رأس طغمة خلت من السياسة والنظافة كما أسماها نجيب ..

انطلق علوى حافظ وانطلقوا معه يصبون حقدهم وينفذون أوامر سيدهم ..

انطلقوا يحرقون المركز العام ويأتون على أثمن مكتبة إسلامية فى مصر .. الدار التى خرجت دعاة للإسلام ، العالم كله أحوج ما يكون إليهم ، فهماً للإسلام وإيماناً به ودعوة إليه ..

وفى أخبار ٢٨ - ١٠ - ١٩٥٤

حرق المركز العام للإخوان المسلمين ..

الجماهير تهجم على المبنى وتحرقه عن آخره ..

الشعب يستنكر الجريمة ويحيى الرئيس على طول الطريق ..

الدم الذى سال على صدر الرئيس ..

الرصاص مر على بعد ٢٥ سنتى من جمال ..

تتابعت الرصاصات واستمر جمال ثابتاً وواقفاً ومتجهاً إلى الجانى . فقد وصف المنظر الذين وقفوا بجوار جمال على المنصة وقت الحادث وقالوا إن الصوت الذى سمعه الناس فى تسجيل الإذاعة يقول أمسكوه هو صوت جمال ..

فقد أشار بيده نحو الجانى وقال هذه الكلمة .. وزاد فى كهربة الموقف أنه كان فى جيب جمال الأعلى قلم حبر أحمر .. وأثناء جذب جمال وتخلصه من أيدى زملائه انفتح صمام القلم الأحمر وسقط الحبر الأحمر على صدر جمال ..

ولم يشعر جمال إذا كان الرصاص قد أصابه أم لا ، فقد حدث أنه عندما جرح فى فلسطين لم يعرف أن الرصاصة قد استقرت فى جسمه ..

وشهد الذين رأوا الجانى واقفاً يطلق الرصاص أنه يجيد التصويب وأنه متمرن على إصابة الهدف ..

وجاء فى أخبار اليوم ١٩٥٤/١٠/٣٠ .

جمال يخطب فى ربع مليون عامل :

لن نقبل أن تسير ثورتنا عرجاء ..

إننا إن لم نستطيع أن نسير بثورتنا بيضاء فستكون حمراء .. إننا نفضل أن تكون ثورة حمراء على أن تكون ثورة عرجاء ..

وجاء فى نفس العدد كلمة الباقورى :

رأيت الجانى يطلق الرصاص .

دوى صوت الرصاص .. رأيت بقعة حمراء على صدر جمال فتصورت أن الرئيس أصيب فى قلبه ..

يالها من شهادة يا باقورى ، حاولت أن أجد أثراً لكلمتك لأنقل منها قصة الصياد التى مهدت بها لكلمة جمال فلم أجد لها أثراً فى أية صحيفة .. كنت أود أن أكتبها بجوار شهادتك ولكن الصحافة أريد لها أن تهتم بجمال وتتجاهل الذين أعانوه ..

وجاء يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٤ وانعقدت أولى جلسات محكمة الناصرية ورئيسها جمال سالم ، وقدم إليها محمود عبد اللطيف ، ولم نسمع إشارة واحدة عن الثلاثة الذين اشتركوا معه ، والذين أطلقوا الرصاص فى وقت واحد ، ولا يصح فى العقل أن يترك رجل واحد يطلق ثمانى رصاصات والمكان مزدحم بآلاف المشاهدين الذين جلبتهم عربات الحكومة من كل مصنع ومن كل مكان ، ولم يكن هناك موضع قدم خال وخاصة فى الصفوف الأولى التى ذكرت الأخبار أن محموداً ورفاقه كانوا يجلسون فيها .. الصفوف المخصصة لحملة تذاكر الدعوات ..

فكيف تمكن من الدخول إليها والجلوس فيها ، وإطلاق ثمانى رصاصات منها ، والزحام لا يسمح لامرىء بإخراج منديل من جيبه فضلا عن إخراج مسدس وإطلاق ثمانى رصاصات منه ...

وبعد أيام من حادث المنشية المشئوم نشرت جرائد عبد الناصر أن عامل بناء يدعى « خديوى آدم » حضر من الإسكندرية إلى القاهرة سائراً على قدميه وسلم الرئيس المسدس الذى استعمله الجانى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

وهذا هو المسدس الذى قال هنداوى دوير أنه هو الذى سلمه له إبراهيم الطيب ، وأنكر البطل إبراهيم الطيب ، ولم تكلف المحكمة نفسها سؤال « خديوى آدم » لكيلا تعرضه للدفاع ليكشف زيف قصته وقصة مسدس وجده من دون خلق الله ، والذى اجترأ على حمله من الأرض فى الوقت الذى قذف به الجانى ليتخلص منه ، والعمى الذى أصاب كل الذين قبضوا على محمود وشركاه ومعهم عسكرى البوليس إبراهيم حسن الحالاتى ومئات ، إن لم تكن ألوف رجال المخابرات المنبثين فى كل صف وفى كل شبر من ميدان المنشية الفسيح ..

وأخيراً سيره على قدميه إلى القاهرة ولماذا لم يقابل الرئيس بالإسكندرية ما دامت مقابلة الرئيس ميسورة ومأمونة العاقبة أو مادام خديوى آدم على ثقة من أن جمال عبد الناصر من السذاجة بحيث يصدق هذه القصة الخرافية . قصة مسدس ألقاه الجانى .. وحمله خديوى آدم وخرج من الجموع ، كما تخرج الشعرة من العجينة وسار به من الإسكندرية إلى القاهرة ، ودق باب عبد الناصر ، فقال من الطارق فقال : أنا حامل الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا .. !

ولم تسأل المحكمة العسكرى إبراهيم الحالاتى ، لأنه لو سئل لجاءت أقواله مناقضة لما أريد للمسرحية أن تسير به ..

وتجاذبنا أطراف الحديث أنا وأخ مسلم سمح الوجه ونحن بالمسجد

الحرام ، وبادلنى الحاج الكريم الرأى وسألته عن موطنه فعلمت أنه لواء بوليس متقاعد من مصر ، وتطرق الحديث إلى أمور والحديث ذو شجون ..

وجاء ذكر مسرحية المنشية فقال علمت بأمر عسكرى البوليس وعلمت أنه قبض عليه حين نازع رجال المباحث شرف القبض على الجناة ، وظن أنه سينال مكافأة على جليل العمل الذى قام به . . ولكنه وجد نفسه فى قسم المنشية فى العزل وأردت أن أستوثق من الخبر فذهبت إلى قسم المنشية ، وسألت الضابط النوبتجى عن المحبوسين وسألتهم واحداً واحداً عن تهمة كل واحد منهم ، وسألت العسكرى فقال فى انفعال : أنا الذى قبضت على الجناة وأمسكت بالمسدس فغلبونى ، أخذوا المسدس منى ووضعونى فى هذا المكان ..

وقلمت المحكمة محمود عبد اللطيف ليقول أنا مذنب ومادام قد اعترف بأنه مذنب فلماذا نسأل خديوى آدم ولماذا نسأل إبراهيم الحالانى والأسماء التى ذكرتها الجرائد وتناقلتها الصحف العالمية وعلم بها القاصى والدانى ؟ ووقف البكباشى محمد التابعى والمدعى .

وقف البكباشى المذكور ليقول : سألنا المتهم إذا كان عنده محام فقال إن مفيش عنده محامى .. وأمر تشكيل المحكمة لا يحتم وجود محامى ..

وقال أيضاً : المتهم قال كل حاجة فى التحقيق واعترف بارتكاب الحادث وقال عن المحرضين له وعن طريقة التدبير وكل التفصيلات

وناقشت المحكمة محمود عبد اللطيف وسأله وكيل النيابة :

— رأيك إيه فى معاهدة ١٩٣٦ أحسن أو الاتفاقية أحسن ؟

محمود : معاهدة ١٩٣٦ انتهت طبعاً ..

جمال سالم : أفتكر بلاش مناقشة المعاهدات إحنا مابناقش عبد الحميد يلوى وبناخذ رأيه فى الموضوع ..

المدعى : ما تعرفش الخطة .. انت رايح تقتل الرئيس متفكرش تعمل إيه علشان تهرب ؟

محمود : لا مفكرتش وهنداوى قال لى الحرس بعد كده سيطلق عليك النار وتموت .

هنداوى دوير ، استغل حماس محمود وأعطاه مسدساً لابد أن يكون كمسدس محمد النصيرى لا يصلح لصيد العصافير فضلا عن أن يصطاد به جمال .. وجد محمودنفسه بين رجال المخابرات يفرضون عليه الخطة التى يريدونها هم ..

وجاءت شهادة على نويتو مكذبة لهنداوى دوير وفاضحة لكلاب البوليس فى الزنازين وكلاب البشر فى مكاتب التحقيق .

قال على نويتو : كنت الرديف لهنداوى دوير ، وزعم هنداوى أن الجهاز السرى يتكون منه ومن محمود فقط فى إمبابة واقتضى هذا أن يمدوه بالنصيرى .

وحين قال وكيل النيابة له : أنت قلت فى التحقيق عن أهداف الجيش الإسلامى هى مقاومة الحكومة التى لا تحكم بالقرآن . وفعلا جابوا أسلحة عند عبد الحميد البنا .. وجابوا لكم خرائط لمدينة القاهرة .. وقلت إن الشعب يقوم بثورة لإسقاط الحكومة وقلب نظام الحكم مش ده كلامك ..

على نويتو : ده مش تمام زى ما بتقوله .

جمال سالم : ده القرآن اللى اتعلمته .

وبتمضى على أقوال قبل ما تقراها أولا ؟

على نويتو : أنا يا أفندم ماقريتش حاجة .

جمال سالم : ليه ما مضيتوش على شيك بخمسة آلاف جنيه ؟

وكيل النائب العام : يا ريت يا أفندى ..

وتجاهلت المحكمة شهادة محمد نجيب كتجاهلها شهادة العسكرى إبراهيم الحالانى .

رئيس الجمهورية كعسكرى البوليس فى نظر جمال عبد الناصر صاحب الزر السحرى العجيب .. هذه هى المحكمة ويالها من محكمة ..!!

وذلك هو القاضى وياله من قاض .. !!

وتلكم هى الحرية والعزة والكرامة ورفع الرءوس التى تغنى بها جمال .. وصدق الله :

« وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » .

وقديماً قال المتنبى :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

صاح هنداوى دوير وهو يقترب من حبل المشنقة : ضحكوا على خدعونى .. مكانش ده اتفاقنا ..

ودعا عبد القادر عوده ربه « اللهم اجعل دمى لعنة على جمال عبد الناصر ومن عاونه » .

وقال إبراهيم الطيب :

فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا .

ودعا يوسف طلعت : اللهم سامحنى وسامح من ظلمنى ..

• • •

وبعد موت جمال عبد الناصر أرسل الهضيبى وهو فى سجنه للنائب العام يطلب إعادة محاكمة الإخوان المسلمين ، وجاء أحد رجال المخابرات يسأل الهضيبى عن الطلب الذى تقدم به للنائب العام ..

وقال الهضيبي رحمه الله « ليس لى عند المخابرات طلبات أكلفهم بها » إنما كتبت إلى النائب العام وليس للمخابرات .. رحم الله الهضيبي فقد كان يطمع فى محاكمة نظيفة يعرف فيها كل واحد قدره .

كان شجاعاً وأشاعوا عنه الجبن ، وكان قوياً وأشاعوا عنه الضعف ، وكان مؤمنا صادقاً ووصفه شياطين الإنس بالنفاق ..

وأكتفى بنشر فقرات من خطاب أرسله لعبد الناصر وهو فى عنفوان جبروته :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد

فإنى مازلت أحييك بتحية الإسلام ..

ومازلت ترد على التحية بالشتائم واتهام السرائر واختلاق الوقائع وإخفاء الحقائق ، والكلام المعاد الذى سبق لكم قوله والاعتذار عنه ، وليس ذلك من أدب الإسلام ولا من شيم الكرام ، ولست أطمع فى نصحك بأن تلزم الحق فذلك أمر عسير وأنت حر فى أن تلقى الله تعالى على ما تريد أن تلقاه عليه ، ولكنى أريد أن أبصرك ..

ولعل الذى حملك على إبداء العداوة والبغضاء للإخوان المسلمين ، هو أنهم عارضوا المعاهدة ، والإخوان المسلمون لن يؤمنوا بها دون أن تناقش فى برلمان منتخب انتخاباً حراً يمثل الأمة أكمل تمثيل ..

رحم الله الهضيبي فقد كان يصيح فى واد وينفخ فى رماد .. !

* * *

وفى نفس الوقت الذى كانت أحداث المنشية تتم فيه :

جلس الهضيبي يستشير الإخوان واتفقوا على أن يظهر الهضيبي والإخوان ويجتمعون فى المركز العام ويعلن استقالته .

أراد الهضيبي عمل الكثير ليجنب الإخوان مقصلة جمال .

ولكن جمال لم يعد يرضيه إلا ثورة حمراء تسبح فى دماء الإخوان المسلمين .

مع الفراعنة الصغار

التحقيـــق

قبل مواجهتى بالتحقيق فكرت كثيراً فيما يمكن أن يوجه إلى :

١ - الخطابات التى كتبتها بخطى وكتبها معى صديقى الذى هاجر وانقطعت أخباره .. هل من الممكن أن يكون جمال عبد الناصر قد احتفظ ببعضها .. أم أن شخصيته وطريقته توحى بأنه يعدم كل شيء يذكره أو يذكر غيره بعبثه .. إن ثبت لديه أنى أحد شهود مسرحية المنشية وكاتب رسائل أرسلتها هنا وهناك أفضح بها مكره وكيده ..

فالنتيجة معروفة فما عرف قلبه الصفح ولا الرحمة للذين أعانوه ، فكيف بالذين ناوءوه ؟

٣ - وبخط يدى أيضاً وثيقة أخرى إن ثبتت فلن يشفع لى عنده شفاعة الشافعين ..

فى انتخابات ١٩٥٦ كتبت على ورقة الاستفتاء « الجنازة حارة والميت كلب » ووضعتها بيدى فى الصندوق ..

ولكن هل هم فتحوا الصناديق .. لقد جاءت نتيجة الاستفتاء ١٠٠ ٪ فلم يمت أحد ولم يمرض أحد ولم يتخلف أحد ولم يقل مخلوق .. لا .. الكل حضر ، والكل قال : نعم وتلك كانت نتيجة دائرة « مينا البصل .. »

وتوقف الموت فلم يمت أحد ..

وتوقف المرض وتوقفت الظروف وانتفت الأعذار وحضر الجميع وقالوا : نعم ..

فلم يتخلف أحد ولم تصادفهم كلمة : لا ..
فكيف يتبجحون ويقولون أن ورقة وجدوا عليها « الجنازة حارة والميت كلب » .

٣ ــ كنت أدخل حجرة مكتب مدير المستشفى فأجد صورة جمال معلقة فأنظر إليها مشمئزاً ، ليس للوضع المزرى الذى أوصلنا إليه فحسب بل وللطريقة التى سلكها حتى فى وضع صورته . .

محمد نجيب قرر رفع صورة فاروق وأن يوضع مكانها « لفظ الجلالة » وتسابق المتسابقون وتنافس المتنافسون وكتب لفظ الجلالة بماء الذهب . . « الله جل جلاله .. » وربما كان لجمال دخل فى ذلك ، فقد كان يرسم لصورته هو فلا يسبقها صورة أخرى ، وحين نحى نجيباً وضع صورته مكان لفظ الجلالة وأطلق على نفسه أول رئيس للجمهورية وكانت صورته تجرنا إلى التحدث عن المصائب التى جلبها على البلد .. وعن اليأس من نجاح يوصلنا إليه طريقه المسدود .. وكنت أقول رأيى دائماً بصراحة تدع زملائى بين ناصح لى بأن للجدران آذاناً ، وبين متعجب كيف أعلن ما يخفون .. ولم لا يعجبون والعهد عهد السجون والمعتقلات والمشانق والحراسة وخراب الديار ، لكل من تجرأ وقال كلمة حق ..

٤ ــ علاقتى بالإخوان وهى ثابتة بأقوالى حين استدعانى رئيس مباحث الإسكندرية وكان اسمه على ما أذكر محمد نصر الدين حسونة ، وذلك سنة ١٩٥٧ تقريباً وسألنى عن صلتى بالإخوان فقلت له كنت أحضر محاضراتهم وأرتاد شعبهم وإنى أحب الإسلام قلباً وقالباً وهذا هو الدافع لصلتى بهم .. وكتب ذلك وتركنى أرجع إلى بيتى دون أن أعلم أنه قد أصبح لى ملف لدى المباحث العامة .. وحين نجحت

فى دبلوم الأذن والأنف والحنجرة تقدمت لوزارة الصحة بطلب توظف .. ووجدت المباحث العامة تستدعينى وقابلت الضابط عبد العزيز الصوابى صاحب القصة السابق ذكرها . وسألته عن سبب استدعائى .. فقال إنك طلبت التوظف فى وزارة الصحة ولك ملف لدينا بأنك من الإخوان وتريد أن نعرف مدى صلتك بهم . . فأعدت على مسامعه ما سبق أن قلته لرئيس المباحث العامة السابق ..

ماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟

أما الخطابات وورقة الاستفتاء لو ذهبت ليد عبد الناصر لما صبر على إبقائها ولتعجل إعدامها كإعدامه خصومه سواء بسواء ..

وبقى ما يدينى من صراحة رأيى فى عهد أراد جمال أن نصف هزائمه بالنصر ، واستبداده بالحسم ، وضحاياه بالخوارج ، والخراب الذى جره على البلد بالغنى المرتقب والسعادة المنتظرة والنهوض بالصناعة ، وبداية عصر الفضاء ببركة البطل الذى خاض كل الميادين ولم ينهزم فى ميدان منها ..

مسموح له هو وحده أن ينتقد .. وحين استبد به اليأس من تحقيق زر الحركة السحرى قال فى حسرة وأسى : « الناس فاهمة أنى لما أقول أعملوا كذا يعملوا خلاص » .

مسموح له هو أن ينقد الثورة من الزاوية التى رآها وليس لغيره ذلك الحق ..

فى الساعة التاسعة صباحاً عرفت أن اسمى أصبح (٢٥) ووقفت أمام الرائد نديم كما عرفت اسمه فيما بعد ..

وقلت السلام عليكم .. وكان رده : اجلس .

وجلست أنتظر أوامره ، وفاجأنى بصيحة : إجلس كويس ! وبالغت فى الجلوس الكويس ووضعت يدى على فخذى . الجو يوحى

بالرهبة ولكنى تمالكت نفسى واستهنت بما ينتظرنى ، نديم ضخم الجسم ولكنه بصيحته فضح تبلد عقله وعقم تفكيره ، فالمتشنجون أقل الناس إنتاجاً وأكثرهم أخطاء .. ربما دعاه لصيحته مابدا من مظهرى من رباطة جأش ومظهر لايبدو فيه الخوف ، ذكرنى بالتركى الذى يقول للواقف قف وللجالس اجلس ! ولا يدرى الواقف كيف يقف ولا يدرى الجالس كيف يجلس ..

وافترستنى نظراته ، وأنا أحاول مزيداً من الاعتدال لأفوت عليه صيحة أخرى منكرة ..

لا أدرى كم من الوقت مضى وهو يتفرسنى قبل أن يصدر أمره : حدثنى عن نفسك واحذر أن تنقص أو تزيد فأنا أحصى عليك أنفاسك وأعلم كل صغيرة وكبيرة عنك وإن كنت تظن أننا تركناك هذه المدة جهلا منك بحقيقتك . . أحذرك ، فلم أتسلمك بإيصال وقتلك كحياتك فعش لأولادك أفضل ! !

وبدأت أتحدث عن نفسى بلسان جاف ، وجاءه كوب شاى كبير وأمر لى بكوب شاى فجاء كوب صغير ، ولكنه بلل فى وجعل الكلمات تخرج أكثر وضوحاً ..

بأى شىء أبدأ الحديث عن نفسى ؟

أتحدث عن حياة الضنك التى نشأت فيها .. فلم أترك عملا من أعمال الفلاحين إلا مارسته وأنا أحفظ القرآن فى الكتاب ، وأدرس فى المدرسة الإلزامية . ؟ أم أركز على مدرسة المعلمين ولم أترك العمل بالحقل إلا بعد التحاقى بالتدريس ؟

أم أركز على فترة التدريس وهى صفحة مشرقة أعتز بها ، ولا أنسى تقرير المفتش الأستاذ محمود عبد القادر : « أرجو أن يقتدى المدرسون بالأستاذ جابر الحاج وخاصة فى تدريس القرآن الكريم فهماً وحسن

تلاوة » وكتب ذلك التقرير برغم جمعي بين التدريس فى مدرسة النزهة الابتدائية ، ودراستى فى كلية الطب بالإسكندرية ؟ أم أركز على قصة حصولى على دبلوم التخصص بعد حصولى على البكالوريوس بأقل من عامين من أول فرصة يتيحها القانون ، إنها يد الله القادرة على كل شيء ..

استبشرت بالسؤال السهل بعد الصيحة المنكرة .

إن مع العسر يسراً ، فلو تركني نديم أجيب على سؤاله أربعاً وعشرين ساعة ما توقفت ولظللت أتحدث عن المآسى التى مرت بى وعن عون الله لى ..

ما اشتد كرب إلا هونه ، وما عظمت عقبة إلا حطمها ، وما اقترب منى يأس إلا سلط عليه أضواء الإيمان ، الإيمان بالله ، رأيته فى كل شيء ..

رأيته فى الفقير يغنيه ، وفى المريض يشفيه ، وفى المتكبر يذله ويحنيه ، وفى المتأله يحطمه وينهيه .

تركنى نديم أتحدث عشر دقائق وظننت أنى كسبته إلى جانبي وأنه أعجب بعصامى يفاخر بعصاميته .. وفجأة صاح الأسد المصور :

— هل قلت لك أذكر قصة حياتك ؟

وذكرنى بجمال سالم . . وتذكرت الحكمة القائلة « الضلال ملة واحدة .. » واستمر نديم يقول :

— إن كنت قد أخذت بكالوريوس ودبلوم فأنا أيضاً معى دبلومات وأعرف كيف أحصل على كل كلمة منك .

التليفون بجوارى .. وفى دقائق ترى زوجتك وأبناءك أنزل بهم وبك ما أنت فى غنى عنه ..

ـ هل تخرج زكاة مالك ؟

ـ نعم أخرج زكاة مالى .

ـ أذكر نشاطك الإخوانى .

ـ لى نشاط إسلامى ، أمرنى به الله ، وأقوم به على قدر ما يوفقنى إليه .. !

ـ كم دخلك الشهرى ؟

ـ دخلى طيب والحمد لله ..

ـ لمن تخرج زكاة مالك ؟

ـ للفقراء والمساكين والمحرومين .. وما أكثرهم ..

ـ يبدو إنك لن تتكلم إلا إذا أذقتك ألوان العذاب .. لقد علقت سيد قطب ستة أيام على هذين الكرسيين .. وأشار بيده إلى كرسيين معدين لهذا الأمر ، ولم أتصور كيف يعلق الضحايا على الكراسى .. ولم يمض وقت كثير .. حتى صدر أمره بإعادة من رأسه . فتقدم إلى إثنان ووضعا القيد فى يدى ، ثم التفت يداى حول ساقى وأنا أجلس القرفصاء وأدخلوا قضيباً حديدياً بين فخذى وساقى ورفع الرجلان القضيب ووضعاه على كرسيين يتقابل ظهراهما وأصبحت بذلك معلقا فى الهواء ، الرأس إلى أسفل والرجلان مثنيان على بطنى ومثبتتان فى وضعهما بيدى المقيدتين ..

كنت أسمع جمال يخطب الساعة والساعتين يتكلم عن عصر الفضاء الذى أدخل مصر فيه ، وعن التكنولوجيا التى يعمل لرفع مصر وبنائها عليها ، وكنت أدهش ويحيرنى التصفيق الحاد ، والهتاف بحياة بطل التكنولوجيا ورائد عصر الفضاء .. وأقول لمن حولى : أين هى التكنولوجيا ؟ لقد كنا نحلم بالتكنولوجيا لتصلح شأننا وترفع رأسنا

وتجدد مرافقنا .. وها هو الزعيم يزعم بأنه أدخل التكنولوجيا وزادت أمورنا سوءاً ..

وبعد دقيقتين من تعليقى أيقنت أن الزعيم صدق فى بعث تكنولوجيا من نوع يساير فكره ، ويتمشى مع مخططه . . إنها تكنولوجيا التعذيب . .

حين نزل رأسى إلى أسفل أحسست بالدم يتدفق إليه ، ويضغط فيكاد يخنقنى ، وبعد دقيقة بدأت أعانى عذاباً آخر هو ضغط القيد على يدى وإحساسى بآلام الشد على يدى . .

وبعد دقيقتين سحب نديم عصا طولها متران ورفعها وهوى بها . . واستمرت عصاه ترتفع وتهوى . . والآلام تتزايد . . يضرب فى كل موضع . . لا يضيره أن تنزل على قدمى أو على أى جزء من جسدى . . ولا أدرى كم مر من الوقت على هذا العذاب . . ؟

وأخذت أتململ وأحاول فى يأس وضعاً يقلل الألم . . الضرب مستمر على كل مكان من جسمى . . ولم يكن أمامى إلا الصياح ، أملأ به جنبات المعتقل لعل الأثير يحمله إلى شوارع القاهرة ومجلس الشعب بما فيه من عمال وفلاحين وفئات ، ولكل من صفق لهراء حمال . . ليعلموا مدى الإهانة التى أنزلها الحكم الناصرى بمصر عبر المصفقين والهاتفين والمؤيدين والصامتين والمضللين والخمسين فى المائة ، والاتحاد الاشتراكى والمكاسب الثورية وسيل الشعارات . .

وصاح فرعون الصغير : اخرس خليك راجل .

ولولا الإعياء الذى دب فى أوصالى . والآلام التى فاقت مقدرتى ، ولولا إحساسى بالضعف على تحمل المزيد مما حل بى ، لولا إحساسى بأن الفراعنة الصغار يتقربون إلى فرعون الكبير بصب أحقادهم على عباد الله . . لولا ذلك لقلت لنديم :

ــ خليك كلب . .

كنت أعلم قصة الكلاب التي حبسوها مع الهضيبي رحمه الله . وكنت أعرف قصة الحجرات التي خصصت لهذا اللون من الجحيم الناصرى ، أرضها بالأسمنت المرشق فيه الزجاج المدبب ، ويلبسون الكلاب أحذية تحميها من الزجاج . . والضحايا حفاة . .

يقول نديم خليك راجل . . لأن صياحي ضايقه ، وهل فكر نديم أن الناصرية بأسلوبها الهابط لاتخلق رجالا ولا تبنى شعباً ، ولا تصنع مستقبلا ولا ترفع شأن أمة زعم حمال أن القدر ساقه لانتشالها ، وسارت كل خطواته فى اتجاه مضاد لمزاعمه :

ــ الحرية خنقها . .

ــ المال سلبه وبدده . .

ــ الجيش جرده من الأكفاء ووضعه فى يد شريكه وموضع ثقته عبد الحكيم عامر ، والطيور على أشكالها تقع . .

ــ الوطنيون الأحرار حطمهم وكتم أنفاسهم . .

ــ فرض من العمال والفلاحين ٥٠٪ ليصفقوا له ، وليرقصوا على أنغام الهزائم المتتالية . .

ــ الإعلام كله ، له اتجاه واحد ومسار واحد هو « لبيك عبد الناصر » . .

ــ السجون والمعتقلات امتلأت بخيرة شباب هذا البلد وأتقى شيوخه وأفضل رجاله وأكرم نسائه . .

ــ القيادات أقصى منها الكفاءات واحتلها أهل الثقة ومروجو الشعارات والمرتزقة ومصاصو الدماء . .

ــ الرأى المعارض لاحقه بالسجن والمعتقل والسم والتنكيل . .

والنتيجة الحتمية لذلك : « إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون » .

انهمر الضرب على قدمى وساق وأماكن متفرقة من جسدى ، وزاد الإعياء والآلام المبرحة فى يدى التى لم تعد قادرة على حمل جسدى المتململ فى قيده . . وصحت : كفاية . . كفاية . . كفاية . .

— وتعترف بكل شىء ؟

— نعم أعترف بكل شىء . .

وتقدم الرجلان فأنزلانى على الأرض وأخرجا القضيب من بين فخذى ورجلى ويدى ، وجلست أمام نديم . .

— اذكر نشاطك الإخوانى :

— لى نشاط إسلامى من صغرى ، لا أظن أن فيه أى شىء لا يرضى عنه نظام الحكم . .

— أنت فيلسوف ؟ أنت تقول نشاطك وخلاص . .

— أنا مستعد أن أقول ما تريد . وإنما أريد أن أوضح نية العمل الذى أعمله ، فإذا أصبح فى عرف الحكومة أن كلمة إخوان دليل على العمل المعادى للنظام القائم ، فأنا ليس لى عمل أعتبره معادياً للحكم أو يستحق الإنكار . .

— أحذرك من هذا الأسلوب فى الرد ، أنت تذكر نشاطك وأنا أكيفه إن كان عملا إخوانياً أو غير إخوانى . .

— أرجو أن توسع صدرك لى وأنا أساعدك على معرفة ماتريد ، وكل ما أريده أن تذكر لى أى نشاط تقصده . .

كشر نديم وزمجر ، والحقيقة أننى أصبحت أنظر إليه على أنه وحش دونه الكلب العقور . .

قلت : نشأت من صغرى أحرص على الصلوات الخمس ، أصليها لوقتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وبلغ من حرصى عليها أننى كنت

أصلى العصر بالمعمل وأنا فى السنة الإعدادية لكلية الطب حيث كان وقت المعمل يمتد من الثانية والنصف حتى الخامسة وفى الشتاء تضيع صلاة العصر إن لم أصلها بالمعمل . . وحريص على صيام شهر رمضان حتى لو صادف أداء امتحان فأصومه . .

وكما قلت من قبل اخرج زكاة مالى . .

وقد أديت فريضة الحج هذا العام . .

وأذكر حين كنت مدرساً ببلدتى أنشأت مع إخوة جماعة تدعو لتحريم التدخين ، وكنا نخطب فى الأفراح وفى المآتم لهذا الغرض . . نعترض على الإسراف ونحذر من شرب الدخان والقرآن يقرأ . .

وآخر مرة زرت فيها بلدتى سألت عن مسجد كنت أصلى فيه وأنا صغير فعلمت أن الشعائر توقفت فيه لتهدمه وطفح دورة المياه فيه ، فاتصلت بإخوة كرام ودفعت لهم خمسين جنيهاً مساهمة فى تبرعات يدعون الناس إليها ليقيموا المسجد ووعدتهم بمزيد من العون حين يبدأون فى البناء . .

ــ من ساعدك فى هذا المسجد . . ؟

ــ أعضاء الاتحاد الاشتراكى بالبلدة . .

ــ أليسوا من الإخوان . . ؟

أنا أعرف أنهم أعضاء الاتحاد الاشتراكى وأذكر لكم أسماءهم وفى استطاعتكم معرفة نشاطهم إن كان للاتحاد الاشتراكى أوللإخوان.

ــ وما اسم هذا المسجد ؟

ــ مسجد أبو زعير . .

ــ فيه مسجد آخر ؟

ــ نعم ، مسجد الأسرة كان بناه الجد الكبير للأسرة ، ووجدته

متهدماً فقمت بترميمه وتبليطه ودهانه . . وإصلاح دورة المياه . .

- من ساعدك ؟

- والدى . .

- انقذ نفسك ودعك من هذا اللف والدوران ، وسأعطيك أوراقاً وقلماً واكتب نشاطك ، ولازلت أحذرك فالذى رأيته اليوم قليل جداً من كثير ينتظرك ، إننى اعلم كل شىء عنك ، أنفاسك وحديثك لزوجتك وكل تحركاتك . . كل ذلك عندى ، وقد تركناك إلى هذا الوقت باختيارنا ، ولن أتركك حتى أحصل على كل كلمة منك ، وموتك وحياتك بيدى وليست على أية مسئولية .

رجوته أن يسمح لى بالنظارة . . وتحركت على قدمين أثقلهما الضرب ، . . واشتد بهما الألم ، وأخذت أضع رجلا وأرفع أخرى والمخبر معى يستعجلنى السير ويستحثنى الإسراع ودخلت الزنزانة وأغلق على الباب وارتميت على الطرحة القذرة . . وإن كانت أنظف من قلب نديم والذين مكنوه من استعباد عباد الله .

ما أجمل الانفراد بالنفس إذا كان هذا يبعد عن وجه نديم ، فالمصائب تتفاوت . فإذا كانت الزنزانة هما ثقيلا ، فرؤية نديم وإصراره على انتزاع أقوال لا أدرى أولها من آخرها أشق بكثير من الزنزانة . .

لم يكن لدى دموع غير التى ذرفتها وأنا معلق والضرب ينهمر على .. الوقوف فى الزنزانة مؤلم . . والجلوس مؤلم ، والنوم على أى الجنبين مؤلم ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . . يارب : أنت ربى ورب كل شىء..

أعرف أن عذاب الآخرة أليم شديد ، ولكن العذاب الذى لقيته اليوم لم يكن فى استطاعتى تحمله !

فكيف يكون حال الذين لم يقدروك حق قدرك ، ونسوا يوم اللقاء ،

فاستمتعوا بتعذيب عبادك ، وأنت القادر على أن ترسل عليهم عذاباً من فوقهم أومن تحت أرجلهم أوتلبسهم شيعا وتذيق بعضهم بأس بعض . .

يارب . . إذا كان تعذيب الإنسان للإنسان يصل إلى هذا الحد ، فكيف يكون عذابك يوم تخرس ألسنة الكذابين والمساخين والدجالين

وماذا يستطيع المسيخ الدجال فعله أكثر من أن يقول : ارفع رأسك يا أخى . . وينزل على الناس ذلك اللون من الإهانة والتعذيب والإذلال ؟

لقد تكلم جمال وحده وترك لنا الهمس . . وحتى الهمس لايسمح لنا به ، وأبت عليه طباعه إلا أن يكون جباراً فى الأرض . .

لك حكمة يارب فيما أرى ولا أقول إلا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى » . . أعنى يارب فلا يحضر صعاليك الصحافة ولا صعاليك التليفزيون ليضعونى موضع سخرية وهزء ، كما فعلوا فى الإخوان من قبلى . وكما فعل الجبابرة فى عبادك عبر القرون ، وقلت وقولك الحق « إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » . .

وقلت وقولك الحق « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون . . »

لاتتركنى يارب لجبار مصر وماسخ قيمها ، ومحطم مبادئها وجالب الخزى والعار والهزائم والغلاء والشيوعية إليها . .

• • •

كان ميعادى مع نديم الساعة الخامسة ، ولا أدرى ماذا أكتب ، أصبحت على يقين أن خطاباتى عن مسرحية المنشية وورقة الاستفتاء

ليستا واردتين فى التحقيق ، وأصبحت متأكداً من أن نديم يهدف إلى تقديم أكبر عدد من الإخوان يصنع منهم قضية يسخن بها جمال ترابه ، فلم يعد لديه حديد يسخنه ويستر به فشله فى حرب الاستنزاف ، فقد أكد إعلامه أنه يستنزف إسرائيل ، وثبت للجميع أنه يستنزفنا ويزيد بلاءنا ، وكلما أمدته روسيا بقوة عرضها لإسرائيل لتجهضها ، وهذا تعبير هيكل . . فتذهب القوة وتتراكم الديون ويخطب جمال ويكتب هيكل وتصفق فرقة المنتفعين . .

نديم لايواجهنى باتهام ، وإنما يطلب منى أن أتهم نفسى وأشرك معى غيرى ، وأن أقدم الدليل والبرهان على صدق التهمة على وعلى الذين أشركهم معى . .

قضية إخوانية خالصة . .

وشركاء من الإخوان لهم قدم صدق فى الدعوة ، ولديهم إصرار على الصبر بها والموت فى سبيلها ، وعندهم النية لإنهاء حكم بطل مصر والعرب ، الذى لم تثبت له ولو شبهة بطولة ، ولكن الأمل فى بطولته لم يشبه اليأس بعد . .

وتغنى الكتاب بهذه البطولة فها هو أحمد حسن الزيات يكتب باباً ليس فى كتاب « هؤلاء هم الإخوان » ولا فى كتاب « إخوان الشياطين » ولا فى مجلة الشيوعيين . . وإنما كتبه فى مجلة الأزهر وتحت عنوان « أمة التوحيد » .

« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة ، ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول ، وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان ، والسلطان يعتريه الوهن فيزول . . أما الوحدة الناصرية فباقية نامية . . لأنها تقوم على

الاشتراكية فى الرزق ، والحرية فى الرأى ، والديمقراطية فى الحكم » . .

وصدق الله العظيم « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ، ولن تجد لهم نصيراً » النساء ـ ٤٥

الدبلومات التى يفخر نديم بها من أى مكان أخذها ، هل درسها فى أمريكا ؟ لا يمكن أن يكون فى أمريكا ذلك . هل أخذها من روسيا ؟ برغم كفرها وضلالها لا يمكن أن تهبط إلى ذلك العته . .

ذلك الجنون يوجد فى مدرسة واحدة هى مدرسة الناصرية بمذهبها الفريد . .

مذهب لايحترم النفس ، ولا العقل ، وأهدر من حسابه الحرية والقيم . . !

وقلب المعايير والموازين وتغنى بالشعارات . . وقتل عبد القادر عودة وفرغلى وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت وسيد قطب . . ورفع من جنوده أمثال نديم وشمس بدران وحمزة البسيونى وغيرهم من شواذ الآدمية .

أمسكت بالقلم فارتعشت أصابعى ، أثر فيها التعليق والضرب ، فأصبحت شبه مشلولة . .

أبرزت إصلاح المساجد ودور الذين ساعدونى من أعضاء الاتحاد الاشتراكى . . وذكرت صلتى بالإخوان الذين سبق اعتقالهم أو محاكمتهم ولم أنكر اتصالى بهم ، وذكرت الاشتراكات الشهرية فى حدود عشرة قروش لندفع منها إيجار الشقة والنور والماء . . وحرصت على الحفاظ على أسماء الذين لم يتعرضوا بعد لفتنة الناصرية القاسية الظالمة . .

وتصورت كثيرين من أصدقائى معلقين ينهمر الضرب عليهم وكل ذنبهم أنهم يكفرون بالناصرية ويؤمنون بالله العزيز الحميد . .

واشتد خوفى على أحب أصدقائى إلى . . الدكتور محمد البكرى ،

وتصورت مدى القبح الذى أتصف به حين أرد جميله لى بهذه الفتنة الملعونة . . كنت أجمع بين التدريس فى المدارس الابتدائية والدراسة فى كلية الطب . وبذلك اكتفى بحضور معظم الجزء العملى ولا أحضر المحاضرات وظللت أعانى من عدم وجود محاضرات لدى حتى عرفت صديقى محمد البكرى منذ السنة الثالثة ، ومنذ أن عرفته أصبحت محاضراته ملك يدى لا يتعلل ولا يتضرر ، ويرحب بى لكى أستذكر معه ، ولم تكن ظروفى تساعدنى على ذلك حيث كنت أعود من مدرستى المسائية متعباً منهوك القوى . . فلا أكاد أجلس معه حتى يغلبنى النعاس فآخذ أى كراسة أريدها وأذهب إلى مسكنى لأنام وأستذكر مع صلاة الفجر ، والبركة فى البكور . .

وتمت الصداقة وترعرعت وأصبح لى الأخ والصديق . . ونديم الذى يعد أنفاسى لن يغفل عن صلتى بالبكرى . . وتصورت الصحافة تكتب العناوين الضخمة عن اكتشاف مؤامرة لا أدرى مكانى فيها . . ولا مكان أصدقائى ومعارفى وجيرانى وأقاربى من التآمر على قلب حكم بطل الأبطال . .

وسمعت صياح مناد (٢٥) وفتح باب الزنزانة وتقدم مخبر يستعجلنى .

لماذا هؤلاء المحققون ؟ ولماذا ذلك الرهط من الحراس ؟ ولماذا أترك خدمة الناس فى عيادتى وفى المستشفى لأدخل المعتقل ؟ ولماذا يأخذ المحقق دبلومات فى الحقد والظلم وسفك دماء الأبرياء ؟ ولماذا يقف الحارس متلهفاً على تنفيذ الأوامر بحقد وإصرار لاتدرى أهو حال بعينه أم انحدر الحقد من قمة الناصرية إلى قاعدتها . . ؟

لم يرحم الطاغية الصغير أنينى ، ولا وهن قدمى المتورمتين عن حملى على عجل إلى حجرة نديم . .

والصياح من أمامى : اقفل الزنزانة وتمتد أيدى المعتقلين إلى الأبواب فتغلقها وتقف خلفها إلى أن يمضى الزائر الجديد دون أن يروه أو يتيحوا له رؤيتهم . .

وكنت تواقاً لرؤية وجه أحدهم لعلى أعرفه أو يفتح لى باباً من النشاط الإخوانى الذى يريده منى نديم ، فأحدد موقفى من التهمة الموجهة إلى . .

دخلت الحجرة فوجدت « نديم » واقفاً يمسك بعصا أطول منه :

وقلت : السلام عليكم . وقال : اجلس . .

وأخذ الأوراق من يدى وجلس يقرؤها . وحين انتهى من قراءتها نحاها جانباً وقال : إيه ده ؟

وتقدم الرجلان بقيدهما الحديدى . وارتفع صوته بالتهديد وتحركت يده بالعصا ، وحين علق القضيب على الكرسيين وهوت رأسى إلى أسفل بدأ الضرب بحقد ، وهدد بغضب ، وتيقنت الهلاك . .

وأحسست بالشلل يدب فى يدى ، وبالآلام مع كل عصا تنزل على ، وبالدم المتدفق فى وجهى ، وبالضيق يضغط على صدرى يكاد يخنقنى . . وصاح فرعون الصغير : كلهم اعترفوا . . وأنت لا تريد أن تعترف على أحد منهم ، كلهم أرجل منك ، لم يضطرونا لضربهم . . واستمر الضرب « المجنونى » . . حتى كدت أفقد وعيي وظننت أنى هالك لامحالة . . ومنذ بدأ نديم الضرب رفعت صوتى بالصياح أملأ به المعتقل ، ورأيت صياحي يضايقه فتماديت فيه ، وهدد بتبديل العصا بكرباج وقلت صائحاً : علشان إيه ؟ وقال : لأنك لا تريد أن تتكلم . .

وقلت : أنا مستعد لقول كل كلمة تريدونها .

ودخل رجل عرفت فيما بعد أنه العقيد فؤاد علام .. وقال : اتركه لى يا نديم بيه .. وقال : لماذا لا تتكلم . وقلت : أنا مستعد للكلام . .

وأنزلني الزبانية وفكوا القيد الحديدى وقمت متحاملا على قدمى وسألني فؤاد علام عن نشاطى الإخوانى ، وقبل أن أفتح فى هوى بيده على أذنى فاعترانى دوار وحل بأذنى صفير وكدت أسقط ، فتحاملت ولم يتركنى حتى انهمر بكفه على أذنى وتدفق سب الدين من فمه مع كل كف يهوى بها على وجهى أو على أذنى . . ورجحت ثقب طبلة أذنى ورجوته أن يبتعد عن ضرب أذنى فكأنما وضعت يده على كنز يجد فى البحث عنه ، فركز ضربه على أذنى . . ودخل رجل آخر جامد الوجه مستديره ، وقال : أعطه فرصة وسيتكلم .. ونظرت إليه وفى نظراتى أمل الاستنجاد به ، . . وفتح فمه وأذنى متشوقة لما سينطق به . . ونطق ثالثهم : أنت مش راجل ، كلهم رجالة وتكلموا وأنت لاتتكلم ولأول مرة يصادفنا واحد مثلك . . لقد اعترفوا عليك فلماذا تنكر ؟

قلت : أنا موافق على اعترافهم واذكروه لى ومستعد للتوقيع عليه ..

وقال : انت فاكر إيه ؟ هوه التعذيب اللى انت شفته ده تعذيب ؟ لا . . إذن ننقلك للدرجة التالية . ونضع على رأسك الحزام الضاغط ونعرضك للصدمات الكهربائية لتقتلك أو تدمر مستقبلك . . وعندنا وسائل . . الأفضل لك ألا تضطرنا إلى استعمالها معاك .

قلت : أنا مستعد اقول ما تريدون ، إن كانت هناك مؤامرة اعتبرونى فيها ومستعد للتوقيع ومفيش داعى لمزيد من التعذيب . .

وقال نديم : خذ هذه الأوراق واكتب أسماء الذين تعطيهم زكاة مالك فرداً فرداً ، واذكر نشاطك الإخوانى كله . . إن الإخوان الذين حققنا معهم قالوا كل شىء . . ونحن نعرف دورك ولكننا نريد سماعه منك ، وأعطانى ورقاً وما كاد يشير إلى بالخروج حتى نهضت ولا أبالى

بآلام أقدامى . . فأهم شىء أن أبتعد عن الوجوه الكالحة ، وأنأى بنفسى عن أقنعة إبليس (فؤاد علام ونديم وزكريا) وغيرهم . .

من أين جـاءوا بالذئاب — هم والشياطين سـواء
كيف استباح بهم جمال — سبل المحبة والإخاء
مدوا خطاهم فى انصياع — لا وعى فيهم أو حيـاء
جاءوا بدين خاسر — شرعوا به سفك الدماء
زعموا شعارات تعيد — لمصر عهد الأقوياء
وتقيم مجد بلادنا — ويعمها عصر الفضاء
وإذا الحقيقة علقم — والبغى يغريه الثناء
يا من زعمتم أنكم — للشعب قمتم أوصيـاء
لا خير يأتى بالمظالم — والجهـالة والغبـاء

لم يفكروا فى يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ، أظنوا أنهم فى مناصبهم مخلدون ؟

أبهذا الأسلوب ينتصرون ؟

هؤلاء ما فكروا ولا عقلوا ولا تدبروا ، ولو تذكروا لكفتهم ذكرى عبد الحكيم عامر ، لقد باع دينه بدنيا جمال ، حطم به الشرفاء ورفع الأدعياء وذهبت ولايته لجمال هباء ، وأشاع عنه أنه انتحر ، وما رعى عهد الصداقة ولا ازدجر ، وصدق الله العظيم :

« أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون » ١٢٦ التوبة .

أغلق الحارس باب الزنزانة وألقيت بنفسى على الطرحة الأنظف من قلوب أقنعة إبليس . .

ما الذى حدث تماماً ؟ هل أفسد جمال من حوله أم هم الذين أفسدوه ؟

لقد علمنا الحق تبارك وتعالى عن صراع الخير والشر إلى يوم القيامة ، فليس بجديد أن يتجمع أهل الشر وتتحد بينهم الوسيلة والهدف . .

إن المستغرب والمحير حقاً هو فرض عبادة الفرد الفاشل فى كل شىء ، والمحطم لكل القيم ، والمجرع شعبه الكبت والديون والفقر والهزائم . .

المحير حقاً هو أن يلتف حوله ذلك الجمع الغفير المطأطىء رءوسه ، الملغى عقوله ، المنكس إيمانه بالواحد الأحد . .

ـ صبراً على البلاء صبراً ، صبراً على فعل الباطل القبيح وصوته العالى :

إذا ذهب الكلام مع الرياح . .
ورقص الغافلون على النباح . .
ومزق جلدنا حمم الجراح . .
وصال البغى بالكفر المباح . .
ونقضى الليل فى هم الصباح . .
وقال الإفك غنوا فى انشراح . .
فصبراً يا رجال الله صبراً . .
سيعلو صوت « حى على الفلاح »

ـ الجسم الممدد على الطريحة القذرة .
ـ الأمل المحطم بالأيدى الخائنة . .
ـ الرجاء المنهار مما لاقيت فى صباح يومى ومسائه . .
ـ المستقبل القاتم لبلد تحكمت فيه عصابة البغى . .
ـ *اليأس من الناس فى بلد قيمة الإنسان فيه لاتساوى شيئاً .*
ـ وجدنا فى عهد فاروق جماعة الرفق بالحيوان . .

وفى عهد عبد الناصر أين جماعة الرفق بالإنسان ؟

فى الجاهلية صور الشعراء ما انفعلت به نفوسهم .

وقدم الأدباء ما جادت به قرائحهم . .

أما فى عهد جمال فلا يتكلم إلا من سبح بحمده . .

ولا يكتب إلا من أطرى ظلمه وبغيه . .

ولا يرفع رأسه أمام الناس إلا من خفضها أمام جمال ، ولا يأمن على مستقبله إلا من وضعه فى يد جمال ، ولا ينجو من البطش إلا من أتقن التمثيل فيبتسم حيث يتحتم البكاء ، ويمدح حيث يجب الذم ، ويدمى يديه من التصفيق بدلا من القذف بالبيض الفاسد والطماطم المتعفنة .

ـ الشلل دب فى يدى فكيف أكتب ما كلفونى بكتابته ؟ الألم يتفجر من كل جزء فى جسدى فكيف ألفق حبى للطغاة والفاشلين والمنهزمين . . ؟

ـ كيف أمثل حبى لجمال وأنا أمقته ؟

ـ كيف أغمض عيناً فتحها الله على مفاسد الأدعياء ؟

ـ كيف أنسى الطاغية المهزوم وأسبح بحمد البطل المنتصر ؟

ـ كيف أنسى ديون المليارات وأمدح الرخاء المرتقب ؟

ـ هل صدق طواغيت الزيف حتى يصدقونى إن أعلنت تصديقهم ؟

ـ أيها الليل الساجى طل فلن أنتظر الصباح . .

ـ اشتكى الشعراء طولك أما أنا فأخاف قصرك .

ـ يأتى الصباح فماذا أعددت له وماذا ينتظرنى فيه ؟

ـ هل أتحمل التعليق الثالث وقد تكسرت عصا ندم اليوم ، وربما نفذ تهديده واستبدل بها الكرباج . . ؟

— كان التعليق فى آخر اليوم أشد منه فى أول اليوم . وفرحت بمجيء فؤاد علام لأن الصفع والركل أقل ألماً من التعليق وتوابعه . .
أما سب الدين الذى أصر فؤاد علام على أن يكون لغة تخاطبه معى . . فالدين له رب يحميه ، ما دمنا عن حمايته عاجزين ، وما دامت أجسادنا وأيدينا وأرجلنا ووجوهنا رهن إشارة نديم وفؤاد علام وبقلبر ظلمهما يرتفعون لدى جمال درجات . . !

لم يكن الثالوث الباغى هم كل الذين حضروا . .

لقد امتلأت الحجرة فى اللحظات الأخيرة بالوجوه الكالحة وكنت أنقل بصرى من فم يتكلم إلى آخر بدأ يتكلم ، كالغريق يتمنى قشة يتعلق بها . . فيتفجر الشر وينهمر الوعيد من طاغية إلى طاغية .

— هل خلت القلوب كلها من الرحمة ؟

— هل انتهى الرجال ولم يبق إلا أشباه الرجال ؟

— هل كانت المروءة والرحمة حكراً على العصور الخالية وجاءت الناصرية بالشر والنكر وإفشاء الأذى ؟

— كلما دخل شبه رجل منهم تعلق به بصرى لعله يكون المنقذ لى من هذا الجو الخانق . .

هذا يهدد باستئناف التعليق ، وذلك يقول : لن يصلح له إلا صدمات الكهرباء ، وثالثهم يهدد بالحديد الضاغط على الرأس ، ورابعهم ينبح ويهذى : يا خسارة ده مش راجل . . الرجالة اللى احنا سألناهم قبله كانوا أحسن من كده ، عندهم شجاعة واعترفوا ولم نعذبهم . . ويقول نديم : خايف من إيه ؟ إننا اعتقلنا كل المجموعة واعترفوا بكل شيء . . لاتنكر أى شيء فكل شيء عندنا ، وإنما نريد أن تذكره بنفسك ، وأرد على الجميع : أنا مستعد أوقع على أقوالهم وأصدق عليها . . ويتكهرب الجو . . وتشتد العواصف وأعد بأنى سأعترف بالذى

ريدونه . . وتمتد يد فؤاد علام . يصفعني ويدفعني فأقاوم سقطة كادت ترديني . .

وأقلب وجهي بين أشباه الرجال الذين باعوا دينهم بدنيا حمال . . إنهم تعساء . . في لحظة من لحظات أحواله يستبدلهم كما يستبدل الثري حذاءه بغيره . .

ماذا مضى من الليل ؟ لا أريد لليل أن ينجلي فما الإصباح منه بأمثل . .

عيني أضناهما السهر . .

وأذني استبد بها الصفير . .

جسدي كله ، أتقلب ذات اليمين فيتألم . واتقلب ذات الشمال فاتألم ، وتحملت آلام النوم على الظهر . .

أليس من نوم ينقذني من ذلك كله ؟

يا من هزمتهم في نذالة	ماذنبنا نلقى الإهانة
يا من خفضتم رأسنا	وسلبتمونا حقنا
صلتم علينا بالقيود	وبالسياط وبالقنا
قد حركوا فينا الأنين	وتحطم القلب الحزين
نبكي المساء ومصبحين	بات اليتامى ذارفين
ومضى الحزانى كاظمين	هدمتم بناء الأولين
سفكتم دماء المؤمنين	قتلتم شباب المخلصين
فتنتم شيوخ المصلحين	رفعتم رءوس المجرمين
ونشرتم الحقد اللعين	وزعمتم النصر المبين
ويقول قائلكم : أقمنا مجـ	ـدكم في العالمين

• • •

وفي صباح اليوم التالي جلست دقائق أمام نديم حتى قرأ ما كتبته ،

وزم شفتيه ، ثم كان القيد للمرة الثالثة ، والتعليق والضرب المنهمر .

استغثت بالله فلم يتحرك قلب نديم ، وإنما قسا قلبه وتحجر ، ووجدت الموت يدنو ، والشلل يدب فى أطرافى ، والآلام تمزق جسدى ، والدم المتدفق إلى رأسى يكاد يخنقنى ويدنينى من نهايتى ، وأعلم أن حياتى وموتى فى قاموس الناصرية سيان . . واستنفدت طاقة تحملى ، وإلا مارجوت نديما ولا سيده الذى علمه القسوة ، وأعده لهذا اللون من الوحشية والغلظة والجفاء وانعدام الرحمة منه والحياء . .

وصحت : كفى . . كفى . . اللى انت عايزه حاعمله .

وصاح البطل الذى تعجب بطولته التابعى وغيره من مرتزقة الناصرية الباغية المتعفنة .

ـ اتكلم يا جبان . .

ـ حاضر . . كل اللى انت عايزه حاقوله . .

واستمر الضرب . . حتى دخل فؤاد علام وقال :

ـ حاتتكلم ؟ سيبه يابيه . . هو حايتكلم . .

فك الحارسان قيدى وظللت على الأرض فلم أعد أقدر على النهوض . . وصدر الأمر بالوقوف ، فتحاملت وقاومت وقمت . .

وامتدت يد فؤاد علام بالصفع على الوجه الذى كرمه الله ، رجوته أن يكف عن الضرب ولم أرجه أن يكف عن سب دين أبى أو أمى . . الدين الذى ارتضاه الله لأبى ولأمى ولى . . الأم التى كثيراً ما استيقظت فى الفجر لأجدها واقفة بين يدى الله تصلى وتدعو لى . .

الأم الحريصة على الصلوات الخمس لأوقاتها حتى أتاها الموت فوجدها فى غيبوبتها تردد ما اعتادته من حمد الله وتكبيره . . رحمها الله وإنما رجوته أن يكف عن ضرب أذنى اليسرى فلم أعد أطيق المزيد . . أما الدين فله رب يحميه : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . . »

أمروني بالجلوس على الكرسي فجلست . .

كان نديم يردد بأن إصلاح المساجد والمساهمة في بناء المتهدم منها يتم بصفة إخوانية . . وكنت أصر على أنه يتم بصفة إسلامية . .

وكان نديم يقول : إن زكاة مالك تخرجها للإخوان . . وأنا أصر على أنها للإسلام . .

أما الآن . . وبعد كل الذى ذقته . . فأنا الذى أرجوهم أن يعتبروها نشاطاً إخوانياً . .

ليس هذا فحسب . . بل وقلت لنديم إن كانت هناك مؤامرة فلن أتردد عن الاعتراف بدورى فيها . . وأخذته العزة بالإثم فعبس وبسر ، ثم هدد وتوعد .

كيف أقول له هذا القول ؟ أهو ظالم يلفق التهم ؟

وخشيت أن يعاود تعليقى . .

وفتح فؤاد علام « دوسيها » وقال : أتعرف فلاناً . . وفلاناً . . وفلاناً ؟

من أعرفه أقول أعرفه . . ومن لم أعرفه أقول لا أعرفه . . وأنا صادق وهو يكذبنى . . كيف لاتعرف . . لقد مر عليك . . لأن نشاطه كان بالشرقية . . وقلت له إن إخوان الشرقية لايعرفوننى بصفتى الإخوانية ، وربما زارنى أحدهم ولا أعرف قصده ، وإنما يظهر قصده من المناقشة ولم يسبق لأحد مناقشتى فى أمر يستحق ذكره الآن . .

– طيب وإبراهيم عبيد . . . . ؟

– إنه زميلى فى كلية الطب ، وقد اعتقل ، وحين خرج من المعتقل زرته . . وهو الآن فى السعودية . .

– وتعرف صلاح عبد الفتاح . .

– نعم ، أعرفه . .

— علشان تعرف إن احنا مش ظالمين . . لماذا لم تتكلم ؟ . .
وبدأ خيط التهمة يتضح أمامى . .

التهمة التى حير جمال أمرها . . ليست مؤامرة تطيح بحكمه ، وإنما تطيح بالبقية الباقية من الزر الحركى الذى تخيله جمال يوم نجحت الثورة وظن أنه فى ظرف عام أو عامين يصل إلى زر يضغط عليه فتتحرك مصر ، ويضغط عليه فتتوقف . . ومن سمع جمالا أو قرأ له ، ير العجب مما تخيله جمال ، فإذا قارنه بالواقع المر الذى أوصل شعبه إليه ، قال السذج وفرقة المنتفعين ، إنه الزعيم الخالد بلا جدال ، وقد ولد ليكون زعيماً بلا نزاع ، ومواهبه ورسمه وشكله تؤهله لزعامة فريدة من غير شك . . ولكن الظروف . . آه لولا الظروف لكان لمصر . . وللشرق شأن على يد الزعيم . .

يقول السذج وفرقة المنتفعين ذلك وأكثر من ذلك . . أما المؤمنون الصادقون فيقولون : « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما » . .

قلت : لقد قلت لكم إننى أخرج زكاة مالى ولم أنكر ، وقد قابلت الدكتور إبراهيم فى المسجد الحرام وكان معه والده ووالدته . وتواعدنا أن نلتقى بمنى ولكنه لم يقابلنى وفى الليلة السابقة لسفرى أيقظنى المطوف ليعلمنى أن الدكتور إبراهيم يسأل عنى ، وقمت من نومى مجهداً وقال لى ونحن واقفان : كتبت لك هذا الخطاب أرجو تسليمه لأخى الدكتور سعيد عبيد .. وقلت له : لماذا لاتعطيه لوالدك ؟ فقال لا أود إعطاءه لوالدى وترك الخطاب ومضى . .

وكنت قد تعرفت فى الأيام السابقة لهذه المقابلة على الدكتور نجيب الكيلانى وعلمت منه البلاء الذى أصابه من جراء تكرار اعتقاله وأنه انتهز أول فرصة سنحت وعمل فى دبى . .

وحين تركنى إبراهيم ومضى اعترتنى الوساوس فخشيت أن يكون فى الخطاب مايعرضنى لفتن ، حمدت الله أن نجانى مما سبق منها . . و . .

وجلست فى صباح اليوم التالى بجوار الدكتور نجيب .. وقلت له إنى كنت ولازلت أعتب على الإخوان عدم حرصهم ، وتعريضهم أنفسهم لكيد الطغاة ، وقد ترك د . إبراهيم عبيد معى رسالة لأوصلها لأخيه وإنى أرتاب فيها ، لأن والده هنا ولولا حرصه على عدم اطلاع والده عليها لما كلفنى بها ، وقد احترت هل أفتحها . . هل أمزقها ؟ . .

وقال الدكتور نجيب . . مزقها واحتط لنفسك . . وتعجب من تصرف الدكتور إبراهيم الذى سبق له الاعتقال مرتين .. واعترانى هم ثقيل وهدانى فكرى إلى فتحها حيث ائتمننى على مالم يرد اطلاع والده عليه ، وإن كان ما بها مباحاً قمت به ، وإن كان غير ذلك اكتفيت بتمزيق الرسالة وكأنها لم تكن . .

وصعدت السلم ، وفى حجرة أغلقتها على فتحت الرسالة فوجدت بها رسالة أخرى باسم « صلاح عبد الفتاح » ففتحتها فوجدت إبراهيم يطلب من صلاح أن يعطى الأطفال والأسر المحتاجة ستين جنيهاً ويفضل إعطاء المبلغ لأربعة أسر ممن لازال عائلوهم فى المعتقل ، ويعتبر هذا المبلغ ديناً له لدى إبراهيم . .

فحزنت أشد الحزن ، حيث أصبح إطعام الفقراء واليتامى أمراً يحتاج لكل ذلك الحذر . .

فنزلت إلى الدكتور نجيب الكيلانى وأنا مهموم حزين تسلط على الفكر والشعور بالألم . . ونقلت للدكتور نجيب ما أحس به من حرج أمام الله ، أولا حيث أنى بتمزيق الخطاب أكون قد منعت خيراً يصل إلى فقراء فقدوا آباءهم وكل ذنبهم أن قالوا ربنا الله . .

وأحس بالحزن على أموال البلدة يتمتع بها أعداء نهضتها وأعداء مستقبلها والخيرين فيها . .

وقال الدكتور نجيب : اعتبر نفسك لم تقرأ شيئاً ، وحافظ على نفسك . . وأخذت بنصيحة د . نجيب ونسيت الموضوع . . وذهبت إلى كلية الطب بعد ذلك بشهرين ووجدت زميلا يقول لى : دكتور سعيد عبيد ! !

وسلمت عليه وكان يعرفنى عندما كنت أزور أخاه وكان لايزال صغيراً . .

وانتحيت به جانباً وأخبرته بأمر الرسالة فقال لى : اعتبرنى لم أسمع شيئاً . .

فقلت له ومن يكون صلاح عبد الفتاح ؟

فدلنى على عنوانه . . فأخذت طريقى إليه . .

وأخبرته الخبر . . وقال : هل أعطاك نقوداً ؟

قلت لا : ولكنى على استعداد للدفع ثمانين جنيهاً ، وقد سألت من قبل عن أسر أو طريق يوصل بعض زكاة مالى لهذه الأسر ولم أوفق ، وإذا وفقت إلى الحرص فى إعطاء المحتاجين من الإخوان فستكون صلتك بى ولا شأن لإبراهيم بنا . .

ووافق صلاح وأعطيته ثمانين جنيهاً بعد أن علمت منه أنه يعرفنى وذكرنى بأحداث تقابلنا فيها . . وكتبت خطاباً لإبراهيم قلت له فيه إننى سأحضر فى عمرة قادمة وتكون فرصة للتلاقى . .

وربما اشتريت عربة كبيرة تساعد على سفرى الكثير ، وكنت أقصد من هذه العبارة ألا يرسل نقوداً ، وأن يعلم أننا حين نتلاقى إن كان يريد توصيل أى مبلغ فنتدبر الأمر معاً . .

ويبلغته سلام د . سعيد وسلام صلاح . .

وبعد مدة جاءت رسالة منه يسأل هل أعطيت الرسالة لسعيد ؟

ومزقتها بعد قراءتها وأحسست بالخطر يدنو مني . . وبعد تفكير مضن أرسلت له رسالة أقول : إننا بخير وسأحضر حسب الميعاد !

وجاء صلاح لزيارتي بالزقازيق وأعلمني أنه أرسل الثمانين جنيهاً لعدد من الأسر وأعطاني كواعب حوالات بريدية ظلت بيدي وأنا مدهوش..

واستأذن وخرجت معه ووجدتني أمزق كواعب الحوالات والتي بها في الشارع قبل قراءتها . .

كنت أذكر مضمون القصة ودهشت لنديم يسألني عن تفاصيل كنت نسيت ذكرها . .

سألني عن الذي كان بيدي وأنا أودع صلاح وقلت له : كواعب الحوالات . .

وسألني : عن الميعاد الذي ذكرته في خطابي وأقنعته بصعوبة ، أن الميعاد هو العمرة التي كنت أود القيام بها ، وأن أعتب على إبراهيم الطريقة البوليسية التي لجأ إليها في إطعام فقراء الإخوان ، لو حدثني بشأنهم فأنا أكسب بحمد الله ولقمت بواجبي دون ذلك اللف ، والمبلغ الذي استعد لدفعه لايساوي تعريض ثلاثة رجال لزبانية حمال . .

وسألني عن العربة المرسيدس وقلت له بصراحة كنت أود أن يفهم منها ألا يرسل نقوداً لأني كنت أخشى مغبة إرسال النقود . .

وقال نديم : تريد أن تقول : إن إبراهيم لم يعطك نقوداً ؟

أقسمت له أنه لم يعطني نقوداً ولم يقم لي بأدنى تحية .

— إذن كيف تدفع من جيبك ؟

— إن الذي أدفعه زكاة مالي .

— ولماذا لا تعطي زكاة مالك إلا للإخوان ؟

— الزكاة تعطى للفقراء عموماً ، وأنا أعطي للإخوان ولغير الإخوان . .

— ألا تعلم أن أسر الإخوان تنفق الحكومة عليهم ؟ وجمال عبد الناصر رجل رحيم لم يعاملهم بعملهم ، فهو يرسل لأسر المعتقلين مرتبات المعتقلين ، ووزارة الشئون الاجتماعية تقوم بواجبات نحوهم علاوة على ذلك ؟

— أنا قلت لصلاح اعط المحتاج فقط ، والله تعالى يقول . « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

— وكيف تضمن أن المبلغ لن يستعمل فى التآمر ؟

— أنا أكدت على صلاح أن المبلغ زكاة وهدف إعطائه : كسوة عار أو إطعام جائع أو إغاثة ملهوف .

— هل تعلم أن المبلغ الذى ذكره إبراهيم فى خطابه سيكون شهرياً ؟

— إن ما قرأته وفهمته من الرسالة قبل تمزيقها هو إخراج ستين جنيهاً دفعة واحدة . .

— ليه أعطيت صلاح ثمانين ولم تعطه ستين ؟

— كنت أحس بالحرج لفتح الرسالة ظناً منى أن فيها بعض المتاعب . . فوجدتها تهدف لأمر لا أنكره ، ولذلك قمت به عن طيب خاطر .

— والطريقة التى كنت ستأخذ بها المبلغ من إبراهيم ؟

— أنا دفعت المبلغ من زكاة مالى ولا أنتظره من إبراهيم أو غيره . إنما قصدت به وجه الله .

وقال فؤاد علام : أتعرف محمود مرجان ؟

— نعم أعرفه ، بس ده موضوع قديم جداً . . وهنا بدأ الإجهاد يبدو على ، وحين سئلت عن محمود مرجان سألنى عن عمله فبدأت أرتاب فكيف يسألنى عليه ولا يعرف عمله . وقلت له : فى اللاسلكى — وأنا متضايق .

— موضوع قديم جديد . . اذكر نشاطك كله . . وأنت فهمت الآن أننا لم نظلمك . .

وأعطونى أوراقاً وقلماً وطلبوا منى كتابة النشاط الخيرى ، الجديد والقديم ، الصغير والكبير . . إنهم آلهة مصر أرادوا تمكين كبيرهم من الزر الحركى يضغط عليه فتقف كل أعمال الخير ، ويضغط على آخر فيتحرك نديم وكل صغار الفراعنة . . وتصفق الأكف ، وتنطلق الحناجر بالهتاف ، ويخطب جمال ويكتب محمد حسنين هيكل ويملأ شاشة التليفزيون وجه الزعيم الخالد والبطل الفريد . .

فى طريقى إلى الزنزانة وصيحات الحراس تنبح : أغلقوا الزنازين . . امتدت يد الحارس الذى معى إلى الأوراق التى بيدى وحاول أخذها ليعدها ، فجذبتها بشدة منه . . وصحت فيه : حتى أنت تريد أن تتفرعن على . . ؟ وقال : دى الأوامر . . ولم أمكنه من عدها . . ودخلت الزنزانة وأغلقت على . . وبدأت أفكر وأحدد موقفى ، والحق أنى تنفست الصعداء وبدأ الأمل يرتفع رصيده فى نفسى . .

— خطابات مسرحية المنشية لا وجود لها فى التحقيق .

— ورقة الاستفتاء بجنازتها وكلاهما غير واردة .

لم تطبخ مؤامرة لقلب نظام الحكم فى مراكز البغى والتلفيق الناصرى وقد استبان الأمر واتضح الاتهام . .

— مساجد تبنى بصفة إخوانية . .

— فقراء أردت المساهمة فى تخفيف البؤس والضياع الذى حل بهم ويريد لهم جمال الضياع والحرمان . . وتعجبت أشد العجب وأنا أستعرض أمرى على الحكمة القائلة : . . من مأمنه يؤتى الحذر « بكسر الذال » .

وتعجبت من قدرة الله .. أنت تريد وأنا أريد .. والله يفعل ما يريد ..

• • •

فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ نادى منادى الحج ، فقدمت طلباً لى ولوالدى رحمه الله ، قدمت الطلب إلى مركز بوليس منيا القمح لصلتى الحسنة بالمسئولين ..

وأنا جالس بالعيادة زارنى صديق وطلب منى بطاقة تحقيق الشخصية ، وقدم طلباً باسمى فى مديرية الزقازيق ، وصدر الأمر بإجراء قرعة علنية وخرج اسمى فى الاقتراع عن طريق الطلب الذى قدمه صديقى ورفض أخذ الدمغة منى وأصر على دفعها من جيبه .. وقابلت الدكتور إبراهيم وكان من المتوقع ألا أقابله ..

وأعطانى الخطاب وكان من الممكن ألا أخاف مما فيه وأن أسلمه لأخيه ..

هى إرادة الله القاهر فوق عباده ..

ومع ذلك لم الحزن والله معك ما دمت تحرص على أن تكون معه ؟ لقد تولى أمرى فى أشد الظروف وأحلكها ، فلم يتركنى لضعفى ولا لظروفى .. سألته كلية الآداب فأدخلنى كلية الطب .. سألته التخصص فى الجراحة العامة أو أمراض النساء فأكرمنى بالتخصص فى الأذن والأنف والحنجرة فى أقصر وقت ، ومن أول فرصة ومن أكون أنا حتى أكون الناجح الوحيد من بين ثلاثة عشر طبيباً تقدموا لدبلوم التخصص وليس بينهم إلا من يسبقنى فى التخرج بعام أو بعدة أعوام .. ؟

كان زملائى يعجبون كيف أجمع بين الدراسة فى كلية الطب والتدريس فى المدارس الابتدائية ، وأنا أعلم الحقيقة التى لا أتواضع

بذكرها ، وإنما هي الحق والحق أحق أن يتبع .. إنها فضل الله وكفى ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

كيف أبخل ببعض ماله والمال كله ماله ؟

كيف أخاف غيره ، وهو خالق كل شيء وغيره أعجز من أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ؟

كيف لا أشكره وهو الرازق ذو القوة المتين .

حفظ ماء وجهي فلم تذل نفسي إلا له ..

وتضيق بي الظروف فأتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، وأذهب هنا وهناك ، وحين تشتد الأزمة يلقاني بوجهه الكريم فأبتسم بعد عبوس ، وأفرح من بعد حزن ..

حطم لي قانون كمال الدين حسين ، القانون الذي أصدره بجواز الانتساب إلى الكليات النظرية أما الكليات العملية فيخير الطالب بين الكلية أو الوظيفة .. من الذي دافع عني ؟ مفتشون لم أوصهم .. ومن الذي قبل شفاعتهم ؟ مدير اشتهر بالشدة والصرامة .. وقال رحمه الله : ينبغي أن تمنحه الدولة نيشاناً ! ! والحمد لله لم تمنحني الدولة نيشاناً ، وماذا أعمل بنياشين دولة تكرم أعداء الله وتهين أحبابه .. ؟ ماذا أعمل بنياشين منحت للذي يقول : ينبغي أن نقلد الغرب في خيره وشره .. وللذي يقول : يجب أن يسحق تراثنا الإسلامي ، ونلحق بركب الحضارة الغربية ، قبل أن يفوتنا القطار ؟ ؟

ومنحت النياشين للذي يقول : إن الوحدة « الناصرية » أشمل وأعم من الوحدة المحمدية ؟

— ماذا أعمل بنياشين سيندثر أصحابها في التراب ، وتبقى النياشين الأدلة الدامغة على النفاق والملق ! !

لقد غمرنى الله بنعمه فزادتني معرفة به ، واستدلالا عليه ، وتقرباً إليه .. ماذا أقول فى المقادير ، والمقادير يجريها القدير .. ! !

* * *

بدأت قصتى مع محمود مرجان سنة ١٩٥٧ بعد مذبحة طرة ، وقتل جنود جمال فى هذه المذبحة ٢١ سجيناً إخوانياً وجرح ٨٣ وعلمنا بها فى اليوم التالى ، حيث كان من نصيب الإسكندرية ثلاثة شهداء :

١ ــ السيد على محمد ــ تاجر نحاس بكفر عشرى بالقبارى ..
٢ ــ إبراهيم محمود أبو الذهب ــ مدرس بالورديان .
٣ ــ محمود عبد الجواد العطار ــ ترزى بالإسكندرية ..

وكنت أعرف من هؤلاء الشهيد السيد على رحمه الله ، ومنذ حكم عليه بالسجن كنت أتردد على أخيه إبراهيم كى أطمئن منه على حال أولاد أخيه ..

وفى أوائل يونية ١٩٥٧ ذهبت لمقابلة الحاج إبراهيم فوجدته مهموماً حزيناً وأسر لى : البركة فيك ، سيد استشهد ودفناه أمس ..

وقع الخبر كالصاعقة على ، وسرت بعيداً عن الحاج إبراهيم ، وفى القلب بركان من الحزن ، وفى النفس ثورة من الألم ، وفى الصدر طوفان من الزفرات ..

كان سيد على رحمه الله من الإخوة المجتهدين فى حفظ القرآن ، ودراسة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ينهى عمله فى دكانه المتواضع مع نهاية اليوم ، وأذهب إلى شعبة اللبان أجده جالساً بين كوكبة من الإخوة الكرام يحدثهم بما أفاض الله عليه من قرآن ومن حديث ، فأعجب أشد العجب ..

إنه يعالج موضوع حديثه بطريقة لا يستطيعها علماء تعلموا فى الأزهر .. كنت أحب رؤيته . وأحب سماعه وأعتبره الدليل على

نجاح دعوة الإخوان .. تجعل من فرسان النهار رهبان الليل والذين لم تساعدهم ظروفهم على التعليم يتحولون إلى دعاة يذكرون بآيات الله وبأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم . وكان (سيد على) ضيق الحال ، وعمله يسد ضرورياته ويستره ، ويدفع فى أول كل شهر عشرة قروش تساعد فى إيجار الشعبة ونورها ومائها وأدواتها ..

وحوكم على أنه من جهاز التمويل .. ودهشت من قلة حياء المدعى والناصرية وهم يقدمونه على أنه فى وزارة مالية الإخوان ..

وقابلت الأخ المهندس محمود مرجان ، وكان يسكن فى الورديان بمنزل الدكتور محمد البكرى ، وشكا لى من أن أسرة المرحوم إبراهيم أبو الذهب فى محنة والوضع فى أسر المعتقلين مؤلم وقلت له : فلنحاول فى نطاق أصغر عدد ممكن تثق فيهم أن تجمع مبلغاً نخفف به آلام الجوع واليتم والثكل والحرمان ..

ووفى المهندس محمود فكان يقابلنى أول الشهر ليأخذ منى جنيهاً فإذا لم يقابلنى دفع من جيبه إلى أن يلقانى ..

وطالت الفتنة وسقط ضحايا . وأصبح إطعام الثكالى واليتامى تهمة شرع لها جمال قانوناً ، وأطلق عليها « التعاطف مع الإخوان » ليس من الشرط أن تثبت التهمة ، بل يكفى أن يكون المتهم مشهوداً له بالحرص على أداء الفرائض وتحوم حوله شبهة إطعام يتيم أو أرملة لأحد شهداء الإخوان ، أو مساعدة أسرة معتقل أراد له جمال الموت ولن يعطف على أسرته إلا مناوئ لجمال .. واعتكف محمود عنى وكان «على» — ابن الشهيد سيد على — عندى فى مدرسة الحمالين وساءنى منظره وكلما رأيته أثار حزنى وحرك آلامى وشجونى .. ففكره شارد لا يركز فى دروسه ، وأصبح مظهره ينطق باليتم ، ويزداد حزنى كلما تذكرت

أباه ، يكافح ليكسب من حلال ، ويقرأ ليتعلم من جهل ، ويعظ غيره لينقذه ، من جهالة وضلالة ، ويحاكم ويسجن ثم يقتل ، وعلمت أن أخاه كشف عن جثته حين جاءته ليلا وأريد لها أن تدفن ليلا ، فوجدها متهتكة بوابل من الرصاص .. وعلمت فيما بعد أن شهداء الإسكندرية اعتصموا بزنزانة وتقدم جند عبد الناصر « الأبطال » فاستعملوا العنف ليفتحوا الباب وليمطروهم بوابل الرصاص فى الزنزانة .

وحين تخرجت من كلية الطب فتحت عيادة وكثرت النقود بيدى وعلمت بخروج المهندس أنور ندا فذهبت لأهنئه ولأقول له إنى على استعداد لمساعدة أسر الإخوان المحتاجين ، وقال المهندس أنور لا أعلم أن هناك أسرا محتاجة .. وفرحت لهذا الخبر .. ولم أفكر فى أن المهندس أنور ناله من الفتنة ما يخيفه من هذا الطريق الشائك .. أو ربما كان يخاف على وهو الأرجح ..

لذلك حين قرأت رسالة إبراهيم لصلاح .. لم يهدأ لى بال ، وحين سنحت الفرصة أخذت طريقى لصلاح ..

ازدحم فكرى بالماضى وآلامه ، وامتلأ قلبى بمرارة الواقع وأحزانه ، والقضية التى أصبحت بصددها إن كانت طمأنتنى على نفسى بعض الشىء فقد فتحت نافذة على أسماء جدد سيعلقون كما علقت ويفتنون كما فتنت ليذكروا أسماء يسخن بهم جمال تراب الثورة بعد نفاد حديدها ..

من من هؤلاء اعتقل قبلى وذكر اسمى ، ومن من هؤلاء سأجره إلى المعتقل بمجرد ذكر اسمه .. ليعلق ويضرب ويسب دينه ويتكلم عن نشاطه الإخوانى ، وقد أصبح واضحاً أن النشاط الإسلامى هو النشاط الإخوانى ..

مادام المسجد يبنى بصفة إخوانية ..

وإطعام الجائعين يتم أيضاً بصفة إخوانية .

والتواصي على الأمرين فيه تعاطف يمنعه القانون الناصري ..

وأصبحت آلامي الفكرية لا تقل عن آلام قدمي المتورمتين أو جسدي الذي خرج من التعليقات الثلاث منهوكاً محطماً ، ربطه بالحياة الأجل الذي قدره الله ، ولم يكن في استطاعة زبانية جمال أن ينقصوه ولو لحظة واحدة ..

دخل الحارس ونبهني إلى الأكل وشجعني في صوت دون الجهر ، والأكل متوافر ولكني راودت نفسي مرات أن أضرب عن الطعام ، وضحكت لذلك الخاطر السخيف ، لقد كان لذلك حساب أيام الطاغية فاروق ، أما في عهد طغيان جمال ، فلا حساب لإضراب إنسان عن الطعام ، وهو الذي يمنع الغذاء والكساء عن ضحاياه في داخل معتقلاته وفي خارجها .

تذكرت يوم أن كنت طالباً بالسنة السادسة بمدرسة المعلمين بشبين الكوم ، وأعلنا الإضراب عن الطعام حتى يتحسن وضع المدرس الإلزامي ، وكانت الحزبية تحكم مصر ..

أعلنا الإضراب والاعتصام بالمدرسة وتحرك مدير الأمن والمسئولون ينصحوننا بألا نواصل الإضراب عن الطعام ، وأن نمنحهم فرصة الاتصال بالمسئولين ، وقام الخطباء منا يتشددون . . ويتحرك الصحفيون ويتحرك أيضاً الهلالي وزير التربية والتعليم في وزارة الوفد ، يؤكد القول بالعمل لنقلع عن الإضراب . ويعلم الله أننا أعلنا إضرابنا والأكل مخبأ في حقائبنا .. كيف أقارن بين عهد وعهد .. ؟ إن الأقلام المأجورة والأفكار السقيمة تشترط ذلك الذل ، تشترط إزهاق الحرية كي تتحول من عهد ملك مستخف إلى عهد طاغية مستبد ، فرض علينا أن نعيش لهوى الحكام يبيعون فينا ويشترون ونحن نتحرك بقدر ما يريدون لنا ، كأننا دمى في مسرح العرائس . .

وليتهم حركونا لمصلحة بلدنا فنحس بالهدف من تحركنا ، ونشعر بالمكاسب المنتظرة لبلدنا ، إنما الحقيقة المرة الواضحة أمام أعيننا أننا نتحرك لإرضاء هوى الرئيس . . نحقق له الإمبراطورية الهاتفة باسمه والمتحركة بإشارة من يده ..

« لك الله يا مصر » .. عنوان آخر مقال كتبه أبو الفتح .. واحتفظت بالمصرى مع كثير من جرائد الإخوان ومقالات الأحرار حتى اشتد الكرب واستبد بنا الخوف .. فأحرقتها فى سنوات العار والهوان والذل الناصرى ..

لك الله يا مصر ، ابتلاك حظك العاثر بجمال بعد فاروق ، وعز على جمال أن يتحقق انقلاب أبيض ناصع البياض ، فلطخه بالدم والسجن والاعتقال والإذلال ليكبر ويعظم ..

لك الله يا مصر ، كيف تتقدمين بغير حرية ، كيف تنهضين بغير قانون ، وكيف نؤمل فى المستقبل وأبطالك فى السجون والمعتقلات وخارج أسوارك مشردون فى شتى البلاد ؟ صبروا على شرب ماء غير مائك ، واستنشاق عبير غير عبيرك ، وهل لهم اختيار ؟ هكذا أراد جمال .. صانع الأزمات ، والمرجى للخروج منها ؟ !

أيها العقل لا تحاول التفكير فقد أضنانى الفكر . .

أيها الرب الرحيم ، آمنت بقدرك فلن أسخط ، واطمأن قلبى إلى حكمتك فلن أجزع ، .. فاللهم اجعل ما أنا فيه كفارة لذنوبى ، وبداية توبة تثبتنى على صراطك ما أحييتنى ، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون ..

لك الله يا مصر .. هؤلاء الحمقى سيذهبون ، ويرثهم من نرجو على أيديهم إصلاح ما أفسد المفسدون ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، فإن

مع العسر يسراً ، ومع الضيق فرجاً ، ومن ساءه زمن ، سرته أزمان ورحم الله القائل :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفــرج

جلست لأكتب ، القلم يترنح بين أصابعي الواهنة ، والأفكار لا تساعدني على تحديد ما أكتب وما أدع ؟ إنهم يريدون أسماء . ولم تتضح الرؤية أمامي أهي مذبحة ثالثة ، بعد مذبحة ١٩٥٤ ومذبحة ١٩٦٥ وفي ١٩٧٠ يعد جمال مذبحة ثالثة يسخن بها تراب الثورة بعد الفشل الذي ذهب بحديدها ..

لقد هددني نديم بإسماعي تسجيلات بصوتي .

وهددني بخطابات جاءت من الإخوان في الخارج واحتجزها لأن الناصرية تسطو على الأسرار كسطوها على الأموال والأفكار .. وأمرني بكتابة من أعرف من الإخوان في داخل البلدة وخارجها .. وبدأت أملأ الأوراق بأسماء الذين سبق اعتقالهم وسجنهم ، والذين سبقونا بالإيمان ، وذكرت أسماء كل الإخوان الذين سافروا إلى الخارج بغير تحفظ ..

وبقي الأمر المحير بحق ، إنهم الذين يستطيع نديم إحضارهم إلى هذا العذاب بالتليفون كما هدد ..

لقد ذكر اسم المهندس محمود مرجان والدكتور محمد البكري . هذان الاسمان لم يسبق اعتقالهما ولكنهما واردان في النقاش ..

محمود له نشاط ثبت في النقاش .. ولكن البكري يستحيل أن يكون لديهم ما يدينه ..

ولا أدري لماذا استولى على تصور الدكتور البكري معلقاً ويقول الأفاكون : صديقك هو الذي اعترف عليك بأنك عدو الناصرية وقائدها المعلم والزعيم .. حاولت جاهداً أن أصور البكري بصورة الطالب

المجد فى دروسه والذى ليس لديه وقت يشغله بالسياسة فضلا عن العمل بنظام يعاديها ..

وذكرت قصتى مع محمود مرجان ولم يكن لدى أدنى شك فى أنه سبقنى إلى المعتقل .. ومما قلته وأحاول تذكره :

يعلم الله أنى ما زدت على اشتراك شهرى لإطعام أسر أضناها الجوع وعذبها الحرمان ، وهزها اليتم ولا مصلحة لأى نظام فى إبقاء اليتامى والثكالى جائعين .. والمبلغ المجموع كان لا يفى بأكثر من الخبز والملح لأسر هزها الحزن ..

وقلت : أنا لا أحقد على الثورة ولكنى كنت أودها ثورة تقف إلى جانب الإسلام لا أن تضربه ، فليس من مصلحة الثورة محاربة الإسلام ، فللإسلام أنصار ، ومع الإسلام العدالة والبركة والنصر .

وقلت : إن الثورة أخطأت فى ثلاث حروب كنا فى غنى عنها :

قلت : إن حرب اليمن فتحت أعين الدول الكبرى علينا ونفرت الدول العربية منا .. والثورة أخطأت باستفزاز أمريكا .. ثم كانت نكبة الحرب التى خضناها وخسرنا بها خسارة كنا أغنياء عنها . .

وبررت ما قمت به مع محمود مرجان وصلاح بأنه ليس إحيـاء للإخوان المسلمين ، وإنما هو فرض إسلامى بإطعام أطفال من حقهم علينا أن نملأ بطونهم بالخبز بعد أن ملئت قلوبهم بالحزن واليتم ..

الحقيقة أنى كنت أود أن أقلل من الأسماء خشية تعرضها لهذا الهول من الفتنة القاتلة ..

ولذلك أسرفت فى أسباب ضيقى بتصرفات ثورة كنا نرجوها بدون التخبط الذى سارت به .. فما كانت فى حاجة إلى الاصطدام بالإخوان وهم أول من ساعدها وأيدها .. وهاجمنى شيطان الشعر فأمسكت ورقة وكتبت :

بالعدل والإيمان نحرز نصرنا   ما بالمظـالم تستقيم أمورنا

وكتبت خمسة أبيات أخرى ، وكنت أكد ذهنى حين سمعت صياحاً (٢٥) .

فأخذت الورق المكتوب ، والشعر أول ورقة فيه ، ووجدت فؤاد علام جالساً مع نديم واستبشرت بوجوده، وكانت صلاة المغرب حان وقتها ولاحظت سجادة صلاة بالحجرة .. أى والله سجادة صلاة خضراء .. لا أدرى هل يصلى الجلادون أم أنها من عدة الشغل .. فاستأذنتهم فى صلاة المغرب وأذنا لى .. فتوضأت على حوض بدورة مياه داخل الحجرة وصليت المغرب وحين سلمت لم أجد فؤاد علام !

وجلست وبدأ نديم يقرأ الشعر وبدلا من أن يظهر إعجابه به مزق الورقة وقال : لدينا عمل Busines والحقيقة أننى ارتحت لتمزيق ورقة الشعر ، وبخاصة عندما نطق كلمة « عمل » باللغة الإنجليزية Busines وكأنه بذلك قد ربط جاهلية الناصرية بالعالم المتحضر ..

وقد كان عندى إحساس بأن الورق الذى أكتبه يعرض على جمال ولم يكن فى الأبيات الست أى نفاق أو تملق ومطلعها وحده يكفى ولايزال عالقاً بذهنى ، بالعدل والإيمان نحرز نصرنا (العدل) الذى دفنته الناصرية واكتفت برفع شعاره ، ... (والإيمان) الذى ضربته ولا تزال تضربه ..

« ما بالمظالم تستقيم أمورنا .. »

(المظالم) التى هى روح الناصرية ولحمها ودمها ..

تتبعت نديم وهو يقرأ ما كتبته وكان أكثر من أربع ورقات ، وعند عد الأسباب التى آخذها على الثورة من حرب اليمن ومن حرب اليهود ومن وراءهم بطريقة غير مدروسة ، لم تقدر عواقبها .. قال نديم : كلنا عارفين إن دى أخطاء .. ! واستمر حتى انتهى ثم قال : أنت

لم تقل كل ما عندك وأومأ للحارسين وقبل أن يتقدما انتفضت واقفاً ، وصحت بأعلى صوتى : لا .. ولا .. ولا ..

لن أعلق إلا جثة هامدة ، ولوحت بيدى فى قوة لا أدرى مصدرها وفى إصرار ينادى : هبى ريح الجنة فقد بلغ الطغيان مداه ، ولأن يتسلم أهلى جثتى خير من تعليقى مرة أخرى ..

وقلت له : ماذا تريد بعد أن قلت كل ما عندى ؟ كان عندى كلام وقلته ، والآن وبعد تعليقى ليس عندى إلا الأكاذيب أكذب على الأبرياء وأدلكم على رجال الاتحاد الاشتراكى لتعلقوهم وليذوقوا بعض الذى جرعتموه لى !!

أشار نديم إلى الحارسين ليبتعدا بقيدهما والقضيب الحديدى ، وجلس وأشار لى بالجلوس ..

وقال : أنت لم تقل كل ما عندك ..

وقبل أن أجيبه دخل فؤاد علام ..

وأخذ فؤاد علام الأوراق وقرأها من غير شعر لا أدرى ، لعل نديم أراد خدمتى بذلك ، لعل بعض المعارف أوصوه .. لا أدرى .

وقال فؤاد علام : طيب يا دكتور جابر ، الدكتور نجيب كيلانى حذرك أهو .. أمال ليه غلطت ؟ قلت : لم يكن لى هدف إلا إطعام الأفواه الجائعة إن ثبت غير ذلك فأنا أتحمل نتائج أى تصرف يثبت على .

ـ أنت لم تقل كل الذين أعطيتهم نقوداً ، لقد اعتقلنا كل الإخوان وكلهم اعترفوا عليك فلا داعى للإنكار ..

ـ أسرة فلان ؟

ـ أعطيتها مرة واحدة ..

ـ طيب وأسرة أنور ندا .. ؟

ـ إعطونى فرصة لأفكر ويذكر بعضنا بعضاً ، إن كان أنور ندا

قال ذلك فأنا أوافقه ، ولكن افسحوا صدوركم واسمعوا هذه القصة :
حين نجحت فى التوجيهى وقبلت أوراقى فى كلية الطب إحتجت إلى خمسة جنيهات أكمل بها المصروفات فذهبت إلى المهندس أنور ندا وقدمت له إيصالا بخمسة جنيهات ، فأعطانى ، خمسة جنيهات والإيصال وأصررت على إعطائه الإيصال فمزقه أمامى .. وأظن أن رد الديون شيء واجب ..

ــ ولكن أنور قال أنك دفعت أكثر من ذلك ..

ــ واجهونى به ليذكرنى ، وأنا أثق فى كلامه وذاكرته .

ــ إيه الضمان اللى يمنع الإخوان من استغلال مالك فى تدبير مؤامرات ؟

ــ إن كان حدث أى تآمر بسبب المبالغ التى دفعتها فأنا متحمل المسئولية كاملة ..

واستلمتنى أسئلة نديم ، أوتكررت أسئلة مملة ، وأحسست بدوار قاومته ، ولكنى رأيت نديم يقول : فيه إيه .. ؟ أنت عرقت ليه ؟ .. وهويت على الأرض .. جلست مائلا على يدى ، وقاومت نزول رأسى على الأرض ، وغرقت ملابسى فى عرق غزير .. وحين أفقت لأستجمع ذاكرتى وأثوب إلى رشدى .. شجعنى نديم وطمأننى بقوله .. خلاص مفيش ضرب ولا تعليق بس ماتخبيش ولا كلمة وأنا حذرتك من أول التحقيق من أننا نعلم كل شيء ..

ــ سبحانك يارب أنت وحدك الذى تعلم كل شيء .. ولكن حمال يقول : إننى أعلم الرجعيين .. ويدعى نديم بعلم كل شيء .. أفلا كان الأجدر بهم أن يعلموا أين ذهبت أموالنا ؟ وأن يعلموا المصائب التى جروها على مصر والمصريين ! !

وذكرتنى الإغماءة التى اعترتنى بما تندر به جمال سالم وهو يقول للمستشار منير الدلة رحمه الله :

ـ أنت عرفت ليه ؟

كانوا أبطالا ، والفرق بين أسئلة نديم وأسئلة جمال سالم فرق شاسع وزنازين الكلاب البوليسية ومكاتب كلاب المحققين كان أمرها شائعاً بيننا . . فكيف تحملوا العذاب ، وكيف وقفوا الساعات الطوال يردون على أسئلة أريد لهم بها أن يظهروا أمام المشاهدين بغير كرامة وبغير رجولة . .

فرأينا المرشد برغم سنه ومرضه ، ورأينا إبراهيم الطيب وسيد قطب ويوسف طلعت ومحمد نصيرى وعبد القادر عودة وغيرهم ، أبطالا تباهى الرجولة بهم الأزمان وتفخر بهم على مدى العصور . .

سئلت بعض أسئلة معادة ، وقال العقيد فؤاد علام :

ـ قل لنا يادكتور جابر : لماذا تكره جمال عبد الناصر ؟

قلت : أنا أجبت على هذا السؤال فى الورق فليس بينى وبينه عداء شخصى ، وإنما كنت أود ألا يعادى الإخوان وينزل بهم ذلك البلاء ، والعذاب الذى تلقيت مثله منكم . .

وفى نفس واحد قال نديم وفؤاد علام :

ـ أنت متعذبتش ! !

ـ إزاى ، يومين تعليق وضرب ولم أعذب ؟

ـ لا ، دا انت حظك كويس دانت جيت فى الهيلتون .

ـ هيلتون . . ؟ لكل واحد قدرته والذى أنزلتموه بى كان أكثر من قدرتى وقلت ما تعرفونه وما لاتعرفونه . .

ـ انت غلطان اللى نعرفه أكثر مما قلته ، واعترف إخوانك بسرعة وانت السبب فى الحاجات البسيطة اللى حصلت دى . .

وسار معى نديم إلى الزنزانة وقال للحارس ادخلوا له سريراً ، ووضعواالسرير .. سررت حين رأيت أن السرير دون ما كتبه الفلسطينى .

« كنت إذا اشتد الكرب أفكر فى الجوء إلى مصر ، والآن إلى من ألجأ ؟ »

ورأيت فؤاد علام بعد ذلك مرتين فى معتقل طرة ! جاء فى الأسبوع الثانى من مايو سنة ١٩٧١ واستدعانى ، وهذا الاستدعاء تعوده الإخوان قبل الإفراج . . وبعد أن أقنعنى الإخوان بأنى جئت فى هيلتون الناصرية . . وبعد أن كشفوا لى عن أرجلهم وأجسادهم وأكاد لا أصدق أن الآثار التى أراها هى كرابيج زبانية جمال بطل المنشية ، وبطل السلام ! لقد نزعت كل الجلد وبدلته بجلد آخر ، تراه فى الذين يصيبهم حريق كاسح . . وقال لى الأستاذ أحمد أبو شادى : كان الله معنا . وقص قصته . . علق ونزلت الكرابيج عليه كالمطر . . وعاد إلى زنزانته كسيحاً وتورمت رجلاه ، واشتدت بهما الآلام وارتفعت حرارته ، وربط منديلا على رأسه يقاوم صداعاً ألم به . . واستدعى مرة أخرى بعد أيام ورآه فرعون صغير ، فسأله عن سبب ربط المنديل على رأسه فقال : عندى صداع شديد . . وأمر له بخمسين أسبرينة . . وصرف له الجلادون خمسين كرباجاً . . وجلس بجوار الحائط بعد دوامة الجلد . .

ويقول الأستاذ أحمد أبو شادى : لم أحس بالضرب فى المرة الثانية ، فقد تعمد الجلادون ضرب رجلى المتورمتين . . وبعد دقائق من جلوسى أحسست براحة لم أعرف سببها ولم أستبنها إلا بعد رؤية صديد غزير سال من رجلى وبلل الأرض من تحتى وكأن الجلادين قاموا بعمل الأطباء والجراحين ، وجدتنى أنسى من حولى وأقول : .. الله .. وصاح الفرعون الصغير : بتقول إيه يا . .

استدعانى فؤاد علام وذهبت إليه ، لم أكن خائفاً من تعليق فقد انتهى التعليق بموت جمال ، ولم أكن وجلا من بقائى فى المعتقل فقد

أرانى الله من آياته ما ثبتنى وطمأننى على نهاية الطغاة فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . .

ــ قلت : السلام عليكم ورد فؤاد علام السلام بابتسامة . .

ثم قال : لعلك أخذت درساً ! !

قلت : وأى درس ؟ ولكنى لم أعلم خطيئتى بعد . .

قال : تعطى صلاح نقوداً وانت لا تعرف أين مصيرها . .

قلت : زكاة مالى أعطيها للفقراء واليتامى ليأكلوا . . ويستعينوا على ضروريات الحياة بعد أن مسهم الضر والبلاء . .

قال : ولماذا لا تعطى زكاة مالك إلا للإخوان المسلمين ؟

قلت : أعطى زكاة مالى للإخوان ولغير الإخوان ، فلماذا لا أعطى الإخوان وأعطى غيرهم ؟

القضية التى بينى وبينك أنت وندم لن يقضى فيها بشر فى الدنيا ، وسأضعها فى يد الله يقضى فيها يوم القيامة . .

التهمة : تجديد مساجد وإطعام فقراء . .

والدرس : اعتقال وتعليق وضرب وسب دين وإذلال . .

وصدقت فى وعدى ليعلم فؤاد علام ، أن الإخوان صادقون وليسوا كما نعتهم عهد « ارفع رأسك يا أخى » وقد رفع إخوانى قضايا وكسبوها أما أنا فقد رفعت قضيتى لله رب العالمين ، لمن لايضل ولاينسى ، لمن يقول وقوله الحق . « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين . . » الأنبياء .

وفى نفس اليوم استدعى فؤاد علام ، الدكتور صلاح عبد ، وقد اعتقلته المباحث من المطار وهو قادم من ألمانيا لزور أهله ، وكل ذنبه أنه أطلق لحيته وانضم لدعاة الإخوان فى ألمانيا يبشرون بالإسلام عقيدة وشريعة . .

استدعاه فؤاد يسأله فى رسالة أرسلها لزوجته بألمانيا يصبرها ويثبتها ، وبدلا من ترك الرسالة تذهب لزوجته المفجوعة فى زوجها المعتقل تلقفها رجال المباحث ، وجاء فؤاد علام ليقول له « كيف تقول لزوجتك اصبرى على الجهاد . . »

وقبل أن يخرج الدكتور صلاح من عنده قال له فؤاد : لن تخرج من المعتقل مدى الحياة .

* * *

كان حظ الأستاذ السمان طيباً . فقد تعمد أن يبعث ــ عن طريق إدارة المعتقل بمذكرة من بضع عشرة صفحة ، إلى الدكتور محمود فوزى رئيس مجلس الوزراء يومئذ كانت بمثابة وثيقة تاريخية تدين عهد الناصرية بم لم يدن به عهد محاكم التفتيش ، والأستاذ السمان قضى بالمعتقل ستة أعوام حسوما دون أن يوجه إليه سؤال واحد ، ولقد استدعى إلى المحكمة بباب الخلق لإعادة محاكمته عن كتابه « الإسلام حائر بين أهله » الذى سبق للمحكمة أن أفرجت عنه فى عهد فاروق عام ١٩٥١ واستدعى بعد ذلك مرة أخرى لمحاكمته عن كتابه « نحن والقرآن » والذى ووفق على طبعه من جميع الجهات عام ١٩٦٤ ، وفى هاتين المحاكمتين لم يوجه إليه سؤال عن اعتقاله . . .

إن المذكرة التى تعمد إرسالها إلى الدكتور محمود فوزى عن طريق الإدارة كانت وثيقة تاريخية أدانت العهد الناصرى ، كان فى استطاعته أن يبعث بها بعيداً عن طريق الإدارة ، لكنه تعمد أن تطلع عليها إدارة المباحث العامة ــ ولقد قال لقائد المعتقل عبد العال سلومة : « إننى واثق من أن المذكرة لن تصل إلى الدكتور محمود فوزى ، ولكنى أردت أن تكون مرآة ينظر فيها رجال المباحث ليروا أنفسهم على حقيقتها » جاء فى هذه الوثيقة التاريخية : إن عهد عبد الناصر أكرهنا

على أن نكره بلدنا ، والفلاسفة يقولون : شر مافى الحياة أن يكره الإنسان وطنه . . وكان حظ الأستاذ السمان طيباً لأنه لم يستدع للتحقيق معه بشأن المذكرة ، بل إن زوجته المربية الفاضلة والسيدة المجاهدة كتبت رسمياً إلى حسن طلعت تستفسر عن مصير المذكرة التى أرسلها زوجها عن طريق الإدارة إلى السيد رئيس الوزراء ، وكان رد حسن طلعت مدير المباحث . أن بعث إليها من يطلب منها أن تطمئن ، وتعمل على أن تهدىء من ثورة زوجها . .

• • •

بعد التحقيق

فتح باب الزنزانة ، ومر علينا الحراس يطلبون إلينا كتابة مانريد شراءه ، من الخارج ، ودهشت من أن صلتنا بالخارج لم تنقطع ، وأكد ذلك ماذكره فؤاد وندم من أننى فى هيلتون المعتقل ، وأكد الحراس ذلك ، فلم يعد هناك بد من تصديقهم بأننى فى هيلتون الناصرية العجيب . .

ويمتاز هيلتون القلعة بالغذاء فهو بكثرة وأصنافه لابأس بها ، ويفى بحاجة البؤساء الذين لايجدون ما ينفقون . . وعرفت هذه الحقيقة حين ذهبت إلى معتقل طره فوجدت غذاءهم ليس فيه ما يؤكل — إلا الخبز . . أما الباقى فيذكرنى بطين الشوارع فى الشتاء يتحاشاه المارة السائرون فضلا عن التهامه ، ولو تقطعت منهم البطون . .

ووجدت فى الزنزانة المواجهة لى أحد المعتقلين لايكف عن المشاغبة فهو يطلب عرضه على الطبيب بإصرار ويشكو دائماً من صداع ، ويعترض على الأكل ويطالب أكلا مسلوقاً ويحضرون له مايريد ، وشجعنى ذلك فطلبت خضاراً مسلوقاً وجاء الخضار المسلوق ومعه ليمونة . .

وسألت المعتقل المشاغب فأعن عن اسمه وتهمته فأخبرنى بأنه عبدالله حسين من طنطا ، وكم حزنت حين علمت أن تهمته « شيوعية » أعجبت بجرأته وضايقتنى تهمته ، وعلمت منه أن المعتقلين فى البدروم

ليس فيهم أحد من الإخوان المسلمين غيرى ، أما الباقون فهم شيوعيون أو بعثيون عراقيون . .

وبعد ثلاثة أيام سمعت صياحاً فى مكاتب نديم وعلام ، ونغصت الأصوات حياتى ، لا أدرى أهم إخوان جرهم التحقيق معى أم هم بعثيون عراقيون أم شيوعيون آخرون ، ومن خلال الهمس مع الصديق الجديد عبد الله علمت أن الشيوعيين لايعلقون وإنما الذى يعلق الإخوان المسلمون . . فقط . . ! !

وعند إغلاق الزنزانة فى الظهيرة سمعت زنزانة قريبة يغلق بابها ويصيح معتقل بها : ليه يارب أنا عملت إيه بس . . استبد بى الحزن وكدت أسقط فارتميت وتمددت على السرير وأنا أردد : ليه يارب أنا عملت إيه بس . . لاتخرج مثلها إلا من مسلم ارتبط بالله قلبه ، وأخلص له فى العمل . . ويجد نفسه معلقاً يضرب ويسب له دينه . . أحسست بنبضى يسرع وبتنفسى يتقطع ، وأعصابى تكاد تتخلى عن ضبط حركاتى وسكناتى . .

هل هذا أحد ضحايا اعترافاتى ؟

هل هذا أحد الذين كنت بالأمس أظنهم جاءوا بى والحقيقة أننى أنا الذى جئت بهم ؟

كيف يقاومون العذاب ؟

كيف تعيش أسرهم من بعد اعتقالهم أو سجنهم أو قتلهم . .

وكيف سيعيش أبنائى وقانون الحراسة موجود ، وقانون العدالة مفقود ، وزبانية عبد الناصر مستعدون ، وأحقاد الناصرية تسرى كالنار فى الهشيم ؟ ؟

وبعد بضعة أيام رأيت بالقرب من باب زنزانة بعيدة عنى معتقلا تفرسته فإذا هو محمود مرجان . . وتبادلنا الإشارات وأول شىء

أردت التثبت منه تاريخ اعتقاله فإذا اعتقاله جاء بعد اعتقالى . . فازداد حزنى . . .

كانت آثار التعذيب تبدو على وجهه وفى حركاته وفى ابتئاس منظره . . .

ومن أول يوم فتحت زنزانتى فيه طلبت شراء مصحف لى ، وجاءونى بمصحف غير متماسك فقسمته أربعة أقسام ، وكنت أحب القراءة فى الزنزانة ، ونسيت مع القرآن نفسى ، قسمت وقتى بين تلاوة القرآن وإعادة حفظه ، وكم عجبت لفكرة ملأت خاطرى وهى أن اعتقالى له سبب واحد :

هو تركى القرآن منذ أن تركت الكتاب ، فلم أعاود حفظه ، بل واستولى على شعور بأنى لن أخرج من المعتقل إلا إذا حفظته كله . والحقيقة أننى شغلت عن مداومة حفظه منذ دخلت مدرسة المعلمين فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ . . كنت أرفع صوتى بالقرآن ولا أبالى بتحذير الحارس . . وارتفعت أصوات أخرى بالقرآن . .

ووقفت متعجباً لآيات القرآن كأنى أقرؤها لأول مرة ، ما مررت بآية من قصة فرعون وموسى ، إلا رأيت التاريخ يعيد نفسه . مامررت بقصة نبى إلا رأيت دين الله يعارضه الجبارون : « وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » الحجر .

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

« ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » ١١٢ و ١١٣ الأنعام .

وقرأت آية وكأنى عثرت على كنز وأنا أتدبر معناها ، طمأنتنى على أسرتى وعلى أسر الإخوان وعلى الإسلام . . مهما اشتد بغى

المتربصين بالإسلام وأهله ، قرأتها ومازلت أقرؤها وسأظل أذكر بها الدعاة فليقرأوها معى : « هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا . ولله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لايفقهون . . » ٧ المنافقون .

سيظل أعداء الإسلام بجمعهم هدف ضرب هذا الدين ، ويبوء مسعاهم بالهزيمة والفشل ، لأن الذى يحفظ بناء الإسلام ليست الجيوب المحدودة ، ولا الأموال المعدودة ، وإنما الذى يحفظه هو من لاتنفد خزائنه ولا تحد قدرته : « ولله جنود السماوات والأرض . . »
« وما يعلم جنود ربك إلا هو . . »

ولم أخرج من المعتقل إلا بعد حفظ القرآن ، وليس خاطر حفظ القرآن هو الخاطر الوحيد الذى تحقق . .

— وأنا أطوف بالكعبة دعوت الله أن يريحنا من بلاء جمال ، فاعترانى خاطر عجيب ، وهو أن اعتقالى سيسبق موت جمال ، وملأ الخاطر نفسى ، وحاولت دفعه فغلبنى واستسلمت له . . وكان النقيب الطاهر يفتش الشقة وذلك الخاطر يملأ قلبى طمأنينة .

ارتبطت بالقرآن ، فأصبح ليلى ونهارى . وأصبح مؤنسى ورفيقى ، وكم حزنت وأنا أتدبر ما يدعونا إليه ، وبعد واقع المسلمين عنه كان يثير إعجابى وأنا أسمعه من فم الشهيد حسن البنا ، ولكنى الآن فى الزنزانة أقرؤه بتدبر يزداد لمعناه إعجابى أيضاً . . إنه شرع الله العادل ، فمن يقارن به شرع المستبد الظالم ؟

وصدق الله العظيم « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون » ٤٤ يونس .

هو شرعه العادل فى الدنيا ، وشرعه العادل فى الآخرة :
« وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . . » ٦٩ الزمر . وما يستوى

العدل والظلم ولا الإله ولا المتألهون ، الإله يقول كتابه : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » والمتألهون يعتقلون المحسنين ويسجنونهم ويقتلون زعماءهم ويدفنونهم فى الصحارى ، ويعتقلون أقاربهم بتهمة إخفاء من قتلوهم ودفنوهم بأيديهم . .

أما لصوص مال الشعب وحريته وأمنه فلهم درجات عند المتألهين وللمتألهين درجات عند فرعون الكبير . . ولديه الدرجات بقدر ما لأتباعه من مواهب فى الظلم والتهريج والترويج . .

اقرأ القرآن ولن تشبع من قراءته ، وتدبر آياته وقف عند نواهيه وأوامره . . تجد عظمة الكنز الذى أكرم الله به المسلمين . .

وبتلاوة القرآن كسبت أصدقاء من الحراس الذين ظن جمال أنهم أعوانه على دعم الزر الحركى ، وأنهم كأسلاك الكهرباء يضغط على زر الحركة . فتسير الأوامر من خلالهم كما تسير الكهرباء فى الأسلاك لاتعترض ولا تتمرد . .

عم بسيونى جزاه الله خيراً ، وأستميحه عذراً وأنا أذكر اليوم اسمه وأذكره بالثناء ، ليعلم الذين ظنوا أن الشر عم وطم ، ليعلموا أن الخير موجود فى الناس مهما حاول الطغاة تحطيم الخير وإنماء الشر . . قلت :

يا عم بسيونى سأنقر على الباب ثلاث مرات فإن فتحت الباب توضأت وصليت ودعوت لك . . وإلا فسأتيمم بالتراب على أحد الجدران الأربعة وأصلى ولن يعفيك أى عذر من عقاب الله . .

واختار عم بسيونى العمل بالليل وكان يفتح لى لأتوضأ وأصلى الفجر . وعلمت منه أن صوت المعتقل (٢٧) والذى يقرأ كل يوم جزءاً من القرآن هو الدكتور محمد الخطيب ، وكان مستشاراً لجمال عبد الناصر . . وعلمت فيما بعد أن سبب اعتقاله أنه أشار على جمال ألا يستأثر بكل السلطة فى يده .

فاعتقله . . وذلك جزاء المشيرين عليه بالخير ، فلم تكن له فراسة محمود فوزى حين استشاره فى الخطوات التى يتخذها حين علم بانقلاب عبد الكريم قاسم فى العراق ، فأجاب محمود فوزى : هذه أمور تحتاج لمواهب الزعامة . . وبهذا نفخ فى جمال وفتح لمكانته درجات فوق درجات . . عمل المستشارين أن يؤمنوا على ما يقوله جمال ، أن يطروا مواهب زعامته ، وأن يظهروا عجزهم عن ملاحقة سرعة بديهته وتفتق حيلته وصواب رأيه ، كان الدكتور محمد الخطيب أستاذاً فى الاقتصاد والعلوم السياسية ، وكان نموذجاً للأدب وحسن الخلق . .

وبعد أسبوع ارتحل العراقيون واستطعت معرفة سبب اعتقالهم ، فقد اختلف جمال مع رئيس وزرائهم فاعتقل العراقيين الذين يعملون بمصر ووجه إليهم تهمة تدبير مؤامرة بعثية ضد الزعيم الملهم والبطل العنيد !

ونقل عبد الله حسين بالزنزانة رقم ٢٤ وأصبح اسمه ٢٤ بدلا من ٢٨ يفصل بيننا الجدار القائم بين الزنزانتين ، فننتهز فرصة ابتعاد الحارس ونقف خلف الباب ونتجاذب أطراف الحديث . فعلمت منه أنباء التشكيل الشيوعى الذى أقاموه بطنطا واكتشاف أمره . وعلمت أنه طالب بالسنة الخامسة بكلية الطب بطنطا ، وسألته عن سبب انخراطه فى الشيوعية ، والإسلام أعظم وأعدل وأروع ، وعلاوة على ذلك الإيمان بالله . .

وكانت إجابته بأنه يتمنى حاكماً كعمر ، ولو كان الإسلام كالنظام الذى حكم به عمر لآثره على أى نظام آخر . .

وقلت له : لعلك لم تسمع أن عمر وأد ابنته فى الجاهلية ، والذى جعل من عمر الحاكم الأسطورى هو الإسلام دين العدالة والرحمة والإخاء . .

فمن طبقه كما أراد الله كان كعمر ، ومن تركه خلف ظهره من الممكن أن يكون كجمال . .

واشترى مصحفاً وأخذ يحفظ قرآناً ، وعجبت لذكائه وقوة ذاكرته ، بعد أيام كتب لوالده خطاباً وقال لى إنه أعجب بآية فكتبها له فى الخطاب ، هى قول الله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير » ولم أخف إعجابى وتفاؤلى حين استمر يقول :

هذه الآية فى سورة الحديد وقرأت آية أخرى فى سورة التغابن : « ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم . . »

وبدأ يكثر من حفظ القرآن ، ويحرص على الصلاة ، وفى يوم الاثنين ٢٦ رجب الموافق ٢٨ سبتمبر بعد اعتقالى بأسبوعين اثنين كنت صائماً وحين علم بصيامى قال لولا الصداع لصمت معك . .

آثرت الإكثار من تلاوة القرآن ، وغلبنى الحنين لأولادى وتصورت ما تعانيه زوجتى من تصريف أمور تشق على الرجل العادى ، وكان أشد ما يؤلمنى حالة والدى فقد توترت أعصابه بعد فقدان بصره ، ولا أدرى ماذا صار إليه أمره بعد افتقاد وحيده بطريقة لا هى موت فييأس من عودتى ، ولا هو يعرف مكانى إن كنت على قيد الحياة أو دفننى زبانية جمال فى التراب ، وقد حاولت أن يسمحوا لى بكتابة رسالة ، وعلمت أن التعليمات لاتسمح . . وكنت أقدر مدى الكآبة التى ستحل بالأسرة والعائلة والمعارف والأصدقاء على السواء ، وعندهم جميعاً فكرة عن الذين تخطفتهم يد الناصرية وأخفتهم عن أسرهم. واختفوا إلى الأبد . . وزاد فى همومى حين تأكدت أنى تسببت فى اعتقال محمود مرجان ، وأن قصته فى جمع النقود لم يكن يعرفها

نديم . . إنهم يعرفون أسماء . . وتذكرت ما اتهمونى به من أننى فى الجهاز السرى وقلت لهم هذا غير صحيح !

قال فؤاد علام : ألم تضرب نار فى الدخيلة ؟

قلت : كنت فى الحرس الوطنى .

قال نديم : تمام ، هوه ده الجهاز السرى ، وضعوك فيه دون أن تحس ، وكذلك محمود مرجان و . . . . .

تذكرت ذلك وتذكرت أسماء الأسر التى أعطيتها نقوداً ، وتصورت النساء والرجال يقيدون ويعلقون ويضربون . .

يارب : أدركنا برحمتك يارب : لاتشمت بنا أعداءك .

يارب : نفد الصبر وليس من دون بابلك ملجأ .

يارب : ظهر الفساد فى البر والبحر ، وعمر الكذب الإذاعة والصحف ، ونزع الحياء من فرعون الكبير ومن الفراعنة الصغار ، واستبد بنا الطغاة ونحن ضعاف كما ترى ، وسخر المجرمون من المؤمنين .

حشروا عبادك فى السجون . . !

هم فى السلاسل يرسفون

جلدوا الظهور مع البطون . . !

قتلوا وهم لا يسألون . . !

ظلموا وهم لا ينقدون . . !

نهبوا وعاشوا للمجون . . !

وطغى وضل المسرفون . . !

عاث البغاة الحاقدون . . !

قانونهم عين الجنون . . ؟

وقضاتهم لايوصفون . . !

ذهبوا بنا شتى الظنون . . ماكان منهم أو يكون . . !

وصل إلى سمعي صوت المهندس محمود يتلو القرآن ، وأنصت الذين كانوا يقرأون ، تلاوته فيها التعبير وفيها سر يجذب السمع ويحرك المشاعر ، وهدى الله الحارس فلم يمنعه من القراءة وكان اسم الحارس « علي » وكان على دائم الشغب معنا ويطلب إلينا أن نخفض أصواتنا بالقراءة ولكنه لم يطالب إلى محمود ذلك . .

وفي يوم سابق أخرج عم بسيوني « محمود » ليتوضأ وكان على أن أتركه بسرعة لكيلا أعرض عم بسيوني لحرج أشفق عليه منه . تعانقنا وتأسفت له ، وقال : إنه اعترف على عشرة أشخاص ، منهم من كان يساهم بعشرة قروش وأنه يتوقع اعتقالهم وأنه مهموم حزين للكارثة المتوقعة . . وجاء مساء الاثنين ٢٨ سبتمبر والدعوات ترتفع إلى الله . . حتى زنازين الشيوعيين . . خيل إلى أنهم جميعاً تابوا إلى الله وأنابوا . . .

وينطلق من أحد الزنازين صوت كالكروان يرسل تسبيحه عبر السكون . . « ياكريم » . . إنه أحد الشيوعيين ينادى الكريم ! . وهل ينفع في الشدة لينين ، خيل إلى أن كل الزنازين تقرأ القرآن ، ويأتي المساء وللزنازين دوى بالقرآن والتسبيح واستغاثة الله . .

واستيقظت في الفجر وطرقت الباب مثنى وثلاث ورباع . ولم يفتح الباب . . وارتبت هل نام عم بسيوني أم أصابه مكروه بسبب تعاطفه معنا . تيممت وصليت ودعوت من هو أقرب إلى من حبل الوريد » وارتفع صوتي بالقرآن أوقظ النائم وأنبه الغافل وأحيي نفسي بالقرآن .. وارتفع صوتي أكثر وأكثر ولم ينهني أحد لخفض الصوت، بدأت أتعجب وأظن أمراً غير عادي حل بالمعتقل . .

وانهمرت العين بالدموع ، وتقطع القلب بالأسى وأنا أقرأ قول

الله تعالى : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير .. » ٢٧١ البقرة .

أعدت قراءتها وظللت أرددها وأنا فى الزنزانة وأبكى على بجال شعب هذا قرآنه . وذلك واقع حكامه ، محاربة للصدقة سرها وعلانيتها وإذلال للمتصدقين طبيبهم ومهندسهم وتاجرهم ، كلهم أمام جبروت فرعون سواء . . تمنيت رؤيا تطمئننى على أهلى أو تبشرنى بقرب نهاية الطغاة وأخذنى النوم وأفقت من غير رؤيا تطمئن أو تبشر ، وضايقنى جنوح فكرى إلى عالم الرؤى ، والواقع فيه قرآن هو كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، وقد مر على فى الزنزانة أسبوعان قرأت فيهما مالم أقرأه فى عشرين عاماً . . واطمأن قلبى لوعد الله ، وتدبرت الآيات ، وكم فيها من بشارات . .

وهتف فى قلبى قول الله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » ٦ الجاثية .

وفتحت الزنازين فى حوالى التاسعة من صباح ٢٩ سبتمبر ورأيت الحارس « على » ، وقرأت سراً تخفيه عيناه وينطق به وجهه ، وسألته : هل حدث شىء ؟

وأجاب بسرعة : لا . . قالها ومضى يبتعد عنى بسرعة . . ومرت دقائق وسمعت « على » يشتم عبد الله حسين ويهدد : إن تكلمت سأغلق عليك الزنزانة يعنى أنت ولى ؟ وتفوه بلفظ قبيح يقوله الدهماء عندما يسمعون رؤيا غريبة يقصها رائيها . . وأرهفت السمع . . وزاد إنصاتى أرجو سماع المزيد . . ومضى « على » بعيداً !

وسألت الأخ عبد الله حسين : ماذا رأيت يادكتور عبد الله ؟

وأجاب : رأيت رؤيا عجيبة وقص الرؤيا . .

رأيت موكباً من السيارات والناس يملأون الطرقات ، وامتد الموكب من مصر إلى قليوب ، وتعجبت فسألت ما سبب هذا ؟

وجاء الرد : مات رجل كبير

وسألت : عبد المنعم رياض ؟

ـ لا عبد المنعم مات من زمان . . ولم أتركه يكمل الرؤيا ، ولا أدرى لماذا وجدت صوتى ينطلق ويقسم بالله أن الذى مات هو جمال . .

كل شيء يوحى بذلك .

الكرب الذى أخذ بخناق الشعب . .

الرعب الذى أصاب كل نفس .

الضر الذى لم يسلم منه حر . .

ـ التغنى بالمسيرات المأجورة كأنها الجيوش المنتصرة .

ـ إيلاف المظالم ونعتها بالمكاسب الثورية ، وقد جاوز الظالمون المدى

ـ تحذير الشهيد عبد القادر عودة لهم ، حين قرأ لجمال سالم قول الحق تعالى « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . . » فعموا وصموا . . ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم ، والله بصير بما يعملون . . »

ـ دعاء الذين اعتقلوا ظلماً وسجنوا ظلماً والذين قتلوا ظلماً .

ـ دعاء الذين خربت ديارهم وسلبت أموالهم وحرموا حتى من اللمعة يذرفونها أو الكلمة ينفسون عن أنفسهم بها . .

ـ دعاء الجائعين حرموا من عائليهم ، ودعاء اليتامى أعدم آباؤهم ، وسجن المخففون لدموعهم والمادون يد المساعدة إليهم . .

ـ وأخيراً الوجوم الذى حل بزبانية جمال ، إنهم الآن فى حيرة ، كان جمال يحمى جرائمهم بالأمس فمن الذى يحميهم بعد ذهاب جبروته وزوال طغيانه . .

لم تمض دقائق على قسم اليمين بأن الذى مات هو جمال ، حتى ارتفع فجأة صوت مكبرات الصوت ترتل فى صوت واحد القرآن الكريم من حول القلعة . . القرآن يقتلون رجاله ، ويعذبون جنوده ، ويحولونه للقراءة على أرواح الموتى . .

اللهم لا شماتة فيمن مات ، ولكنها العظة والذكرى أقدمها لمن بقى . . وحين تأكدت من الخبر ساءلت نفسى :

— لماذا رأى عبد الله هذه الرؤيا ، أهى شهادة له بالصلاح ؟

كل الذى خرجت منه بعد تفكير أن مثل هذه الرؤيا هى حجة الله على الماديين ، ولعل فيها تثبيتاً لإيمانه فلا يضل بالشيوعية بعد أن فتح الله قلبه على الإيمان ، وحين انتقلت إلى طره صادفنى معتقل هو الأستاذ عبد اللطيف المردنلى رحمه الله ، وكان وفدياً وأحب الإخوان فى المعتقل حباً قربه إليهم . .

وعلمت أنه رأى قصة موت جمال كما شاهدها بعد ذلك على شاشة التليفزيون . . وأغمى عليه وحين أفاق حمد الله وشكره على تفضله عليه برؤيا جاءت كفلق الصبح . .

فى الساعة العاشرة جاء عم بسيونى . . وتأكد الخبر . . وعمت الفرحة كل الزنازين . .

وزادت الفرحة حين علمنا أن الذى تولى الرئاسة هو أنور السادات ، ولم يكن لكل الشيوعيين ذلك الرأى ، وكدرنى قول أحدهم ، إن السادات أشد وأحرص على بقاء هذا النظام من عبد الناصر نفسه ، وزالت كآبتى حين سألتهم عن البديل فقالوا على صبرى . .

إذن هم يفكرون بفكر شيوعى يميل حيث ترتفع أرصدة الشيوعية ، وتضايق الشيوعيين من اختيار السادات خلفاً لعبد الناصر يطمئن دعاة الإسلام فالشيوعيون يفكرون بفكر موسكو . .

السادات سبق اعتقاله ويكفى أن يعلم الأسباب التى اعتقلنا بشأنها

عبد الناصر ، ويعلم الطريقة التى نعامل بها فى القبض علينا وفى التحقيق وفى التنكيل ، وفى المعاملة اللا إنسانية وإهدار آدمية الإنسان ، ويقارن ذلك بالمعاملة الطيبة التى عاملته بها معتقلات الأحزاب بتوجيه الإنجليز..

وأيد الدكتور محمد الخطيب رأيى وأبدى خوفه على السادات من مراكز القوى ، وعلى رأسها شعراوى وسامى وعلى صبرى .

كان الخوف على السادات يكاد يسيطر على نفسى ، وكان يبدو أن الثلاثى الشيوعى المتآمر المستبد الفاجر لن يترك السادات إلا إلى حين . . وذلك الحين عندما يتفقون على واحد منهم . . وكنت أسأل الدكتور الخطيب كثيراً عن السادات . . هل هو قوة فنطمئن إلى أنه لن يهزم ، أو ضعيف فلن يصمد أمام الثالوث الفاجر . . ؟

وكانت الصورة المخيفة هى صورة مراكز القوى ، والتركة الخاسرة والحقد الطبقى وفريق المنتفعين وطبقة الشيوعيين .. كل ذلك كيف يواجهه أنور السادات . . ؟

وعند الفجر فتح العم بسيونى لكل الراغبين فى الصلاة وتجمعنا فى دورة المياه والفرحة تأخذ بحركاتنا وسكناتنا . . وفوجئت بالأخ محمود يقول : ينبغى ألا نظهر الفرح لأن المسئولين جميعاً يغضبهم فرحنا وربما كدرونا . .

ولم أتركه يتم حديثه . . فأخذت أشكر الله وأطمئن الأخ محمود وكل الإخوة المتجمعين على الوضوء ، وبعد برهة تفترق لنصلى فرادى.. نسأل الله أن يوفق السادات ويوجهه الوجهة التى يصلح بها ما أفسده جمال . . حمل تنوء به الجبال . .

واجتمعنا فى فجر يوم تال وقال المهندس محمود : رأيت رؤيا مطمئنة . . رأيت السادات يلبس ملابس بيضاء ويسألنا عن مشاكلنا ويعدنا خيراً . .

استمرت فرحتنا أسبوعاً . . وفوجئنا بمعتقلين جدد . . وتأكدنا

من اتجاههم الإسلامى حين أغلقت الزنازين فى الظهيرة وارتفع صوتى بتلاوة القرآن . وكأنى ضغطت على زناد فارتفعت باقى الأصوات تتلو القرآن ، وكان صوت الزائرين الجدد واضحاً ، وثلاثة أصوات منهم على الأقل تحفظ القرآن وتجيد تلاوته . . وصاح الحارس أنور : اخفض صوتك انت وهو ، وإلا سأستولى على المصاحف وخفتت الأصوات وخشيت على المصحف الذى حصلت عليه بشق النفس فى عهد جمال ، يأخذه الحارس أنور فى عهد السادات ، وإن كنت عزمت على ألا أفرط فيه لأى فرعون من الفراعنة الصغار . .

فهمت من المعتقلين الجدد أنهم من الفيوم ، وعلى رأسهم الشيخ عمر عبد الرحمن معيد فى كلية أصول الدين ، لم تر عينه نور الحياة منذ صغره ، ولكن بصيرته تفيض بالنور والحكمة والإيمان . . وعلمت أن سبب إعتقالهم . . أن الشيخ عمر خطب الجمعة بعد وفاة جمال وركز خطبته على تفسير قول الله تعالى :

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » ١٧ ، ١٨ الزمر .

واعتقل مع محبيه ، ووجدوا فى بيته أكوام أسلحة تكفى لنسف إسرائيل ! ! وجدوا عنده : فى ظلال القرآن . . لشهيد الإسلام سيد قطب ، ووجدوا أيضاً الكتاب الذى حاكمه عليه جمال ولفق له التهمة وعقد له محكمة الدجوى ، الفريق الفار من الميدان ليبدأ باستعراض بلادة فكره فى إعدام سيد قطب ، وليكون الكتاب الذب جاء فى حيثيات حكم الإعدام « معالم فى الطريق » كان وقع هذا الكتاب أشد على جمال من أطنان الأسلحة التى أطلق قلم التابعى ليتخيلها ويكتب عنها ، وقد مات التابعى وأنا أكتب هذا الجزء من الكتاب ، وجاء فى رثاء تلميذه الأستاذ مصطفى أمين له ، بأن التابعى كان يعيش كما

يعيش الملوك . . والفاتنات فى حياته أكثر مما أشيع عن فاروق ، . .
وقال الأستاذ مصطفى أمين : إن التابعى أنفق مليون جنيه على بذخه . .
- آية من آيات الله : أن يمثل الدجوى الناصرية فى بطشها ، يفر أمام اليهود ، ويستأسد ويصول ويجول على المواطنين العزل فى محكمة الدجوى . . ويمثل التابعى الإعلام الناصرى باشتراكيته المعلنة ، وحقيقتها المستترة فى مال قوى الشعب يبعثر على أمثال التابعى الذى يقول عنه تلميذه : يمضى أكثر شهور العام فى أوربا ، لايقيم إلا فى الجناح الملكى فى أفخر فندق فى المدينة ، فإذا وجد الجناح مشغولا بملك آخر انتقل إلى مدينة أخرى . كان معبوداً للنساء ، قصة حياته أشبه بقصة « دون جوان .. » هذا هو التابعى ممثل الإعلام الناصرى ونحن نعتقل ونعلق ونضرب ويسب ديننا ونحرم حتى من دورات المياه لأننا تصدقنا بفضل مالنا على اليتامى وعمرنا مساجد الله . .

وبعد يومين حضر معتقلون جدد من سمنود لأنهم أظهروا فرحتهم وأعلنوا عن شكرهم لله الذى يمهل ولا يهمل ، وبالحديث معهم علمت نظافة اتجاههم ، الإيمان بالإسلام عقيدة وشريعة . .

وزاد الفكر بلبلة حين صدر أمر بالإفراج عن الشيوعيين وهنأت الأخ عبد الله حسين وأوصيته أن يظل على استمساكه بالإسلام وآدابه ، ورجوت له التوفيق فى دراسته ولا يعود لأوزار الشيوعية بعد أن نجاه الله بالإيمان . . وقال المعتقل الشيوعى الذى على يمينى : « ادخل صلى ركعتين . ! » تفكير الشيوعيين مادى قاصر . . لقد فرح الشيوعى بالإفراج عنه . . وفى الوقت نفسه يسخر من الصلاة لأن الذين يصلون بقوا فى المعتقل . . والغبى الجاهل لايعلم أن المؤمن الذى امتـــلأ قلبه بالإيمان يؤثر البقاء فى الزنزانة على أى منصب شيوعى فى مصر أو فى موسكو على السواء . رحل الشيوعيون (كما تقول عنهم قضيتهم) وأصبح الأستاذ عمر بجوارى . . أسمع قرآنه وهو

يتلوه ولا يكف عن تلاوته ، كثير الصيام ، قليل الكلام إلا أن يكون كلاماً فى الإسلام وللإسلام . . وسألنى عن التحقيق . . وذكرت له التعذيب الذى نزل على والذى هددونى به . .

ورحل الدكتور محمد الخطيب إلى طره وحل مكانه معتقل آخر بالزنزانة ٢٧ وهو أيضاً مكفوف البصر ويحفظ القرآن ويجيد تلاوته ، وهو واعظ بأحد المساجد واعتقل بعد موت جمال وأذكر من اسمه « الشيخ محمد » .

كانت هناك حركة فى المعتقل فليس به الجمود الذى ألفته فى الأسبوعين السابقين لموت جمال . .

وانتهى التعذيب فرغم مجىء معتقلين جدد لم نسمع صياح معتقل أو تبدو بادرة لعنف لازم الناصرية منذ صاح جمال . . « سنجعلها ثورة حمراء . . » إلى أن سكن صوته .

والمعتقلون من الفيوم ومن سمنود لم يواجهوا حتى بمجرد التحقيق .. وكانت تبرز الأجساد خارج الزنازين لتتحدث وتتسامر ويتجدد فينا الأمل برغم مانراه من اعتقال جديد لدعاة الإسلام وإفراج عن الشيوعيين . . ورأيت « نديم » يحمل عصا طويلة ويهدد عم بسيونى لأنه رأى المعتقلين يتحدثون ، وأنه بلغه أنه يفتح لهم الزنازين فى صلاة الفجر . . وتضايقنا جميعاً من معتقل حامت حوله الشبهة فى نقل هذا الكلام لنديم . . وذهب المعتقل ولم يمض على اعتقاله أسبوع . .

ولست أدرى أكان وضعه فى الزنزانة اعتقالا أم أن مهمته التجسس على المعتقلين ؟

واشتد ضيقى وألمى على ما أصاب عم بسيونى من حرج وربما جزاء ، وخشيت نقل عم بسيونى الحارس الوحيد الذى رفض أخذ أى شىء . . والشىء الوحيد الممكن إعطاؤه له هو السجائر ، وهو بنعمة الله عليه لايدخن ولا يقبل مد يده لسيجارة من أحد . .

ولكنى ضحكت فى نفس الوقت من منظر نديم وهو يسير بعصاه أشبه براعي الغنم باع أغنامه وبقيت له عصاه . .

وكانت هذه آخر مرة أرى فيها « نديم » راعى الغنم كما تخيلته . . وبقى عم بسيونى فلم ينقل ، وبعد اعتقالى بخمسة وعشرين يوماً نودى على . . وبرزت أعناق الجميع يباركون لى ، ويهنئوننى ولم أكن أقل تفاؤلا . . ووقفت أمام الضابط فاروق وأشار إلى ملابس جاءتنى من زوجتى وأبدى دهشته لوجومى ، وقال : ألا تحب ملابس ؟ اتركها نردها لأسرتك وأخذتها ورجعت إلى زنزانتى أفتش كل جيب وكل ركن لعلى أجد رسالة أو ورقة تنقل إلى خبراً . .

إنها ملابس جديدة ، ولولا أن مفتاح دولاب ملابسى معى ، لرجحت أن الملابس من صديق أو أخطأت عنوانها إلى . . وأطمعنى مجىء هذه الملابس فرجوت الضابط مجدى وكان رقيق الطبع ممتاز الخلق ، دهشت لوجوده فى معتقلات الاذلال الناصرى . . ورجوته فى أن يأذن لى بكتابة رسالة لزوجتى . . وأذن وأعطانى ورقة وقلماً . . وكتبت إليها أحدثها عن المعاملة الطيبة التى نلقاها فى جنات الناصرية ومعسكراتها ورجوتها أن تخبر أبنائى بأنى موجود بالمعسكر نتدرب على أخذ الثأر من إسرائيل . . ورجوتها أن تواجه الموقف كله بشجاعة وألا تضايق نفسها بشأنى ، فالأكل طيب ومتوافر والنقود لايزال رصيدها كبيراً ، والمعاملة طيبة . .

وأعطيت القلم والورقة ليوسف الحارس فى تلك اللحظة وأقبل شهر رمضان وكنت تواقاً لصيامه فى بيتى ، فقد عودت زوجتى ووالدى أن أوقظهم للسحور المعد ونظل حتى نصلى الفجر . . وظللت أيام شعبان كلها أؤمل فى الإفراج عنى وكان الظن يشتد كلما دنا رمضان ، فليس لمصلحة أحد بقاؤنا نصوم رمضان فى المعتقل الذى أنشأه جمال . . والأقرب إلى المنطق والحكمة والعقل أن يدفن المعتقل مع جمال . .

وزادت تلاوة القرآن فى كل الزنازين ، وقال الأستاذ عمر لنا : اقرأوا كثيرا قول الله تعالى : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين . . » ٢٤ التوبة

. . وطلبتنى الإدارة وبرزت الرءوس وتلقيت التهانى وتجدد الأمل . .

وقال الضابط جاءك كتب ودهش لوجومى . . وقلت له : يظهر أن الإقامة ستطول . . ووجدت كتباً فى الأذن والأنف والحنجرة ومرجعاً للجراحة العامة ومعها رسالة راجعتها الإدارة وختمتها وهى أشبه بتلغراف ينبىء عن إرسال الكتب ومن قبلها الملابس ، وتأكدت أنه خط زوجتى ولم تشر لرسالتى إليها . . وجعلتنى هذه الرسالة أشك فى وصول رسالتى إليها . . أو لعلها وصلت . . وهذا من أسلوب الناصرية أن تبقى على قلق المعتقل وحيرته وتساؤله . . وجاء العيد . . عيد الفطر . . وأنا أردد :

عيد بأية حال عدت ياعيد   بالناصرية أم فى الأمر تجديد

مع الاعتذار للمتنبى

ولبسنا أفضل ثيابنا ، وجلسنا على أبواب الزنازين نقول فى صوت واحد :

« الله أكبر الله أكبر الله أكبر . .

لا إله إلا الله والله أكبر . .

الله أكبر ولله الحمد . .

وكان صوتنا المدوى بحمد الله يغطى على أصوات المدافع تعلن عن فرحة المسلمين بعيد الفطر المبارك .

لم يتدخل الحراس ليقولوا إن تكبير الله يزعج أعصابهم ، قال

الإخوان المسلمون .. الله أكبر ولله الحمد ، فأسكتهم جمال وترك أبو لمعة يقول : الله أكبر ولله الخطف .. يضحك بها السامعين وترك المرتزقة يقولون « الله أكبر والمجد لمصر » .

ولعل الله يسمع جمال الصوت الجميل . صوت الإيمان يعلن عنه حمد الله ، وتكبيره ، يرتفع بين جدران هيلتون القلعة ، قلعة المظالم والتعليق والضرب وسب الدين ..

البشر على الوجوه ، والرضا بقدر الله يملأ النفوس ، والأمل فى الغد القريب تنشرح له الصدر .. وارتفع صوتهم يردد حمد الله وتكبيره ، وخفت صوت الحراس واختفى سخطهم .. وكيف يسخطون وهم المسلمون ؟

الويل لمجتمع تصطدم فيه معتقدات شعبه بأهواء حكامه ، ينزع الحكام معتقدات حبيبة إلى النفوس وينفثون شعارات قد تخطف الأبصار بلمعانها ولكن سرعان ما تتجلى عن زيف بريقها وخبث لمعانها ..

اليوم يرددن المسلمون جميعاً « الله أكبر ولله الحمد » من كل مكان ، حتى من معتقل القلعة ، فأين الذين قالوا « الله أكبر والمجد لمصر » ؟ اختفى صوتهم حين جف النبع وقل العطاء وانكشف الغطاء ..

نعمت الحياة إن كانت لله ، ونعم الموت حين يشفى الله به صدورنا ويذهب به غيظنا ، فيقوى الإيمان ، ويتدفق الأمل ، وننتظر الفرج ..

مات جمال فى رجب وفى ليلة ذكرى الإسراء ، وقال الدكتور عبد العزيز كامل ، إن الله اختصه فى ليلة الإسراء ليكرمه ، ومن وجهة نظرى أن الذين كرمهم الله فى هذه الليلة يناديهم قول الله تعالى :

« عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » ١٢٩ ــ الأعراف .

مر بعد هذه الليلة بقية شهر رجب وانتهى شهرا شعبان ورمضان وأدخل معتقلون وأفرج عن معتقلين ، ويظل الجهاز الناصرى مصراً على أن المعتقلين فى القلعة لا يعلمون شيئاً عن موت حمال ، لأن الجهاز الناصرى أعده عبد الناصر ليعامل الناس على أنهم خرس لا يتكلمون وعمى لايبصرون ، وفى شهر شعبان مر الضابط المهذب مجدى وسألته أن يسمح لى بتهنئة الرئيس السادات ولم يسألنى كيف علمت ولكنه أجابنى فى الحال وأرسل إلى ورقة وقلماً ، وأخذت أقدح الفكر ماذا أكتب حتى يرضى رجال المباحث الذين يساندون مراكز القوى وعلى رأسهم حسن طلعت أحد عمدها المتعفنة النخرة .. ؟

آثرت الشعر ، وآثرت الإيجاز ، وكاد يكفينى البيت الأول ولكن الأستاذ عمر قال : على الأقل خمسة أبيات .. فكتبت أبياتاً مطلعها :

سألت الله للسادات نصراً ... وينشر فى الكنانة عدل عمرا
ونحن جنوده فى كل خير ... يتيح لأمة الإسلام فخرا

كانت السجاير هى العملة الوحيدة المصرح بها فى الجيب ، وكنت أحرص عليها لأجبى بها الحراس ، وخشيت أن يسألنى الضابط عن سبب شراء السجاير وأنا لا أدخن ، وأخذت أدخن سيجارة أو اثنتين فى اليوم وشيئاً فشيئاً اعتدت التدخين ، وحين جاء رمضان وجدتنى انتظر الفطور ونفسي تشدنى إلى السيجارة أكثر مما تشدنى إلى الأكل والشرب ، وتذكرت الأيام التى كنت مع أخوة لى فى الريف نؤلف جمعية لمنع التدخين ونمر على المحافل وتجمعات المآتم نخطب فيهم ، ونحذرهم من أضرار التدخين صحياً ومادياً ودينياً ..

وحين انتقلت إلى طره ، استجمعت عزيمتى وقاطعت الدخان من أول نصيحة ذكرنى بها الأخ مصطفى الكومى ..

ومرت الأيام رتيبة مملة لا توحي إلا بزيادة رصيد مراكز القوى ، وانخفاض أسهم السادات ، وبدأت نفسي توسوس لي بعقد مقارنة بين موقف السادات وموقف محمد نجيب ، أيام كان جمال يحكم باسمه وإقامة نجيب محددة ..

وفي يوم ٣ ديسمبر طلبتني الإدارة .. وبرزت الأعناق .. وأمطرتني تهاني الزملاء وبسمات الإخوان ومظاهر ابتهاجهم ، وحسن توقعاتهم ووجدت الحارس يذهب بي إلى حجرة الضباط ودخل بي الحجرة لأجد زوجتي يعلو وجهها شحوب ومعها والدها ، وقاما ليسلما على على وابتسمنا جميعاً .. وبجلس على كرسي قريب ضابط يحرس حديثنا :

سألتها عن والدي والأبناء وطمأنتني وأعلمتني أن التليفون لا ينقطع عن السؤال عني ، وأعلمتني بأن هناك مساعي كثيرة ، وهناك أمل كبير في الإفراج عني ، وأنها علمت أن دوسيه اعتقالي مكتوب عليه « إحضار نقود من الخارج » ودهشت للأسلوب الناصري الذي زيف كل شيء ، ورغم ابتلاء الله لهم لم يفيقوا ولم يتوبوا .

وقلت لزوجتي : أرجو ألا تتعبي نفسك بمساع ، وحسبنا أن نكون مع الصادقين وأن يكون أعداؤنا بهذا القدر من الكذب وتلفيق التهم وحسبنا الله ونعم الوكيل .. وطمأنتها على أن ثقتي في الله فوق كل شيء ، وأنني أنتظر فرج الله لا رحمة الناصرية الباغية . وسألتها عن التوكيلات التي أرسلتها لتأخذ مرتبي فقالت إنها لم تحتج إليها ولذلك لم تحاول صرفها من البنك .. وكنت أهدف من سؤالي أن أعرف هل سمحوا بصرف مرتبي أم لا .. لأن المهندس محمود جاءه خطاب من زوجته تخبره أن المرتب لم يصرف بعد .. وأهم الأمر : فكيف تدفع الإيجار وكيف تنفق على طفلتيه .. ؟ ومن ذا الذي يجرؤ على إعطائها نقوداً مساعدة أو ديناً ؟

إذا كان مصير من يفعل ذلك هو الاعتقال والتعليق والضرب

وسب الدين .. ولكن لماذا سمحوا لزوجته بكتابة ذلك إليه ، إنه المخطط الناصرى اللئيم لنزيدوه هماً ..

ولم ألفت نظر زوجتى إلى شىء لاحظته وهو عدم إحضار أكل معها ، وقد أخرجت نقوداً تريد إيداعها لى فرفضت بشدة لأن النقود المتبقية كثيرة ..

كنت أعلم أن مجرد زيارتها لى بعد ثمانين يوماً من اعتقالى بطولة تستحق عليها نيشاناً يفخر به كل النساء .. وأنها لابد قد بذلت جهوداً مضنية لتحقق ذلك الأمل ولترى زوجها الذى ذهب ولم تعرف مكانه ولا متى يعود ..

وكنت أعلم أن الذين منعوها من كتابة رسالة مع الملابس يمنعونها من حمل هدية لزوجها .. هذا هو أسلوب عبد الناصر الذى نشرت جرائد التابعى وأساتذته وتلاميذه ، بأن السيدة أم كلثوم سئلت عن أهم صفة فى الرئيس عبد الناصر فقالت : إنسانيته .. قالت ذلك الكلام وهى تطوف بلاد أوربا تغنى لتجمع نقوداً لمصر بعد النكسة الناصرية التى قال عبد الناصر إنه مسئول عنها ولم يجد من يسائله ..

وقلت لزوجتى قبل انصرافها ؟ فيه خمس عمليات دفع أصحابها مقدم أتعاب .. وقبل أن أتم كلامى .. قالت : دفعت لهم المبالغ التى دفعوها..

وانصرفت زوجتى مع والدها ..

ورجعت إلى رفاق المعتقل ننتظر فرج الله بعد أن يئسنا من توبة الناصرية الباغية ..

إلى دنيا جديدة

وفى اليوم الواحد والثمانين الموافق ٤ ديسمبر ، كان يوم جمعة ، وقضيت الليلة السابقة مسهداً ، أفكر فى شحوب زوجتى وأتصور الآلام المضنية التى ألمت بأفراد الأسرة جميعاً ولم أكن أطلع زوجتى على أية مساعدات أقدمها لأسر الإخوان ، ولما عادت من عيادتها وعلمت باعتقالى لم تبت فى الزقازيق وإنما سافرت ليلا إلى القاهرة وتركت الأولاد لرب العباد .. واتصل والدها بضابط مباحث .. وبذل الضابط جهداً مشكوراً وبعد عذاب أخبرهم بأنى موجود ولكنه لا يعرف المكان الذى صرت إليه .. وهذا وحده يعطى بعض الاطمئنان .. وسألت الأستاذ عمر ، ما حكم من يمنعنا من صلاة الجمعة ؟ وهذه ستكون الجمعة الثانية عشرة يمنعنى الطغاة من صلاتها .. ولم تكن الإجابة عن سؤالى خافية فهى فى كتاب الله ، ومن أصدق من الله قيلا: « أرأيت الذى ينهى ، عبداً إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى .. » سورة العلق .

... وحوالى الساعة العاشرة أقبل حارس وقال بصوت مرتفع (٢٥) يستعد ..

وطلب إلى تجهيز متاعى وكان كثيراً ، فقد دخلت الزنزانة خفيفاً وأصبح متاعى الآن كثيراً ، ملابس متعددة ، وكتب متنوعة ، أرسلتها زوجتى لى فى كيسين كبيرين .

تنفست الصعداء ونسيت نفسى وعمنى السرور ، وأول خاطر جال بنفسى هو أن أصلى الجمعة فى مسجد القلعة شكراً لله بعد أن فاتتنى صلاة إحدى عشرة جمعة . وامتدت يدى إلى السجائر التى معى وكانت كثيرة ، أخذت أبعثرها على الحراس وراعنى أن رفض الحارس أنور أخذ سجائر منى وقال ، أبق العلب المقفلة معك ، ولم أفكر كثيراً فى وجومه ووجوم غيره من الحراس ، وقلت فى نفسى : لعل عشرة ثمانين يوماً كفيلة بأن تشعرهم بوحشة وأنا أتركهم ..

حزمت متاعى وانتظرت صدور الأمر بتحرك الركب الميمون وبدأت أسمع قرآن الجمعة من مسجد القلعة ، وكدت أصيح إن كان هناك إفراج فليكن قبل صلاة الجمعة .

وأخيراً جاء حارسان وحمل كل واحد منهما كيساً ووجدت دموعاً فى أعين بعض الحراس ! سبحان الله ! . ما هذا الذى أراه ؟ المصريون من أنبل خلق الله ولا تنقصهم إلا القيادات الرشيدة .. لوح المعتقلون بأيديهم وصدرت تهانيهم معبرة عن الحب والأمل ، واتسعت ابتسامة المهندس محمود وهو يهنئى ، ولا شك أن الإفراج عن المتهم الأول يؤكد الإفراج عن الثانى ..

ووجدت فى المكتب ضابطين وعشرة جنود معدين لاصطحابى .

وقال ضابط المعتقل : مبروك ! ! قلت له : لماذا ؟

قال : خطوة .. خطوة .. قلت : الحرية لا تتجزأ ولا يساوم عليها إلا أعداؤها .

قطب وجهه وافتعل الجد وقدم لأحد ضابطى البوليس ما بقى لى من نقود وكانت فوق الأربعين جنيهاً ..

وقام ضابط البوليس الشجاع ليضع القيد فى يدى ، نظرت إليه باحتقار ولكنى لم أقاومه ، فقد كنت تواقاً لمعرفة الخطوة التالية بسلام .. ودخلت عربة البوليس معتقل طره وتسلمنى قائد المعتقل

عبد العال سلومه وسلمنى بالتالى للنقيب أحمد سالم ، وبدأ أحمد سالم يحذرنى من الخوض فِي الثورة وبطلها ، أو الانحياز اشلل الإخوان فأسبب له إحراجاً ، وقال إنه اختار لى عنبر رقم ٢ ورجانى ألا أسبب له إحراجاً .. وتقدم أخوان يحملان متاعى ودخلت عنبر ٢ لأجد إخوة كراماً .. سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، أراد حمال إبادتهم وأراد الله لهم الثبات ، والله غالب على أمره .. !

كانت الدهشة تبدو فى أسئلتهم من مجرد سماع وصول معتقل جديد ، إنهم تفاءلوا بموت حمال وظنوا أن المعتقل والمظالم ستدفن معه .. وطمأنتهم بأنى قادم من القلعة .

وعلمت منهم أن غذاء معتقل طره لا يؤكل منه غير الخبز . . ولم يكن معى نقود ، وعلى أن أنتظر أربعة عشر يوماً حتى يسمح لى بالشراء من النقود التى بالأمانات ..

ودهشت من الحركة والنشاط فى معتقل طره ، عمل الإخوان بأيديهم أحواضاً وصنابير لوضوئهم وغسل الأطباق والخضروات ، وأنشأوا حمامات ووضعوا على أبوابها ستائر من البطاطين ، وهناك ورش نجارة وخياطون وحلاقون وتجار خردوات ، وحمالون ، كل ذى حرفة يمارس حرفته ، ومن لم يكن ذا صفة سابقة وظروفه تضطره إلى العمل يتعلم حرفة يمارسها داخل المعتقل ، وعند العصر أذن المؤذن ، ووقف الجميع يصلون ، وأحسست بالنعمة الكبرى وأنا أقف فى صف الجماعة المؤمنة ، خشوع لله وخضوع ، ورجاء فى الله وثقة فى وعده بأن العاقبة للمتقين .. وتوافد على جمع غفير من إخوة أقبلوا يسلمون على حين سمعوا باسمى ، من إخوان الإسكندرية والمنوفية والشرقية ، وبعضهم أحضر معه هدايا مما عندهم وأذن المؤذن لصلاة المغرب واصطفت الصفوف ، وتقدم الإمام يرتل من الذكر الحكيم ما يحيي به النفوس ، ويبشر الأفئدة .. ! ! « إن تكونوا تألمون

فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما . إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » ١٠٤ — ١٠٥ سورة النساء .

وتنافس الإخوان فى دعوتى للأكل معهم ، ولبيت دعوة الأخ رشاد بيومى والشيخ أحمد شريت رحمه الله ذلك العالم الشجاع الذى كان مفتشا عاما للوعظ ، قضى بالسجن خمسة عشر عاما ، ثم زهاء العامين بالمعتقل إثر خروجه من السجن مباشرة ، ثم لقى ربه خلف الأسوار متأثراً بمرضه .. ! وتسملنى الإخوة الكرام فى الفطور والغداء والعشاء ، وأرسلت مع أحد الزائرين أخبر زوجتى وفى يوم الإثنين سمعت الميكرفون ينادى إسمى ، وعلمت أن زوجتى حضرت لزيارتى تحمل الهدايا والنقود .. ولم أرفض النقود ، ففى المعتقل بعض إخوة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، كنت أنظر إلى المحبة البادية ، والتعاطف القوى ، والترابط المتين بين الإخوان ، أنظر لذلك فأسخر من الذين أرادوا هدم ذلك البنيان وتزداد سخريتى منهم وأنا أقرأ قول الله تعالى : « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون » . ٧ المنافقون

وسألت أحد الإخوة عن الأستاذ عبد الرازق أمان الدين فقال إنه بجوارك ، وأنكرت ذلك ، فأكد ما قاله ، فقلت : وأين لحيته ؟ فقال : لكل لحية قصة . وقد كان شمس بدران وزبانية حمال ينفذون الآتى :

من يريدون إكرامه يحلقون لحيته ..

ومن يريدون السخرية منه يحلقون نصفها ويتركون له حلق الباقى ، ومن يريدون تعذيبه يأمرونه بنتفها وأكلها .

وسلمت على الأستاذ عبد الرازق أمان الدين وذكرته بأول تعارف

لنا ووجدت الرجل الداعية والخطيب والمتحدث قد أصبح كثير الصمت وكثير التلاوة لكتاب الله ..

كنت أظن أن صلاح عبد الفتاح قد اعتقل فى طره ولما لم أجده شكوت للإخوان منه ، وقلت : كيف علم رجال المباحث بأمر النقود التى دفعتها له ؟.. ووجدت فى الإخوان الذين علمتهم الناصرية بمكرها ولؤم أساليبها ، الحذر من أخذ الأمور بظواهرها ، وعلمت منهم بما نشر بعد ذلك مفصلا فى كتاب « الزنزانة » للمستشار على جريشة ، وقال أحدهم : إنهم لا يواجهونك باتهام وإنما يضربونك ويذكرون أسماء يعرفون صلتها بك من خطاب أو من تعذيب سابق ، ويريدون الوصول فى النهاية إلى غسل مخ الإخوان وأن يضرب بعضهم بعضا ..

وفى الجلسة سمعت العجب ، قص على الأخ عيد مذبحة طره كما شاهدها ، وكيف جاءت النيابة متحمسة توجه الاتهام لقائد المعتقل وللسفاحين .. وظلت تواجههم بمواد القانون التى لا تبيح لهم قتل أى سجين فى داخل السجن . . وحضر صلاح دسوقى موفداً من جمال عبد الناصر وبحضوره أقفل التحقيق ..

وسمعت قصة عزيز محشى ، وقصته أن الأستاذ عزيز عبد القادر المدرس بهيا شرقية ، سمع رجلا ساخطا لعدم وجود أرز يحشى به الكرنب ، فقال الأستاذ عزيز : أحشيه اشتراكية ! فاعتقل فى نفس اليوم وسماه إخوانه عزيز محشى ..

وسمعت عن زكريا الطباخ اعتقل وسنه أربعة عشر عاماً وظل فى المعتقل سبعة عشر عاماً .. قصص تحتاج لمجلدات ولولا أن أصحابها أحياء يرزقون ما ظنناها واقعاً حدث فى القرن العشرين ، ومن الذى قال : ارفع رأسك يا أخى فقد انقضى عهد الاستبداد ....

واستدعانى قائد المعتقل عبد العال سلومة وذكر لى أن توصيات كثيرة على من ... و... وأخذ يذكر لى أسماء أعرف بعضها ولا أذكر بعضها فشكرته ، ولاحظت أن عنده أكثر من تمثال لجمال عبد الناصر وأكثر من صورة له ، ولا توجد صورة للسادات .. كل شيء يوحى بأن حكم السادات رغم الانتخابات انتقالى .. وأصبحنا ذات يوم فوجدنا عربات تحمل إلى المعتقل زلطاً ورمالا وطوباً ، وقام المهندسون والبناءون بتشييد جناح جديد ، فالمعتقل بوضعه الحالى ضيق لا يتسع للمعتقلين .. وتم البناء فى وقت يسير ، وزاد الهمس : إن الذى يحكمنا هو بوليس عبد الناصر لا حكمة السادات . .

ورددت للإخوان أننى أحس بأن البناء الجديد هو لشعراوى وسامى وعلى صبرى وانتشر هذا القول بين الإخوة الكرام .

ـ واستمرت زيارة زوجتى لى أسبوعياً وبقدر ما تمنحنى من سرور كانت تسبب آلاماً .. فهى لا تعرف قيادة السيارة والتاكسى رفض الاقتراب من المعتقل ، فالطريق إليه تعمد الطغاة تركه مليئاً بالحفر والحجارة ليحمل الزائرون أثقالهم . والويل للطغاة من حمل أوزارهم ومن أوزار الذين يضلونهم ، ساء ما يزرون ..

والإخوان جميعاً يعيشون بين الأمل والألم ، فلا يخلو أحدهم من ظروف أو من طول انتظاره لانكشاف الغمة ..

وكم حزنت لمنظر فريق المكفرين ، وقد أرسلوا شعورهم واعتزلوا باقى المعتقلين .. وكان مصدر حزنى أنهم ضحايا عهد الشعارات الكاذبة والأعمال الفاجرة الظالمة .

ولم أضيع وقتى فواصلت حفظ القرآن وساعدنى الأخ محمد عبد السلام رحمه الله ، وكذلك الأخ الشيخ عبد الحليم سعفان الأستاذ بالمعهد الدينى بشبين الكوم .. وواصلت الحفظ والتجويد ، وقرأت

مجلداً للأنف والحنجرة لم تتح لى فرصة قراءته فى الخارج ، ويكفينى من الجرائد عناوينها . فهى لا تساوى أكثر من دقائق يقضيها العاقل معها ، بعد أن لوت الناصرية عنقها ، ولطختها بوحل النفاق الجرىء وتزييف الواقع المر ، وترويج الشعارات الكاذبة .

وكان هناك متخصصون فى قراءة الجرائد والمجلات مثل الأخ الأستاذ محمد عبد المنعم ، يقرأ ويعلق على كل خبر ، وسألته متى عرفت الإخوان . ؟ فقال بعد محاكمات جمال عبد الناصر لهم ١٩٦٥ .. وأحضر الأخ الدكتور محمد عامر أخصائى الأذن بعض آلات للكشف على الإخوان وكنت أساهم معه فى بعض الأيام ، وكان معنا الدكتور عبد الفتاح الجندى أخصائى الجلد ، وسألت الأخ محمد عامر أن يكشف على أذنى وأنا أشفق من تشخيص ثقب الطبلة ، ويأتى رده بأن الطبلة سليمة .

– وضرب يد فؤاد علام ؟

ويأتى الرد :

– يا سلام ، رحمة الله واسعة ولو كان الله تركنا للطغاة ما بقى منا أحد ..

وفى يوم عدت من العيادة فوجدت الأستاذ محمد عبد المنعم يذيع خبراً قصيراً فى سطوره ، ولكنه عظيم فى معناه « الرئيس أنور السادات يصدر قراراً بإقالة على صبرى .. خطفت الأهرام منه لأقرأ بنفسى كدت لا أصدق عينى بعد سمعى .. وفى نشرة الثامنة والنصف مساء يرتفع صوت الإخوان : قبول استقالة شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد فوزى . وكان الأخ رشاد يحرص على سماع نشرة الأخبار من مذياع صغير يخبئه معه .

وكان فؤاد علام قد زارنا قبل هذه الأخبار بيومين ، وسررت لأنى لم أعلن أمامه اقتناعى بأسلوب الناصرية المعوج .

وفى اليوم التالى جلست مع الصحافة أقرأ لموسى صبرى وعبد الرحمن الشرقاوى كل كلمة كتباها ، فقد كانت كلمآتهما قوية فيها التأييد للسادات والهجوم على الفراعنه الصغار .

أصبح للصحافة طعم فقد كانت من قبل رديئة ممجوجة . وأصبحت أقرأ الصحافة بعد هجرها . وحرصت على القراءة لمحمد حسنين هيكل . أنا أعلم مقدرته على اللف والدوران وطمس الحقائق ، وأعلم أنه من مراكز القوى الدائرة فى فلك عبد الناصر حياً وميتاً وأعلم أنه رفض الاشتراك فى أول وزارة للسادات ، لاقتناعه بأن ورقة السادات لا يطمئن على الرهان عليها .. وضحكت حين قرأت له أن جمال عبد الناصر كان ينوى القضاء على مراكز القوى ، وأنه كان يقول للمحروس « هيكل » إنهم لا يتحماون نفخة ، وإنه يستطيع طردهم فى أى وقت بعصا من جريد .. طال عليه أمد الكذب ، ولذلك قالها من غير خجل ..

وبعد أيام نطق مكبر الصوت وأعلن الإفراج عن سبعة أسماء منهم الأستاذ عمر التلمسانى والمستشار مأمون الهضيبى ..

وجريت لأهنىء الأستاذ التلمسانى الذى فوجىء تماماً بالإفراج عنه وأصابه هبوط وتجمع الإخوان حوله ، لقد تعود أن يكون أول المعتقلين وآخر من يفرج عنه . . لقد قضى فى هذه المرة بين سجين ومعتقل ١٨ عاماً ، وأصبحنا ذات يوم فوجدنا الجناح الجديد مغلقاً وبه معتقلون جدد ، وحاولنا الكلام معهم فعلمنا أنهم ليسوا أبطال مراكز القوى ولا أبطال البوار وخراب الديار ..

إنهم معتقلون حولوهم من القلعة إلى طرة ليخلوا أماكن لشعراوى جمعه وسامى شرف وعلى صبرى وحسن طلعت .. نزلوا حيث نزل من قبلهم حمزة البسيونى وصلاح نصر وشمس بدران .. ولماذا يغلقون الباب عليهم ؟

إننا لم نتخلص من الناصرية بعد ، فللناصرية ذيول ، وبعد الفراعنة الكبار فراعنة صغار لا يريدون للذين جاءوا من القلعة أن يعلموا إخوان طرة أن الطغاة شرفوا معتقل القلعة ..

إنهم أشبه بالنعامة تدس رأسها فى الرمال حتى لا ترى الصيادين وهم يحلقون بها .. إنهم لا يعلمون أن الله قد نبأنا بأخبارهم ، واستراحت قلوبنا إلى عدل قصاصه ، إنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ..

وصدق الله العظيم : « ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ٣٧ — الروم .

وحين فتح الباب سألت إخوان الفيوم عن إخوان سمنود ، فقالوا : لقد أفرج عنهم .

وسألتهم عن الشيخ عمر فقالوا أفرج عنه .

— وهل حقق معكم ؟

— حققوا مع الشيخ عمر ، وسألوه عن سر احتفاظه بكتاب « فى ظلال القرآن الكريم » فقال : أنا معيد فى كلية أصول الدين ، وتخصصى فى تفسير القرآن الكريم .

— قالوا : عندك تفاسير أخرى .

قال : هذا التفسير أفضلها وأبعدها عن الإسرائيليات وأجرؤها على توضيح الأمور ..

وحاول فؤاد علام أن يتظاهر بمساعدته وطلب إليه تغيير أقواله فأصر على رأيه ..

— فأفرجوا عن الأستاذ عمر فلماذا أبقوا على المعجبين به ؟

لا تدرى .. هى الناصرية وكفى . تركت بصماتها على كثير من المظاهر لا تستطيع أن تقر بها بنقد أو برأى ، وإلا فالويل لك من فريق المتفعين ..

وبعد أيام جاء إلى طره الأخ محمود مرجان ، وأخيراً صرفوا مرتبه لزوجته ..

وبعد أن استتب الأمر للسادات خرج مقالٍ تافه للتابعى يتأسف لتأخر كلمته ويعتذر لمرضه ، ويعلن تأييده للسادات ..

وبقى اسم التابعى مديراً لجريدة الأخبار ، كوضع صورة جمال عليها ، التابعى مدير بغير عمل ، وعبد الناصر رئيس سابق . وفى يوم ٢ أغسطس زارتنى زوجتى وحذرتها من أى مساع تبذلها ، وفى المساء اجتمع عندى عدد غفير من الإخوان الكرام ، وكأننا فى حفلة تكريم نعاهد الله على أن نكون شاكرين لفضله مجندين أنفسنا لقرآنه ولنشر دينه موضحين للناس كلمة الحق نقولها ولا نحيد عنها ..

لا نريد حكماً ، فالحكم لله العلى الكبير ..

ولا نريد عزة من أحد . فالعزة لله جميعاً .

ولا نبيع ديننا العظيم ، لنرضى ظالماً أو طاغية .

ولا نريد جاهاً غير جاه الله ، ولله خزائن السموات والأرض ..

ونقول للذين أساءوا أسأتم ولا نمالئ أحداً .. ونقول للذين أحسنوا أحسنتم ولا نزكى على الله أحداً ، وزادكم الله هدى .

وفى الساعة العاشرة ، وقبل أن آوى إلى فراشى صدر الصفير المعهود من مكبر الصوت عند إذاعة أسماء أفرج عنها وأخذ يذيع أسماء الذين تقرر الإفراج عنهم ..

ونودى على أخ أذكر من اسمه « عبد المنعم » وأغمى عليه وأخذت أساعده حين طرق سمعى « صابر إبراهيم محمد الحاج » وكنت مشغولا بعبد المنعم وأصوات الإخوان تلح فى تهنئتى ، وحين أفاق عبد المنعم كان المذياع لا يزال يتلو أسماء المفرج عنهم ..

وبدا من كثرة العدد أن النية تتجه لتصفية المعتقل فعلا ، وليست

لعبة ساقية جحا التى دار فيها عبد الناصر وسبح بحمدها هيكل وفريق المتنفعين ، وفى الصباح وجدت الاسم المكتوب « صابر » وخشيت أن يعطل هذا الالتباس المسيرة فلم أطلب إليهم تصحيح اسمى فليس يضيرنى أن يفرج عنى باسم صابر فقد غيرت الناصرية اسم مصر وذهب عبد الناصر وعاد لمصر اسمها ..

وفى اليوم الثالث من أغسطس ١٩٧١ حين الإفراج عنى ، رأيت فؤاد علام ووقعت عينه فى عينى فأشاح بوجهه بعيداً عنى ، لأن آيات الله لم تتوقف ، وتتابع بعد موت جمال مصارع الطغاة . . وكان رئيسه حسن طلعت .. فى المعتقل .. ليس ذلك المتأله العنيد .. وإنما المتهم الخائف الذليل ..

وأخذت عربة خاصة .. وفى طريقى إلى المنزل كنت أفكر فى حكمة الله ، زارتنى زوجتى بالقلعة وفى اليوم التالى كنت بطرة ، وآخر زيارة كانت أمس واليوم أنا فى طريقى إلى الزقازيق ، ليتنى أستطيع إخبارها قبل وصولى حتى لا تفاجأ بى فيغمى عليها كما أغمى على الإخوة الذين فوجئوا بالإفراج عنهم ..

ولم تفاجأ الأسرة بى ، فقد كان الواقع الذى أجهله أن الزيارة تحتاج لطلب يقدم قبلها بأسبوع ، فيبحث الطلب ويستقصى بحثاً فإذا ثبت أن ليس هناك مانع صرح به ..

وبعد عودة زوجتى مع شقيقها المهندس محمد عبد المنعم ، ذهب يقدم طلب الزيارة فى اليوم التالى ، وهدى الله المسئول فقال له انتظر لأن فيه أسماء مفرجاً عنها ووجد اسمى من بينها .. فأخبر زوجتى بالتليفون ..

وفى الأسبوع الأول من عملى بالعيادة جاء أصحاب أربع عمليات من الخمس الذين استرد أصحابها مقدم الأتعاب ، انتظرونى أحد عشر

شهراً ، ومنذ عام جاءت العملية الخامسة كان فى سبتمبر ١٩٧٠ طالباً بالتوجيهى والآن مهندس ، وبعد أن أجريت العملية له رجانى والده أن أساعده فى البحث عن زوجة صالحة لابنه ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله .. ودعوت الله له ولابنه ولبلدنا الحبيب ، ولأمتنا العريقة فى المجد ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

ظلت آيات الله تترى وأنا فى المعتقل الناصرى .

اقترب الحارس سرحان منى وتجاذبنا أطراف الحديث ، وقال الشاويش سرحان :

لم أفرح بإذلال معتقل وأحس من أعماق بالسعادة تغمرنى ، كمثل ما حدث لى وأنا أذل حمزة البسيونى . كان فى الزنزانة المجاورة لك وكان مسموحاً له بالخروج لدورة المياه مرة واحدة فى اليوم . وكنت أهدده بأنه لو زاد عن ثلاث دقائق فسيحرم فى اليوم التالى من الخروج .

وكنت أقول له : دى الأوامر تنفذ يا باشا ؟

وسألته عن السبب فقال : « كان وهو فى قمة جبروته يكفر ويسخر من المستغيثين وهو يصليهم العذاب ، وكان ينطق بكلام كفر جرىء لا أحب التلفظ به .

لايحب الشاويش سرحان التلفظ بكلام الكفر الذى كان يكثر منه حمزة البسيونى ليرضى جمال وليرتفع عنده درجات ..

وظل حمزة البسيونى فى المعتقل الناصرى عاماً ونصف عام .

وحمدت الله أن عافانى من رؤية وجه الطاغية الذى باع دينه بدنيا جمال فخسرهما معاً .

وبعد خروجى من المعتقل بشهور كنت فى طريقى إلى بلدتى بالمنوفية فوجدت سيارة مهشمة على الطريق بالقرب من قويسنا ، كانت العربه أشبه بعلبة من الصفيح هشمتها صخرة كبيرة .

وبالسؤال علمت أنها عربة حمزة البسيونى ، لقى فيها مصرعه ، وانتهت فيها حياته .

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

لقد لقى مصرعه يوم العيد السعيد والإخوان خارج المعتقل يكبرون الله ويحمدونه ويمجدونه ويشكرونه .

ومات صاحبه من قبل فى ليلة الإسراء والأكف إلى الله ضارعة والدعوات إليه صاعدة ..

وسبحان من يرث الأرض ومن عليها .

وتذكرت ما حدثنى به الدكتور على حتحوت يصف لى أياماً عصيبة قضاها الإخوان فى السجن الحربى .

أراد حمزة البسيونى أن يسخر الإخوان فى بناء قصر فى السجن الحربى لملذاته ، وجلس يتلذذ بمنظر الأطباء والمحامين والمهندسين والمدرسين والعمال والفلاحين – والجميع يحملون الأسمنت والطوب والزلط والرمل . الشعب كله بفئاته وقواه العاملة أمامه يتحركون ويصعدون وينزلون والسياط من خلفهم تلهب ظهر من تباطأ أو بدا عليه التعب . وشرع حمزة فى بناء حوض كبير أمام قصر الملذات .

وحلت الهزيمة بجمال ، وانضم حمزة لفرقة عبد الحكيم وداسه جمال فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وصدرت الأوامر بتوقف البناء ، ووقف أحد الإخوان يشير إلى الحوض والقصر وهو يتلو قول الله تعالى : « فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

« سورة الحج »

وساقتنى صدفة غير مقصودة إلى الجلوس أمام التليفزيون فرأيت شعراوى جمعة وسامى شرف وعلى صبرى ، وآخرون من الفراعنة

الصغار يقفون فى قفص الاتهام ويشير إليهم الدكتور مصطفى أبو زيد المدعى الاشتراكى وهو يصفهم بما هم أهل له من صفات المقت والذم وختم كلامه بآيات من سورة الزخرف : « إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون . وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون . لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » .

وصدق الله العظيم : « لقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . « سورة الروم » .

* * *

— قادوا الثورة وظنوا أنهم قادرون عليها .

— كالوا لأعدائهم بكيل الغبن والقهر والإذلال والإفقار والبطش .

— وكالوا لأنصارهم بكيل الذهب المنهوب والمال المسلوب والعرض الحرام ..

ومضت سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فدمدم الله عليهم ، وجعل بأسهم بينهم شديداً ، ومات أشدهم على الحق عتياً ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ..

* * *

وخرج علينا عبد اللطيف البغدادى بمذكرات أحسن ما فيها ، ورقها الفاخر ، وطباعتها الأنيقة ، وتبويبها المنظم ..

يقول فيها : التاريخ يسعى دائماً وراء الحقيقة ، وهو الذى سيكشفها للناس مهما طال عليها الأمد ..

ويقول : كان الواجب يحتم علينا أن نعمل على تجنب الفرقة بيننا ونتقبل أوضاعاً لم نكن راضين عنها ..

ويقول : كان جمال دائم السعى فى أن تصبح له السيطرة على أجهزة

الأمن فى الدولة وعلى وسائل إعلامها وعلى كل الأجهزة التنفيذية واستخدم جمال سالم وصلاح ضد محمد نجيب .

ويقول : غالبية أعضاء مجلس الثورة تصوت دائماً فى جانب عبد الناصر وكان كل منا يحاول ألا يظهر ما فى نفسه ..

وتبدو حسرة البغدادى وهو يصور ما حدث فى احتفال يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٥ حيث قام جمال بإلقاء خطاب عن الأعمال التى تمت .. وفى نهاية الخطاب تلقى جمال تحية الجماهير المحتشدة فى الميدان بمفرده دون أن يطلب من أفراد المجلس الوقوف معه لتقبل تلك التحية كما جرت العادة من قبل ..

ويعود المؤرخ « لا فض فوه » ليقول : أصبح الجزء الأكبر من أعضاء المجلس لا يبذل جهداً ذهنياً فى التفكير فى المسائل التى تعرض عليهم وإنما ينتظرون رأى جمال عبد الناصر ليوافقوا عليه أو يرددوه .

ومع كل هذا يقول البغدادى لجمال عبد الناصر : من أهم النقاط التى تشغل بالى هو كيف يمكن أن نحقق حياة نيابية سليمة .. وألا يصبح المجلس النيابى القادم مجلساً سلبياً وليس عنده إلا الموافقة على كل ما يعرض عليه .. ! !

ويبين لنا البغدادى آية من آيات الله :

قرر أعضاء مجلس الثورة تفويض جمال عبد الناصر فى اتخاذ القرار لتفادى الاجتماع مع محمد نجيب . . وبعد أن تخلصوا من نجيب اتخذ جمال نفس القرار ليجعل منهم أصفاراً على الشمال .. واجترأ جمال سالم وقال : « فيه هنا تسعة لنكولن » .. وأجابه عبد الناصر : لا « لنكولن » واحد .

على قارئ مذكرات البغدادى أن يضع فى اعتباره أن البغدادى يدافع عن مواقف لا يحسد عليها أصحابها ..

وحسن النهامى خرج من صمته وقدم نفسه وكأنه رجل الثورة الشجاع وفارسها الأصيل .. وليس بطل الانتفاضات المفتعلة وقرين جمال فى مؤامراته ، ومع ذلك نقرأ له :

أصبح جمال أسير أفكاره وسلوكه فقد مات عنه زميله عبد الحكيم بذلك التدبير المحكم بلا ريب لإنهاء حياته حتى يدفع بهذا الشر شراً آخر أدهى وأكبر كان من الممكن أن يفجر كل شىء إذا بقى عبدالحكيم حياً وحوكم عسكرياً كما أنذره جمال ..

سيطر عليه الخوف والشك : الخوف مما كان يفعله بالبعض خفية والشك فى كل شخص تقريباً ، وتمزقت نفسه بين هذين الإحساسين وأحس عبد الناصر بانفضاح أمره ، وانكشاف ستره ، وتجسدت أمام ضميره نتائج أعماله ..

وقال له جمال : أنا الذى أمرت بالانسحاب إلى الضفة الغربية .. وعبد الحكيم عامر أخذ السم عندى هنا فى البيت .. وكرسى الحكم مش ثابت والحل المطلوب الآن هو الحل الداخلى أساساً وتثبيت الكرسى الذى أجلس عليه ولذلك فقد طلبتك ..

ورغم ذلك يجيبه : إذا أردت أن تفرض موقفاً على كرئيس للدولة فسوف لا يسعنى إلا أن أحترم هذا القرار .. ! !

• • •

وخرجت كتب ومذكرات لأبطال الناصرية ولكنها غثاء كغثاء السيل .. !

دعوناهم إلى نور الإسلام وعدله فقالوا رجعية وجمود . .

وأختم كتابى بالإشارة لرجلين تقارن بهما بين المعدن النفيس والتراب الرخيص ..

الرجل الأول هو أبو ذر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد مات غريباً ولم يكن معه ثمن الكفن الذى يكفن به ، والدولة الإسلامية تكتسح العالم بزحفها وانتصاراتها وعدلها ونورها .

والقصة الثانية نهاية ناصرى هو على شفيق ، فقد قتل فى لندن ووجد فى شقته مليون جنيه ومصر ترزح تحت أعباء الديون ويدنس أرضها أقدام اليهود .

وصدق الله العظيم : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها »

د . جابر الحاج

المراجـــــع

الصامتون يتكلمون	سامى جوهر
كلمتى للتاريخ	الرئيس الأول للجمهورية
محكمة الشعب	سبعة أجزاء « ثمن الجزء ثلاثة قروش »
ذكرياتى فى عهدين	صلاح الشاهد
أموال مصر كيف ضاعت	فاروق جويدة
الحق	محمود عبد الوهاب فايد
هؤلاء هم الإخوان	طبع على نفقة مال قوى الشعب ووزع مجاناً
تاريخ بلا وثائق	د . إبراهيم عبده
بصراحة عن هيكل	كرم شلبى
عودة الوعى	توفيق الحكيم
فى طريق عودة الوعى	توفيق الحكيم
تقدميون إلى الخلف	د . إبراهيم دسوقى
فى الزنزانة	المستشار على جريشة
عبد الناصر والعالم	محمد حسنين هيكل

وثائق عبد الناصر	مركز الدراسات السياسية بالأهرام
سنة أولى وثانية سجن	مصطفى أمين
الروس قادمون	إبراهيم سعده
حوار وراء الأسوار	جلال الدين الحامصى
سنوات العار	محمد عبد الرحيم عنبر
سنوات عصيبة	المستشار محمد عبد السلام
أوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية	د . رفعت السعيد
محاكمات الدجوى	محمد شوكت التونى
سنوات الهوان	إبراهيم سعده
قضية التعذيب الكبرى	محمد شوكت التونى
بيان للصحف بتاريخ ١٥-٤-٦٦	هيئة العفو الدولية
اقرأ	مجلة سعودية العدد ٣٥

صحف مصر ومجلاتها فى عهد السادات بعد أن تحولت النشرات الناصرية إلى صحف مصرية .

يوميات سجين فى السجن الحربى	كمال الفرماوى
مذكرات بغدادى	عبد اللطيف بغدادى

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

• • •

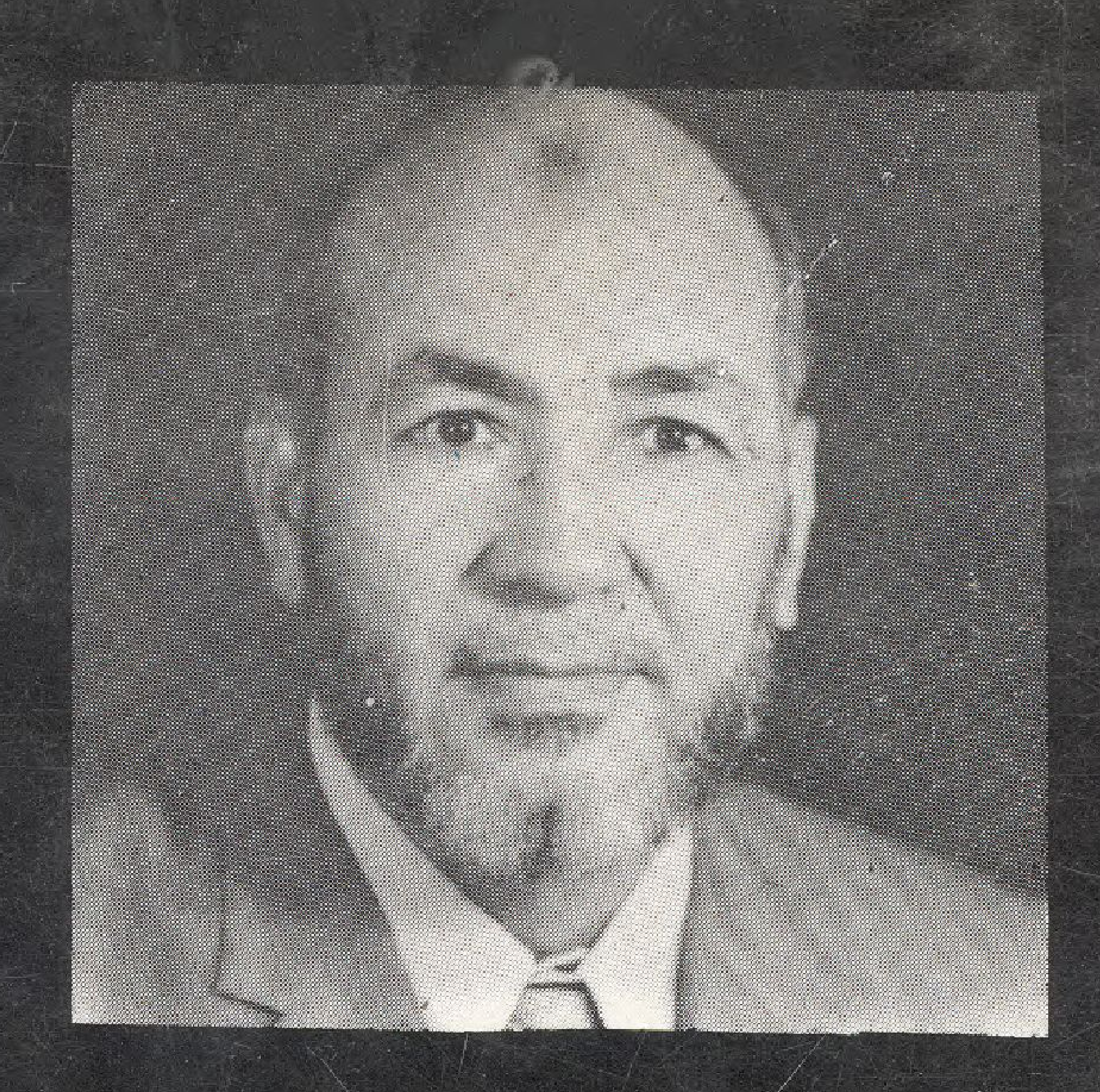
رقم الإيداع ٤٢٣٨ / ١٩٧٧

الترقيم ٤-٥٨-٧٠٥٣-٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية

١٢ الشاطى - شبرا مصر

ت : ٩١٣٤٤١



هذا الكتاب

- الفراعنة الصغار فى هيلتون الناصرية..
جزء من تاريخ مصر فى أحلك عصورها.. إنه لا يسرد قصصا بل يؤرخ لأحداث جسام من صنع مراكز القوى، التى كانت تتحكم بشريعة الغاب. ولا تقيم وزنا لشريعة الله ولا حتى سيادة القانون..

- والمؤلف المؤمن الدكتور جابر الحاج. هو شاهد عيان على هذه الأحداث الجسام، عاش خلف الأسوار شهورا طويلة كل شهر منها يعادل أعواما، ولكنه حين كتب هذا الكتاب، فاصل عواطفه، وتجاهل جراحه وآلامه. وقرر أن يكون مؤرخا أمينا. لا يسمح للخيال أن يتسلل إلى قلمه..

- إن الكاتب يقول شيئا جديدا فى هذا الكتاب ولا نظنه كان يهدف إلى كتابة تاريخ - فحسب - بل أيضا إلى تصحيح التاريخ، فى فترة عجز التاريخ أن يكون فيها معاصرا حرا..

- إن التاريخ لم يكن ملكا لأحد.. ولقد فرض نفسه وسيفرض.. قبلنا أم أبينا. أنصفوه أم شوهوه. وويل يومئذ للذين حاولوا أن يشوهوه..



١٠٠ قرش

دار الاعتصام